

# أعلام الشعر العربي الحديث

أحمد زكي أبو شادي  
عبد العزيز الدسوقي

أحمد سوقي  
محمد مندور

بشارة الجوري  
أديب مروة

قدّم له: إلميا حاوي



ملاحظات

المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت



الأجل  
الشمس العربي  
الحديث

أحمد شوقي      أحمد زكي أبو شادي

بشارة الخوري

مكتبورات

المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت





— أعلام الشعر العربي الحديث —

الطبعة الأولى

١٩٧٠





عندما كتب الناقد الفرنسي بيار جان جوف في ذكرى شارل بودليير حرص على التأكيد بأن للشاعر قيمتين ، إحداهما اجتماعية والثانية شعرية ، وإن كلاهما منها تتأثر وتؤثر في الأخرى ، بحيث تلتبسان ، بعضاً ببعض ، والناقد لم يعنِ بالقيمة الاجتماعية الوعي الاجتماعي ومدى وقوف الشاعر على أزمة العصر ، بل أشار بذلك الى شخصيته الاجتماعية المُمَثَّلة في الجاه والمقام وربما السلطة والنفوذ . فالشاعر الذي ينعم بقليل أو كثير من ذلك قد يفني منه على شعره ، فلا يُقدَّر لك ، ائوئذ ، أن تدرك إذا كنت تأخذ الشعر بماخذه وعباره ، أم أنك تقع فيه تحت وطأة صاحبه فتعظم من شعره ما لا عظمت له وتنبؤته من أجله ما ليس هو حقيقاً به . وقد يجري الأمر بنقيض ذلك في شأن شاعر بوهيمي ،

رجيم ، لا يَحْفَلُ بالمقامات الاجتماعية ولا يَنْسجم بشيء منها ، فترى الناس  
يَحْقِرُونَهُ ، إذ دُوْخِلَ على رَوْعِهِمْ به من قِلَّةِ قدره وسوءِ حاله . فالحقيقة  
الشعرية قلباً تخْلِصُ وتُدرِكُ النقاء المُطلق إذ تجدها مُلْتَبِسَةً بما  
دونها ، ولست تَنْفِذُ إليها ، الا بعدَ لَإٍٍ شديد .

ومنذ مطلع هذا القرن برزت أسماء كثيرة في عالم الشعر ودَوَّتْ أصدائُها  
وقد رَعَتْ لها طبول الدعاية فَغَلَبَتْ الجلبة والضوضاء على صوت الشعر  
فاختَنَقَتْ همسته وتَحَشَّرَتْ

فماذا يعني ، مثلاً ، ان تُقيم الشعر إمارة وتُبايع عليها ؟ ذاك يعني  
أنك جعلت الشعر رديفاً للجاء ، أن تنطقه بغير صوته وأن تقيسه بغير  
عياره وأن تجعله بوقاً للحساس ، بل ان مجد الشعر هو في ذاته ومملكته ليست  
من هذا العالم

وإذا وازنت شعر تلك الحقبة لتبايَنت قيمته ، بل وتناقضت إذ انه  
لا يعدو في معظمه الافكار الموقّعة عبر جلبة خطابية ، المموّهة بالتأويل  
والصور الحرقاء ، المسفوحة بتُرْهُات الغلو والتفشير . انه الشعر الطرقي  
الذي يُلْهِيك ولا يُغْنِيك ، يُثِيرُك ولا يُنِيرُك ، يُخْلِفُ التجربة في نوع  
من الانفعال الأصم . فهل ان الشعر هو حالة من الاستجابة الحاسية الطائشة ،  
أم أنه معاناة جديّة تتوسل الانفعال لتتصل بالحقيقة وتحلّ فيها ،  
فَتَسْتَحْضِرُها ، بدلاً من أن تَصِفَها وتُجَزِّئَها وتتمزأ بأشلائها . لقد  
كان يخيّل للقوم ، حيناً ، أن مهمة الشعر تقتصر على التمتع او على تلك  
المشاركة الانفعالية العصبية . وقد بات يترجّح لنا اليوم ان غايته تتخطى  
ذلك كله ، بل انها لا تحفل به ، وتمن فيا وراء الأشياء ، في ذاتها الثانية .

فلا شأن للانفعال ، قط ، بذته ، اذ أنه مَبْدُول في الناس ، قائم في طبيعتهم ، وإنشأ الشأن في اضاءته والنفاذ فيه واستطلاع ضميره ، فيكون سبيلا لنا الى معانقة الحقيقة والحلول فيها .

أي من الناس لا ينفع بالعدوان أو الخيانة ، أيهم لا يشور لكرامته أو يحق لاغتصاب حرّيته أو وطنه؟ ولقد يُفصحون عن ذلك بتعابير مُبْتَسرة عامة ، يشعرون معها ان اففعالهم ما زال أبكم لم يُفصح في شيء عن ذاته بل إنه اجبض في الهتاف والصياح وما اشبه .

اما الشعراء ، فمنهم من يُترجم هذا الانفعال بأفكار يَتَسَقَطُها تَسَقُّطاً ، في حالة عامة من الحماس ، وبعضهم يوغل فيه ويستَظِنُّه ، فيُعَمِّقُ معاناتنا له ويدرك منه أبعاداً انسانية يُقَصِّرُ عنها الانفعال العامي الهائج . الانفعال الشعري هو سبيل للكشف ، للمشاهد في الظلمة ، لنقل الأطياف النفسية المرتسة على شاشة الذات الداخلية . وهو الذي يُزَعِّزُ أطرَ الحسن ، وَيَحْرُجُ برودة العقل ولا مبالاته ، ويصل الى تلك الحالة التي تَخْلُقُ فينا يقين الحقيقة ، دون برهان أو بيئة أو وصف أو اقناع . ولا بدع بعد ذلك في القول بان كل ما هو فكري مباشر ، غث ، وكل ما هو برهاني ، جدي ، وما هو تقريري ، ووصفي ، لا يلج الى حرم الشعر ولا يتصل بجوهره ، ان هو الا سقوط منه والمحدار من عالمه الى عالم الواقع المُتَحَجِّر . والشعر لا يسبغ ، كذلك ، التعليم والوعظ ، فضلاً عن الأحكام أكانت خُلُقِيَّة أم وطنيَّة لأنها من مظاهر الحقيقة الخارجية الزائفة .

وكي لا نُقيم في حدود التعميم والاطلاق تتمثل على ذلك بأبيات تُؤثّر من شعر تلك الحقبة وأبيات تعنى بمثل موضوعها من حقبنا . يقول شوقي في

القصيدة التي حيى بها دمشق ، بعد ان دخلها الافرنسيون ونكّلوا بابنائها :

لحاما الله انباءً قوّلتُ      على سمع الوليِّ بما يَشُقُّ  
يُفَصِّلُها الى الدنيا يريدُ      ويجملها الى الآفاق برقُ  
تكاد لروعة الأحداث فيها      تخال من الخرافة، وهي صدقُ  
وقيل معالم التاريخ دكّتُ      وقيل أصابها تكلفٌ وحرقُ

ثم يصف الهول من خلال تروّع النساء :

إذا رمَنَ السلامة من طريق      أتت من دونه للموتِ طرقُ  
بليلٍ للقذائفِ والمتايبا      وراء سمائه خطفٌ وصعقُ  
إذا عصَفَ الحديدُ احمرَّ أفتقُ      على جنباته واسودَّ افتقُ  
سلي من راع غيداً بعد وهنٍ      أبينَ فؤاده والصخر فرقُ

فالشاعر يعالج هنا انفعالا وطنيا ، قوميا ، توسل له أساليب 'متبانية' ، يطفو على 'جنتها' الانفعال 'الحاسي' والايقاع الخطابي . ومنذ البيت الأول تراه يلحوا الأنباء لحواً لفظياً ، إذ ان سماعها يَشُقُّ على سامعها ، ومَشَقَّةُ السماع لا تقفي بغرض الإنفعال لحفوت دلالتها عما تقدمها وعمّا يتوقَّعُه القارئ، إثرها ، وهي لفظة تقريرية ، ساكنة ، اقتضيت عليه بالقافية . وحق الآن لم يُنرَ الشاعر انفعاله بل انه ما زال يُضَحِّمُه ويهول فيه بالتهاول اللفظية . ويرد فعلا : « يُفَصِّلُها » للبريد ، و « يُجَمِّلُها » للبرق ، وقد عبّر عن حقيقة تشريه . ذاك ان رسائل البريد 'تفصل' ، فيما 'توجز' رسائل البرق . وقد كان التنويه بذلك تنويها بما لا طائل من دونه واقحاما لطيفيليات الواقع على الانفعال ونموها له بما يُجَنِّبُه ويصَحِّبُه



دون ان يَجْلُوهُ . اما ذكر البرق والبريد بذاتها فيتصل بالانفعال إذ يغالي فيه بالتعميم والاطلاق ، ومع ذلك ، فان الشعر الكبير يأنسف من ذكرهما لدنوئهما ويسر الأخذ بهما وعقم دلالتها . فأية جدوى من شعر يكذب ويعدو صاحبه ليؤدّي لنا في النهاية افكاراً مبدولة على ألسنة الدماء .

\* \* \*

ونمضي النثرة التهويلية في تَضَخُّمها ، تعظّم من وقع الفاجعة ، دون أن توضحها ، مجارية حدود الانفعال العامي ، حينما يزعم أن تلك الانبياء تفوق العقل الى الخرافة ، وانها لا تكاد تُصَدِّق . وقد اوقف الشعر بذلك عند حدود الغلو الذي تنامي فيما يلي بالألفاظ الكبيرة التي تنطوي بطبيعة دلالتها على المعاني الهائلة : « وقيل معالم التاريخ دُكَّتْ » . فلفظة التاريخ هي لفظة تهويلية تضخيمية ، تُغَرَّرُ بالقارئ وتُدَوِّي في وجدانه بل تصعّقه ، لكنها قلّما تَنفُذ الى ضمير الحقيقة او تجلو بعض مكانها . والانفعال لبث ، الى الآن ، أصم ، يطفر طفرة خارج ذاته . ولا يعدو ذلك قوله :

رباع' الخلدِ وَيَحْكُ ما دهاها أحق' أنها دَرَسَتْ' أَحَق'

فرباع الخلد هي كالتاريخ من الألفاظ الكبيرة التهويلية ، وهي تروّع وتُغْنِي كل شيء ، دون ان تعني شيئاً بالذات ، بل انها تنقل أقوالاً جارية في العرف بين العامة . فأي من هؤلاء لا بقرن جبال الديار بلجنة ؟ وفضلاً عن ذلك كله ، فان الإشارة الى ربوع الخلد هو 'نبؤ' عن سياق التجربة ومضمونها الجدّي اذ لا فرق في فاجعة الاحتلال والاعتصاب ان تكون البلاد جميلة كرباع الخلد أم

زربة قاحلة كرباع الطلل أو القفر ، اذ ان الشئ في ذلك ليس شأنا ماديا يقتصر أمره على تشويه معالم العمران والطبيعة ، وانما هو شأن إنساني في معنى الحرية والعدل ، في الذل والكرامة ، في المدنية والتوحش ، في الانسان الآكل للحم الانسان ، في قايين القاتل لآخيه آبل ، ليخلو له العالم ويفرض عليه سيطرته الحقاء .

فما شأن ربوع الشام اذا كانت تطالعنا بجمال الخلد او بمثل عراء الجرد . ومع ان الشعر يصدر عن الحرية المطلقة في الرؤيا والتأويل ، وحرية هي مبرر وجوده ، بل باعثه الدائم ، فان الشاعر هو مسؤول ، في النهاية ، عن الحقيقة ، وعن المعرفة ، ولا شأن للانفعال اذا لم يكن بصيرا يهتدي الى ما لم يتبد اليه سواء من أمرها ، أو اذا كان لا يميز بين الآتي العابر والدائم الجوهري . وانفعال الشاعر ضل سبيله فيما تقدم وخلب بالمظهر عن الجوهر ولم يقدّر له ان يفتن لمعنى الحادثة في إطارها الانساني . وثمة بون ناي بين أن يحزنك المعنى الانساني للاشياء وان يخلبك مظهرها المادي الذي تحفل به العامة . فالكوخ الحقيق يماثل القصر في معنى الحرية ، وكذلك فإن القاع الصفصف يوازي الرياض الغناء في المعنى الروحي النهائي . فما بال الشاعر يسلب لب القارئ ويؤذله عن انسانيته ويشتغله بالمظاهر الحسية التي تأخذ بروع البدائي .

وبذلك تغدو الطرية صنوا للخطابية في التوسل بالألفاظ المدوية الجوفاء التي تخادع السامع وتوهمه ويجوز عليه برقعها . أو ليس لخمعة النازح بل لمخيمات النازحين في عبرنا ، بالرغم من هزال حالها ، من الأهمية الانسانية ما للقصور والقرى والمدن . وإنما لا تقسر الاعر بذلك ان يرى

برؤيتنا وانما نفتضيه الرصانة والعمق في الانفعال ، يحاوه لنا بل يحاو انفسنا لذاتها ، بدلا من انه يحبضه بترهات الفلو العصبية الطائشة .

وانك اذا أوغلت فيما دون ذلك لطالعك التقليد الغامض المكتوم عبر موقف الشاعر من الاشياء والمعاني . فالتجديد الشعري لا يقوم على الموضوع بل على اكتشاف المواقف والابعاد الانسانية الجديدة من قلبه ، بصورها الشاعر أو يؤدي لها اداءها ، فتكون لنا سبيلا الى المعرفة الذوقية او الى الحقيقة الحضورية أي المثلة والجامعة امامنا .

الشعر هو معرفة فيما وراء المعرفة ، إنها المعرفة الحائلة فينا بيفينها ، المزيلة للحدود بين الذات والموضوع ، والانسان وحقيقته ، والحياة بما فيها وما وراءها . وبكلمة موجزة إنها المعرفة الشعرية الطافرة من قاع الظلمة والغيب . الا انها لا تقل جدية عن أية حقيقة أخرى ، بل انه ليس من حقيقة سواها . وما دونها جميعا وهم والنحسار . وجميع ما يحتفل به الشاعر وينصرف اليه يؤول في النهاية الى هذا المآل ويقتصر على هذه القيمة . وهو اذ لم يطلع على بعد انساني جديد ردّد المعاني المتداولة في قلب الموضوع وتبارى بها عليه . لذلك عمد شوقي هنا الى الإثارة في عرض الموضوع بجانبه التقليدي ، بجانب العار المتمثل في النساء الجميلات المروّعات :

واين دمي المقاصر من حِجَّالٍ مهتَكَّةٍ وأستارٍ تُسَقُّ

فهو قد حدّ فداحة الخطب بأمر النساء الجميلات كالدمى واللواتي 'هتكتت' من دونهن الأستار . ولم يكن العربي ، منذ الجاهلية يتمثل العار بما دون ذلك ، وقد ألحف النابغة به في معظم قصائده ، وانما تجتزىء ببعضه لضرورة التمثيل :

لا أعرفن زرباً حوراً مداً معها      كان أبكارهما نعاجاً دوار  
خلف العصاريط لا يوقنن فاحشة      مستمسكات بأفتاب واكوار

\* \* \*

او حرة كهة الرمل قد كبلت      فوق المعاصم منها والعراقيب  
تدعو قعيناً وقد عض الحديد بها      عض الثفاف على صم الأاييب

\* \* \*

وبيض ، غريرات ، تفيض دموعها      بمسكوره 'يذرينه' بالآامل

وفي هذه الابيات تكتنى النابغة على العار اللاحق بالقوم من الغزو  
والهزيمة ، بشكل النساء ، وقد واقعن المقتصبون بالفحش وقيد معاصمهن  
فيما اقرن على البكاء والاستغاثة .

وقد جرى شوقي بحرى النابغة ومن اليه ، غير مبصر في اقتحام  
الفرنسيين على دمشق الا الوجه البدائي العامي الطائر أمام العيان ، واصفاً  
المرأة بأوصاف الجارية التقليدية في اشارته الى أصباغها وحجبها وأستارها ،  
وكأنه لا يرى فضيلتها الكبرى الا بها . وهنا ايضا بدا انفعال الشاعر  
قاصراً أمياً وتقليدياً في مظهرين على الأقل :

(١) في تمثيلة للمرأة يجالها وتروعه لنزع حجابها وستورها ، وهو لم يظن  
بذلك الى انسانيتها . واذا كان البدائي في غلاظة طبعه كان يئد  
المرأة فان الحضري بات يدرك أنها ام الخليفة ، وانها صنو الرجل ،

وليست أداةً للزينة والتبرّج . لذلك نقول ان الانفعال أجهَضَ  
هنا بالمعنى والموقف التقليديين اللذين لا شأن لهما .

٢) في اقتصاره على تجسيد فداحة الاحتلال بما أصاب المرأة وحسب ،  
فبما يمتد ويتطاول معناه الى ما هو انأى من ذلك ، الى الحق المخدول  
والقوة البطاشة ، الى تقدّم الانسان بالعلم وتخلّقه بالروح ، الى انتهاك  
معنى الحرية التي تتجسد في سيادة الشعب وما الى ذلك مما لا مجال  
للافاضة فيه . وربما ابتغى الشاعر من ذلك ان يستثير الدهماء الذين  
يقصرون الغار على ما يصيبهم من شأن المرأة . وقد استعار الاستشارة  
من الخسارج واقتلها بالافادة من نزوات سواه ، والشعر يُؤثّر  
بالنشوة من دون النزوة ، وبالكشف من دون الوصف . لقد  
استثار الناس بتقاليدهم وغرائزهم ، وهذه تُستثار لذاتها بالاداءات .  
فروية المرأة وهي تُزجّر وتقهّرُ تثيرنا دون حاجة لشعر شاعر  
أو قول قائل .

وهكذا فان الشاعر لم يُعَدِّم الإنفعال ، لكنّه ساقّه وانساق فيه بالحيدة  
والشدّة ، وأوقفه ووقف به عند حدوده المرسومة وأطره المعلومة . وإنّما  
اذ تلوانه أخذنا به ، كأنّنا أخذ بالصياح والهتاف ومشاهد الخراب والترويع ،  
وهي مطروحة على أديم المظاهر والأحداث ، ولم تستمرس معه بتجربة  
البطولة أو الحرية ، ولم نشاهد الأشياء في تسخّومها البعيدة ورؤاها الروحية  
حيث تكون حقيقتها الفعلية . نقول في مثل ذلك إن الانفعال ظلّ قاصراً  
عن الخلق والكشف ، لم يجلّ ولم ينجل ولم ينقذ الى نهاية مطافه في  
النفس .

ولتسّر ما يقوله إثر ذلك :

إذا رمّن السلامة عن طريقٍ أّتت من دونه للموت طرّقُ  
لبيلٍ للقدائف والمستأيا وراء سماءه خطفٌ وصعقُ  
إذا عصّف الحديد اجمرأ أفقُ على جنباته واسودّ أفقُ  
سلي من راع غيدك بعد وهنّ ابين فؤاده والصخر فرقُ  
وللمستمعين وانّ الأنسوا قلوبُ كالججارة لا ترقُ

فالموت قد سدّ سبل النجاة من دونهن ، حيثما حاولن الفرار ، كما انّ  
القدائف تغشى الأفق بالإحمرار من توهج نيرانها . فالموقف ما زال وصفيّاً  
سريّاً والصورة واقعية وليست ابتداعية ، كما انّ الخيال استحضر ما تقع  
عليه العين ، دون ترجمة أو تأويل . ولا تمدو لفظة الموت ، هنا ايضاً ،  
الألفاظ التحويلية التي يعمد اليها الشاعر في وعيه المباشر ، ليدخل في روع  
القارئ حالة من الاستغراب والدهشة . وذكر الموت لا يقتضي كدّاً أو  
جدّاً ، أو بُعداً وإنّما هي أبسط فكرة تتداول بصدد هذا الموضوع .  
فالتاريخ والخلد والارت هي من الألفاظ الإطلاقيّة التي يوفي منها الشاعر الى  
أقصى غاية الغلوّ والتعميم بفضيلة ما تنطوي عليه اللفظة بذاتها .

ومن هذه الصورة العامة نراه ينحدر ، فجأةً ، الى الواقعية بدقائقها  
الجزئية ، مثلاً توهّج الأفق بمثل خطف البرق وصعق الرعد ، من تفجّر  
القنابل وتوهّجها . ويحزّي على هذا الفرار احمرار الأفق واسوداده ، حيث  
جسّم الشاعر أمام الاحداث ، فتقلّحها وحاكها باللفظ ، مبصراً فيها  
ما يبصر ، فاهماً منها ما يفهم ، معيداً الأشياء الى ذاتها . ولو شعر الانسان ،  
منذ البدء ، أن ما تتداوله حواسّه وما يفهمه عقله يفني بفرض الحقيقة

كلّتها ، لما كان ثمّة مبرّر للفنّ في وجوهه المُتباينة . والشعر الكبير يعفّ  
عن أداء الاشياء بمظهرها ، مع قليل او كثير من التّضخيم . وما ينطلق من  
البصر ليعود اليه في حلّال اللَّفْظ يُفْقِدُ الشعر وظيفته الإبداعية .

وخلاصة القول ان شوقي وقسّ المعاني في سياق نفميّ هادر ، وتداول  
فيها صيغ متباينة من التّساؤل والتعجّب ، لكنّه اقام على حدود التقرير ،  
”علّمنا ما نعلّمه في البدايه ، يَغرزل المظاهر التي نمثله ، حاشداً مغالياً ،  
قوامُ فنّيته اللَّفْظَةُ الكُتُبَرى ، المَهْوَلَة بطبيعة معناها ، والمشهد الحسّي  
والافكار الشائمة في الموضوع والمطروحة في طريقه .

ولنتولّ ، الآن ، موضوعاً مشابهاً لشاعر معاصر ، فنتخذ مثلاً قصيدة  
السّياب في الجزائر التي نكّلت الفرنسيون بابتائها كما نكّتلوا بأبناء الشام .  
فهو يقول :

من قاعِ قَبْري أصبحُ

حتى تشنَّ القبورُ

من رجّع صوتي وهو رملٌ وريحُ

من عالم في حفرتي يستريحُ

مركومةٌ في جانبيه القصورُ

وفيه ما في سواهُ

إلا دبيب الحياهُ

حتى الأغاني فيه ، حتّى الزّهوُ

والشمس الا أنّها لا تدورُ

والدَّردُ نَحْثَارُهَا فِي ضَرْبِ  
مِنْ عَالَمٍ فِي قَاعِ قَبْرِى أَصْبَحُ  
لَا تَبْأَسُوا مِنْ مَوْلَدٍ أَوْ نَشُورُ

\* \* \*

وانك لتشعر ، توأ ، اثر قراءة هذه الأبيات ، ان طبيعة الانفعال غدت  
داخلية ، بعد ان كانت خارجية ، وان الصورة حلت محلّ الفكرة ،  
وار خطوط الوضوح وسياهه ، فضلاً عن التقرير والتعليل والوصف والرصف ،  
انها ، جميعاً ، قد زالت ، وتعدلت طبيعة الانفعال فيها ونفذ الشاعر الى  
اصقاع يشاهد فيها الحقائق التي لا تُشَاهَد ، يُبْصِر الطّيف والشعور ،  
وهي لا تبصر ، مجسداً المعاناة قبل ان تسقط الى الافكار والأوصاف  
والالفاظ . ذاك ان عالم الحقيقة يُظْلَم بقدر ما توغل فيه ، يُظْلَم بالنسبة  
الى الحسن والعقل ، لكنه يزداد وضوحاً بالنسبة الى النفس . واذا كانت  
الارتباطات المنطقية قائمة منتظمة في الابيات الاولى ، فان هذه الابيات  
تتوسل اللا منطق لتلج الى أعماق المنطق النفسى الانفعالى الذي يُخَضِّعُ  
ولا يُخَضِّعُ والذي يُبْذِعُ عالماً جديداً ، بدلاً من ان يُدْعِنَ لعالم التقليد .  
فكيف يصيح صائح من القبر ، كما يزعم الشاعر ، والقبر هو مأوى الموتى  
الذين فقدوا القدرة على الصياح ؟ ان القبر لا يعنى ذاته هنا ، كما ان دلالة  
لا تقوم على التشبيه او الاستعارة ، اى على الافتراض والايهام ، بل انها  
حقيقة فعلية أوفى اليها الشاعر من خلال موقف عام يقفه ويؤمن به بالنسبة  
الى الحرية . تلك حقيقة ثانية وراء الظاهر ، وهي مستمدة من أسطورة  
عريقة في الجاهلية ، تقول إن الميت إذا غدير به لا يموت ، بل تخرج روحه



من رأسه يمثل طائر يُدعى الصّدى ، لا يزال يصيح « اسقوني ، اسقوني » ، ولا يتروى الا من دمّاء ثقاتل . هكذا تشعب انفعاله وامتد عبر الاسطورة ، مثلاً واقع الظلم في مكان معين ، هو الجزائر ، وكلّ مكاب وزمان من خلال ذلك الرّمز الاسطوري العميق . وكما كان وهوف شوقي عند حدود المرأة ، لتمثيل العمار ، مظهراً للتقليد والعقم ، فان تقمّص السيّات لهذه الاسطورة تولدت من قدرته الابداعية على كشف الارتباطات التي توحد بين معاني الأشياء ورموزها ، من خلال مظاهرها المتناقضة . انها صيحة الثّار والدم ، وهي في فمه ، كما كانت في أفواه آلاف بل ملايين المظلومين عبر التاريخ . والقبر والصّباح هما رمز الموت والحياة التي تأبى ان يصرعها الظلم ، فتنتصر عليه بالفعل الماورائي . فصوت الحرية يُسمع حتى من أعماق حفرة الموت . هكذا سقط التشبيه وحلّ من دونه الرّمز ، وهو يسقط كذلك بقوله : « من رجع صوتي وهو رمل وريح » حيث جسّد بالرّمل والريح الثّورة العاصفة ، وخصّ الرمل لما ينطوي عليه بذاته من دلالة على بكرة البطولة العربية في صحرائها ، وألم بالريح لانها تنطوي على مبنى الغضب ، وهو لم يفسّر ولم يعلم ولم يُقرّر ، وانما شاهد صوته مشاهدة أو سمعه بالفعل في الرّيح والرمل . وقيمة ذلك كله أن المعاناة لم تستحيل الى أفكار واضحة ، مباشرة او إلى حكم وعظية . فالشعر الحديث يتقمّص المظاهر الجسيمة من اطلاع على ضمائرها المكتومة بالنأمل واحسانه بها في نوع من الصوفيّة التي تدعنا نفطن الى مرام كامنة فيها . لا شك ان الارتباط الواقعي المنطقي زالت آثاره ، اذ لا نكاد نتمثل بوحي كيف يكون الصوت رملاً وريحاً والصوت يصدر عن الفم بالألفاظ ، وانما الشعر الخالق هو الذي يعثر على حقائق مُضمرة وأصوات لها معاني

الألفاظ وان لم يكن فيها لفظ . هنا الرمل لم يعد رملاً ، اي حبات سمراء شاحصة يحمود ، بل غدا رمزاً لنوع من المصائر القويّة التي لا تلتين ولا تستكين لقوى الطبيعة . كما ان الرّيح لم تعدّ تعصف في الفيافي والطبيعة بل من الوجدان لتقتلع وتدمر وتبيد .

ويضي الشاعر في معاناة التجربة ، فتطالنا القصور والأغاني والزهور ، وهي تمّ على ان الجزائري يحيا كسواه في عالم متكامل مادياً . لا يعوزه حتى الثراء وحتى الطمأنينة وحتى النّور ، الا ان ذلك كله لا يجديه . فالقصور لا تدعه يركن إلى طمأنينة الترف والحول ، يتلّهي بسماع أغاني الحياة ومشاهدة زهورها . كل شيء قائم في عالمه ، إلا ان شمس لا تدور ، اي ان حياته لا تجري وفقاً لسياقها . فالسياب لم يتحدث عن الحرية وطنية ، لم يستعها باسمها ، لكنه استحضر رموزها وبخاسة في الشمس الواجبة المتجمّدة . ذاك عالم فيه ما في سواء ، بيد انه فاقد للحياة ، لانه فاقد للحرية . ثم تردّ لفظة « الدود » لتدلّ على الهوان والذلّ وما الى ذلك من أحوال تصحب الظلم والعبودية . فهذا الشعر لا تستطع فيه الأفكار ، وما يتخلّص إليها منه ، لا يعدو البقايا والأشلاء الفاقدة الدلالة ، ذلك ان الشاعر يحيا من نفسه بمثل هذا العالم الذي تُنيره شمس سوداء ، مظلمة ، جامدة ، يدبّ عليها الدّود ، وتقيم فيها القصور كالأطلال ، والزهور كالكليل الموتي .

فما هو الفرق ، إذن ، بين تجربة السياب وتجربة شوقي ؟ انها صدرتا عن انفعال واحد ، هو انفعال الظلم . وبينما شطر به شوقي الى الخارج ، إلى قصف القنابل وتوجهها على الافق والى النساء المدعورات ، نفّذ السياب إلى

رموز أنأى بكثير لا تطالعنا في حقيقة الواقع ، وإن كان الخيال يبصرها في  
حدقته النفسية التي تستعير مظاهر العالم الخارجي وتنبذ فيها معاني وأحوالاً  
جديدة ، هي أعمق من دلالاتها الظاهرة . مسرح الإنفعال واحد ، أيضاً ،  
بين الشعاعين ، هو مسرح الطبيعة ، إلا أنها طبيعة واقعية حسية عند  
شوقي ، وهي طبيعة نفسية عند السياب ؛ أبدعها الخيال من قدرته على تداول  
المعالم الخارجية في مضامينها الأولى التي سقطت عنها تحت وطأة المنطق  
والوضوح . تجربة شوقي أوضح ، وتجربة السياب أعمق . إنفعال شوقي نقلي ،  
تهويلي ، وإنفعال السياب خالقي ، إبداعي ، أضاءت ظلمته الرؤيا ، وشخصت  
المشاعر عبر المظاهر ، فتم له التجسيد في عالمه وقبل أن يتردى تحت وطأة  
الافكار والوعي والواقع .

وكما تداعت معادلات التشبيه زالت ، كذلك ، الأُطر التهويلية  
للألفاظ ، فالرمل والريح والقصور والزهور والشمس ، هذه جميعها ، لم تعد  
ألفاظاً خطابية لأنها خلصت حتى من معناها النثري الملازم لها وأُنيط  
بها معنى شعري لا يلازمها في الظاهر المبدول ، بل إنه ينبثق منها بالتأمل  
العميق والتوحد مع روح المظاهر .

لذلك نقول إن الشعر الحديث يعف عن الفكرة ويحل من دونها الصورة ،  
يعزف عن التقرير ويلم من دونه بالرؤيا ، لا ينقل عما يطالع في الواقع ،  
بل عما يستطلع فيما وراءه أو عبره ، وانك لا تفهمه ، بل تعاني وتحل فيه .  
وفضلاً عن ذلك كله ، فإن مستوى المعرفة الشعرية يتباين أشد التباين .  
فبينما أقام شوقي على اللبنة والسطح ، يلوب على الانفعال ، ويجهضه بالصباح ،  
تفدّ فيه السياب ، وأدرك من خلاله الحقائق العميقة المتصلة بقيم الحرية والعدالة

والظلم ، دون ان يصفها أو يفصح عنها .

ونغضي في المقارنة فنجد شوقي يقول :

وللمستعمرين وانت أأنوا      قلوب بالحجارة لا ترق

وهو يمثل بذلك بطش المستعمر وقساوته ، وقد استعار لذلك الصخر ،  
وهو أدنى ما تُمثِّل به القساوة في بداة الانفعال وأميته ، اما السياب ،  
فيمثِّل مقاومة المستعمر وعُسْر التصدّي له بالقول :

وَعَرَّ هُوَ المَرْقَى الى الجُلُجْلَةِ  
والصَّخْرُ يا سيزيفُ ، ما أثقله

فهو قد استَحْضَر لهذا الانفعال المائل تماماً لانفعال شوقي ما مدّ به  
أبعاده ، ومنحه يقين التاريخ وأناط به صفة الاطلاق من دون تجريد ، اذ  
تَقَمَّص فيه بقصة الصلْب والجلُجْلَة . فالشعب لا ينال حرّيته ، إلا بعد  
أن يُصلَّبَ على جلجلتها ، لينهض من قبره ويبعث ببعث الحرّية كالمسيح .  
وبذلك تَوَحَّدَ مصير المسيح والجزائري في وجدانه ، وتوحَّدَت مصائر  
البشريّة عبر تاريخها الطويل . وقد كان استحضاره 'لمشهد الصلْب نوعاً من  
الايغال بمعنى الظلم والاضطهاد في سبيل فكرة ، خُلصَ منه الى حتميّة  
العذاب حتى الموت ، بينما اقتصر شوقي من ذلك كلّهُ على التنديد الصريح  
العامي المباشر من المقارنة بين قلب المُستعمر والصَّخْر . هكذا ، فان انفعال  
السياب أطلعه على حقائق دائمة حيّة عبر التاريخ ، شاهدها في رؤيا الجلجلَة ،  
ثم تكثّف ذلك وتضاعف وقعه من ذكره لاسطورة سيزيف الذي يحمل

صخرة كتبت له في كتاب القدر ، يكاد لا يَنْفُذُ بها الى الذروة حتى  
تَسَدَّ حُرُج الى السُّفْح ، فيعود يحملها ويصعد بها من جديد . سيزيف هو  
الشعب الجزائري الذي يحمل صخرة قدره ومصيره ، يصعد بها الى جبل  
الحربة ثم تراها تَنْسَحِر من جديد . لقد توَسَّل الشاعران ، جميعاً ، بالصخرة ،  
الا ان شوقي توَسَّلها في معناها الواقعي ، في دلالتها الشائعة على القساوة ،  
بينما توَسَّلها السياب في دلالتها الأسطورية كرمز لمحاربة الشقاء والصمود له من  
الداخل بالفعل الروحي . فسيزيف يمثل هنا المُطَبِّق لكلمته المطلق الشعري  
الاسطوري وليس المطلق اللفظي الذهني التجريدي ، نزع به من ذاته الى  
ذات الانسانية في تجاربها مع الظلم ، عبر التاريخ ، بينما أقام شوقي في حدود  
تجربته الجزئية الخاصة . فالفرق بين الشعر الحديث وسواه هو فرق في مدى  
اتساع الانفعال وشموله وانطوائه على معاناة الانسان العامة .

ويخاطب شوقي اهل الشام مخاطبة وعظيمة مباشرة بقوله :

وقفتم بين موت أو حياة فان رمتهم نعم الدهر فاشقوا  
ولالأوطان في دم كل حرٍّ يَدٌ سَلَفَتْ ودينٌ مستحقٌّ  
ومن يسقي ويشرب بالمتآيا إذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا  
ولا يني المالك كالضحايا ولا يُدني الحقوق ولا يُحيق  
ففي القتل لأجبال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعنتى

ففي هذا المقطع يحض على الفداء إذ لا ينعم القوم في بلدهم اذا لم يضحوا  
من دونه بدمهم ولا ترتفع اسوار الممالك الا على جماجم الشهداء .

ويقول السيّاب في الموضوع ذاته خلال القصيدة ذاتها، مصوّراً يقين  
البعث :

لكنّ اصواتاً كقرع الطبول  
تنهلّ في رمسي  
من عالم الشّمس  
هذي خطى الأحياء بين الحقول

\* \* \*

هَذَا خَاضَ الْاَرْضَ لَا تَبَاسِي  
بِشْرَاكِ يَا اَجْدَاثُ حَانَ النُّشُورُ  
بِشْرَاكِ فِي وَهْرَانِ اصْدَاءُ صُورُ  
سِرْزِيفَ الْقَى عَنْهُ عَبءُ الدَّهْوَرُ  
رَاسْتَقِيلَ الشَّمْسُ عَلَيِ الْاَطْلَسِ

ففي ظاهِر المقطعين تباين شديد ، اذ ان شوقي يحضّر ويدعو ، والسيّاب  
يُبَصّر ويشاهد ما يدعو اليه شوقي ، وكأنه تحقّق وقام فعلاً . ذاك ان  
السيّاب بلغ من الإناجية الانتصار ، إثر ما قدّم الشعبُ من ضحايا وما  
تطهّر به من عذاب وآلام أنه شاهده واقعا وان لم يكن قد وقع فعلاً .  
شوقي اتخذ التلميح والسيّاب استنبطته إذ أكّد ان الشعب الذي يَبْذُل  
بذل الجزائريين ستشرق عليه شمس الحرية في النهاية . وهذا التباين الشكلي  
الظاهر يَضُمّر تبايناً جوهرياً عميقاً . انه عنصر الزّمن الذي يتمثّل في

نُموُّ القصيدة من بدايتها الى نهايتها عبر التحولات النفسية . فالبيت أو المقطع يقع كلٌّ منها في لحظة نفسية . فبينما تراه في المَطْلَع متجهماً ، اذا بتجربته تنمو الى نهايتها ، حيث يتولد التناؤلُ من التخاذل ، والبعثُ من رحم الموت والانسانُ من إهاب الإنسان القديم .

اما ابیات شوقي فهي أبيات تراكمية ، تُكثّر لحظة نفسية واحدة ، او انها خالية خلواً تاماً من الزمن ، تتساقط بعضاً على بعض في ايقاع رتيب مُتّاهل . لهذا كانت ميزتها الأولى التكرار ، بينما اقتصت أبيات السياب بالتطور ، يؤدي البيت التلاحق وجهاً جديداً من المعنى أو مرحلة أخرى من مراحل . في الأبيات السابقة وقّعنا على سيزيف ، وهو يحمل صخرته الدهرية ، صخرة العبث والتسيير واللاحرية . واذا به عبر تطور الانفعالات والأحداث في القصيدة ، ينتصر ويلقي عنه صخرته ويُدرّك ذروة الجبل حيث طالعته شمس الحرية . فسيزيف الأبيات الأخيرة هو سيزيف الأبيات الأولى ، والفارق الجوهرى بينهما هو فارق الزمن وما انطوى عليه وما انفعلى به من تطورات دانية وخارجية جعلت الشاعر يوقن من انتصاره النهائي . وقد يكون عامل الزمن هو في الآن ذاته ، عامل الوحدة العضوية القائمة على التجارب النامية من ذاتها ، تتطور من الأزمة الى الذروة الى الحل ، وكأنها فاجعة صغرى أو كبرى . وقد كان خلو شعر شوقي ومن إليه من الزمنية باعثاً لهم على الردّة والتناقض والرتابة ، تتقارب أبيات قصائدهم ولا تتحدّد ، تُرْدَم رداً يُعَبَثُ بنظامها فلا تُضطرب ولا تتبدّد لأنها غير مترابطة ومُتنامية .

هذا وجه من وجوه التباين بين المقطعين . وهناك وجه آخر له اتصال بالحقيقة الشعرية وكلية التجربة التي تعبّر عنها . فانت لو نظرت في أبيات

شوقي لوجدت أنها تَنَتَسَب إلى الحكمة ، أي إلى مبادئ خُصص إليها الشاعر بالتفكير الواغي ، ثم إنه يؤدّيها للناس ويستحسّهم لاعتناقها بالطلب المباشر . إنها أفكار تولدت من التجريد الذي يسمو من الأحداث الجزئية إلى خلاصة فكرية توجزها . فهي وليدة العقل العارف المستنتج . أما أبيات السيّاب فهي صور ورموز ، لا تُطِيلُ من خلالها أحداق المعاني الواجبة ، الجائفة ، كما أنها لم تعزل إطارها الحسي المنطوي على المضمون النفسي ، فهي أشبه بالرؤى . ففي مطلع الأبيات نرى أنه لا يزال في رمنه ، لكنه يسمع وقع الخطى ، والخطى رمز الحياة ، لكنّها خطى بين الحقوا ، أنها خطى الخصب ، أي عودة الحياة إلى نعيمها . والشاعر لم يُسمّ ذلك باسمه ، ولم يفكر فيه بتفكيره بل ألمح إليه في رموزه العميقة اللطيفة وبخاصّة في خطى الأحياء بين الحقول حيث جسّد معنى التجدد في إطار شبيه بأطر العبادة الوثنية التي كانت تمجد الخصب من خلال عبادتها للإله تموز . هنا ، أيضاً ، اتسعت تجربة الشاعر وعانقت الشمول والمطلق من خلال الاسطورة وإطلاعه على الحقائق اللطيفة الهاربة في الوجود ، موفياً من ذلك إلى مثل الأسرار التي تَحْفَظُن لها الإنسان الأول في معانقته الأولى للوجود . أمّا شوقي ، فأنه ما زال يُلْقِي حكاه الخطابية التي يقبض فيها ما طفا على اللجّة من غشاء الأفكار . ولا يقف السيّاب عند هذا الحد بل إنه يماثل بين آلام الوضع من رحم المرأة وآلام الأرض والشعوب لتخرج الإنسان الجديد من رحمها : « هذا غناض الأرض » بل إنه المعث الذي أحيانا الأموات كلّمهم في مقبرة الفداء « بشارك يا أجداد حان النشور » .

هكذا يتباين التجارب عمقا وشعولا بين الشعر المعاصر والشعر الذي تقدّمه ، وإنما اجتازنا هذه المقطوعة من السيّاب لتأمل الموضوع بينه وبين شوقي ، دون أن نذهب من ذلك إلى أن سوية الشعر الحديث المُطْلَقَة



اسْتَوَتْ في شعر السيّاب وان آثار القديم تَعَفَّت فيه . ولا مجال للتعرض الى ما دون ذلك من شعره ، فنقتصر على القول ان ما ذكرناه فيما تقدم يصح في المقطوعة التي اجتزأنا بها ، وربما صحّ تطبيقه على سواها ، الا ان شعره بعمامة ، لا يستقيم في هذا المضمار .

أما أبو شادي ، فانه تأثر بالرومنسية الأوروبية ، فَرَقَّتْ عبارته حتى الهلولة ، وانثالت انفعالاته وتسرّبت الى المظاهر بنوع من الغنائية الشجيّة لكنها لم تُوفّق في تَكْمُس الأرواح والأطياف النائية للحقائق فيما وراء المظاهر . فلست تقع في شعره على الصورة المظلمة المنبجسة كالحلم من اعماق النفس والغيب ، ولا على الموقف الوجودي الصامد ، الشامل الذي ينتظم حلقات الوجود وسلسلته الكبرى . فشعره هو شعر العواطف الكالحة حيناً ، والسيالة حيناً آخر ، لكنه لم يَتَّحِدْ فيها بوحدة الوجود وحلوليته . ولنتمثّل في صدفة الاختيار بقصيدته في وحي المطر اذ يقول :

انا ظامىءٌ والكلُّ حولي ظامىءٌ      فَتَهَطَّرِي يأسُحِبُ كيف جُنِنْتَ  
هذي الغُصُونُ تَنَاولَتْ ماخَصَصَهَا      ولبِثْتُ في ظَمَأٍ لوحيكِ أَنْتِ  
تَتَساقَطُ القطراتُ من يدِ زهرةٍ      ليدِ لأخرى والجميعُ سكارى  
وأنا بالوحيد ، فأين أينَ حبيبي      حتى تردُّ جوى وتطفئ ناراً

انت ترى أن عبارة القصيدة افتقدت بلاغتها وشدة أسرها ، كما عهدناها في شعر شوقي ، كما ان الانفعالات تنثال انشبالاً شديداً ، لكنه عاجز عن الرؤيا المُبْدعة ، فيسفُ ويتداعى بمعان لا شأن لها في الافصاح عن تجربة انسانية عميقة جدية . فشوقي يَعِفُّ عن القول : « انا ظامىء والكل

حولِي ظاميء ، « ، لان لفظة الكل\* هي من العامة المنبوذة المرذولة ، وهي تسمُّ عن يُسر الشاعر وامتناعه عن تنقيف عبارته ، ثم انه يتهاقت الى التعبير النثري المباشر بقوله : « هذي الفصونُ تنازلتُ ماخصَّها » حيث تَعَفَّى أيْ ظِلَّ للخيال والانفعال وارتهن التعبير للعامة السَّابِية . أما مؤدِّي القصيدة العام ، فإنه مُغرَق في الذاتية والوجدانية بحيث يقتصر على التعبير عن لحظة معينة في نفس صاحبها ولم تُمكنْ له الموضوعية ليفيد بعض الشئمول والكلية . وقد بات من المقرر في الشعر الحديث ان الذاتية المُسْرِفة هي صنو للآنية والجزئية ، وانه لا شعر كبير الا حيث تتسع أفقُ الذاتية وتمتدُّ وتتصل بالحقائق الموضوعية الدائمة ، كما شهدنا في اتصال انفعال السَّياب بالصدى الطالب بالثَّار وبقصة الصِّلْب وسيزيف - هنا الانفعال يستلج ذاته بذاته ولا يصمد ولا يدوم ، اذ لم يَتهَدِّ به الشاعر الى الحلقى والكشف بل انه يبذله في أشواق وتمنيات لا طائل من دونها . وكنا قد ذكرنا ان الانفعال لا شأن فينا له الا بقدر ما يكون وسيلة للاتصال بالحقائق الكامنة والدائمة والجديدة لان الشعر ليس اداة للطرب ولا وسيلة للهديان بالعواطف . والرومنسية لا تزال تُجْهَض في مثل هذه الابتهالات اللامجدية . فابو شادي هو أشد انفعالا من شوقي ، كما ان انفعالاته تطفو على لُحْجَةِ القصيدة ، لكنها تقصُر عن الرؤيا حيث يتحد الخيال والانفعال ، فتَشْخَص الحقيقة في إطار نفسيٍّ ابداعِيٍّ مُبتَكَرٍ . فهو اذ يبكي حبه الفاشل يقول :

وارقائي أدُمُّمي فحسي عزاء	أن يسر الحبيبُ من ايلامي
ويزفّ الجمالُ جنة قلبي	ضاحكا من فؤادي المترامي
زاعما اني به غير أهلي	وكذا يرتضي أمير خصامي

فالانفعال لا يعدو هنا العواطف الساذجة الفاشلة وبخاصة في تَعَزُّيه  
بفرح الحبيب لآلامه ، وفي ذلك التعبير النثري الساقط « أني به غير أهمل »  
حيث أسفّ الى نفايات الواقع لفظاً ومعنى .

وعلى الجملة ، نقول ان أبا شادي أباح للانفعال قليلاً أو كثيراً من الحرية  
لكنه لم يتقفه ولم يَتَعَوَّرْ به ولم يستطلع منه الرؤى فطمى عليه الغشاء  
والزبد وتسربت إليه عناصر نثرية كثيرة وغلبت الافكار وسطم الوضوح ،  
وهو في الشعر الكبير صنو السطحيّة ، لان الحقيقة الشعرية مظلمة تَعِيفُ  
عن التقرير والسرود والوصف والافكار وتنزل في رموزها المطلّة على المنحدر  
الأخر من النفس والوجود . وقد يكون ما أداه ذا قيمة بالنسبة الى عصره  
الا انه اذا حُكِّتْ وصُهِرَ ظهر زيفه واستبان فيه الأقداء . نقول ذلك  
كله دون أن نغفل عما عدنا ذلك من قيم طارئة على شعره وشعر سواه من  
معاصريه . الا ان المنحى العام والقيمة النهائية لمثل ذلك الشعر تتضاءل وقد  
تقدم أحياناً ، والله أعلم .<sup>(١)</sup>

## إليّاجمّاي

بجاز في الآداب

مدرس الادب العربي في دار المعلمين والمعلمات

بيروت

---

(١) أردنا أن نسوق هذه المقدمة على ضوء النقد المعاصر ، كي يتسنى للقارئ، أن يسمع صوتين  
متباينين في تقييم هذا الشعر ، كي يصدر ، في النهاية ، عن رأيه واقتناعه الخاصين به .



الأحمد شوقي  
الأحمد زكي أبو شادي  
بشارة الخوري



# المحدثون

حياته  
أغراض شعره  
مختار لآثاره من آثاره

بقلم  
الدكتور محمد مندور





## شوقي في سطور

- ولد سنة ١٨٦٨ في قصر الحديوي اسماعيل من أصل مختلط يجمع بين الدم التركي واليوناني والشركسي عن أبيه وأمه .
- تلقى دروسه الأولى في مكتب الشيخ صالح بالقاهرة ثم بمدرسة المبتديان التحضيرية ، وبعد الفراغ من هذا التعلم العام التحق بمدرسة الحقوق حيث انضم إلى قسم جديد للترجمة أنشئ فيها .
- توظف لمدة عام في قصر الحديوي .
- أرسله الحديوي توفيق في بعثة إلى فرنسا حيث درس القانون في مونبلييه وبإريس واتصل بالأدب والحضارة الفرنسية وترجم قصيدة البحيرة « للامارتين » . كما عرب وحاكى الكثير من قصص « لافونتين » على ألسنة الحيوانات . وألف أول مسرحية له وهي : علي بك الكبير أو « ما هي دولة المماليك » وطبعها بعد عودته من البعثة سنة ١٨٩٣ ثم أعاد صياغتها في أخريات حياته .
- توظف بالقصر الحديوي طوال حكم عباس الثاني أي منذ عودته من فرنسا حتى خلع الإنجليز عباس الثاني عن عرش مصر وأعلنوا الحماية عليها سنة ١٩١٤ . وفي تلك الفترة الطويلة نظم شوقي تركيياته وإسلامياته ومدائحه في الخليفة والحديوي .

- نفى الإنجليز شوقي سنة ١٩١٤ حيث أقام في أشبيلية طوال مدة الحرب العالمية الأولى ، وبعد انتهائها قام برحلة زار فيها آثار الأندلس العربية ، وفي أثناء نفيه كتب أندلسياته معارضاً البعثري والشريف الرضي وموشحات شعراء الأندلس .
- عاد إلى مصر سنة ١٩٢٠ في عنفوان الثورة وانسلخ بعض الشيء عن الامرة المالكة وتقرب من الشعب وأخذ يظهر اتجاهه العربي وإن ظل به رسيس من الاتجاه التركي القديم .
- في سنة ١٩٢٧ بايعه شعراء الأقطار العربية كلها بإمارة الشعر في حفل كبير أقيم بدار الاوبرا في القاهرة .
- منذ عام ١٩٢٧ أخذ ينشر تباعاً مسرحياته الشعرية والنثرية .
- توفي في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ بقصره المعروف باسم « كرمة بن هانيء » على ضفاف النيل بالجيزة .
- طبع شعره بعد وفاته باسم « الشوقيات » في أربعة أجزاء كما طبعت مسرحياته وقصصه النثرية المقامية الاسلوب ومقالاته أو فصوله المعروفة باسم « أسواق الذهب » ، كما طبعت منفصلة أرجوزته المطولة عن تاريخ العرب والإسلام .

## سيرة خمسائة الفنية

عندما ولد أحمد شوقي في سنة ١٨٦٨ كان أول هواء دخل رئتيه هو هواء قصر الخديوي اسماعيل ، وكان أول لبان رضعه مختلط الاصول والأنساب، فجذته لأمه جارية يونانية الاصل سماها اسماعيل وتزوجت هذه الجارية اليونانية من رجل تركي فأنجبت أم شوقي ، واما أبوه وجده لابنيه فشركيان ، ومع كل ذلك انصهرت كل هذه العوامل الوراثية في بوتقة البيئة العربية التي عاش فيها أحمد شوقي وتلقى ثقافته الاولى ، وأخذت اشعاعات تلك البيئة الناهضة تنفذ إلى روحه شيئاً فشيئاً حتى جعلت منه في الفترة الأخيرة من حياته وبعد عودته من منفاه في سنة ١٩٢٠ شاعر المجتمع العربي الجديد ، الناطق بلسانه والمعبر عن التيارات الغالبة في وجدانه في شعر فخم وموسيقى مجلجلة حملت الامة العربية كلها على أن تباعه بإمارة الشعر العربي الحديث في سنة ١٩٢٧ بلسان شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي وقف في حفل المباينة الضخم بدار الاوبرا بالقاهرة ليقول :

أمير القوافي قد أثبت مبايعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

وإذا كان أحمد شوقي قد توفي في ليلة ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٢ - وهو في

الرابعة والستين من عمره - فإنه قد شهد في حياته من التطورات السياسية والاجتماعية والادبية الشعرية ما كان له أبلغ الأثر في تطور حياته ومواقفه ومجالات القول في شعره ، بل وفنون الأدب التي عالجها وتجلت فيها موهبته الفذة . ويكفيه أنه عاصر ثورتين كبيرتين في حياة وطنه هما ثورة أحمد عرابي سنة ١٨٨٢ ، ثم ثورة الشعب المصري كله بزعامة سعد زغلول سنة ١٩١٩ ضد الاحتلال الإنجليزي . ثم شهد التحول التدريجي الكبير الذي حدث في وجدان الشعب العربي في مصر من ناحية التبعية للخلافة التركية إلى الشعور بالقومية العربية والزعمة الوطنية وهو الشعور الذي ظل يتصاعد حتى بلورته ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ في التحرر الوطني الكامل لكل قطر عربي من الاستعمار الاجنبي أياً كان نوعه تمهيداً للوحدة القومية التي نرجو أن تشمل العالم العربي كله من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي .

وكان لا بد لتلك الأحداث الكبرى من أن ينعكس تأثيرها على حياة أحمد شوقي واتجاهات تفكيره واحساسه فضلاً عن اتجاهاته فنه الشعري والأدبي وقوالبه وطرائق تعبيره وبخاصة وأنه قد ولد وترعرع في الفترة التي أخذ يلتقي فيها ويتفاعل التياران الكبيران اللذان تقوم عليها نهضة العالم العربي الحديث ونعني بها تيار البعث والتيار الاوروبي .

فمنذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي أخذت مصر تتخلص من عفونة القرون الوسطى التي طال عهدها بها في ظل الحكم التركي وحكم المماليك ، وتفتح نوافذها للنسب الشمال الآتية من اوروبا التي كانت قد سبقت شرقنا العربي إلى النهضة والحضارة الحديثة بثلاثة قرون . وبفضل هذا الاتصال باوروبا استطاعت مصر أن تعرف طريقها إلى النهضة الحديثة وأن تستفيد في تحقيقها من مخترعات الحضارة الجديدة وبخاصة من فن الطباعة فأُسست في حي بولاق في القاهرة المطبعة الأميرية وبفضل هذه المطبعة استطاعت أن

تبدأ حركة البعث أي بعث التراث العربي القديم على نحو ما ابتدأت النهضة الأوروبية قبل ذلك بثلاثة قرون ببعث التراث اليوناني والروماني القديم فأخذت مطبعة بولاق تطبع وتنشر أمهات الادب العربي كالآغاني لابي فرج الاصبهاني وغيره كما اخذت تطبع وتنشر دواوين فحول الشعراء العرب القدماء التي كانت لا تزال مخطوطة وغير متداولة ، وباستطاعتنا ان ندرك الانقلاب الشوري الذي احدثته حركة البعث بفضل فن الطباعة عندما تقارن بين شعر رائد البعث محمود سامي البارودي وشعر الجيل السابق له من امثال الحشاش والساعاتي حيث نرى الشعر العربي عند البارودي يسترد قوته وفخامه اسلوبه وسجدية موضوعاته بعد أن كان قد انحدر الى التفاهات والزخارف اللفظية الخاوية .

واذا كانت المطبعة قد أخذت تعمل منذ منتصف القرن التاسع عشر على بعث التراث العربي القديم لتغذي به وجدان الشعب العربي في مصر وتسدد من ذوقه الادبي عامة والشعري خاصة - فان اكتشاف العالم الفرنسي شامبليون لحجر رشيد في أواخر القرن الثامن عشر وتمكنه من حل طلاسم اللغة المصرية القديمة - قد فتح الباب أمام الباحثين لاكتشاف الحضارة المصرية القديمة وبالتالي الى تغذية وجدان الشعب المصري بأعجاده الاقدمين .

ومما لا شك فيه أن حركة البعث والاكتشاف:بعث التراث العربي القديم، واكتشاف الحضارة المصرية القديمة كانا الرافدين الكبيرين اللذين غذا في نفوس المصريين ،في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي فترة شباب احمد شوقي، ذلك الشعور القوي الدافق بكرامة الشعب المصري والثورة على امتحان حكامه من.أتراك.وماليك وشراكسة له ، واعتبارهم كل دخيل على مصر أسمى مرتبة وأجدر بالامتيانز على من كانوا يسمونهم عندئذ بالفلاحين . وكان هذا الشعور هو الدافع الاساسي لثورة أحمد عرابي وزملائه الخالدين ضد الخديوي توفيق وأذنا به من الاتراك والجراسكة .

ومع ذلك ظل حيا خلال القرن التاسع عشر في مصر تيار وجداني ثالث هو التيار الديني الاسلامي الذي استمر يربط جمهرة الشعب المصري بالخلافة التركية ، ويمكن الاتراك وحكام مصر من اسرة محمد علي من محاربة المشاعر الثورية حتى لنوى الحديوي نفسه يتهم الزعيم أحمد عرابي بالخروج على الخلافة وعلى الاسلام بالرغم من أن هذا الحديوي وأسرته كلها كانوا يعملون على الاستقلال بمصر عن تركيا والخليفة الذي يحكمها ، ولم يتورع محمد علي عن محاربتها . ولولا وقوف الدول الأجنبية الكبرى في وجهه لغزا الآستانة نفسها وقضى على الدولة التركية التي كانت تعرف عندئذ باسم الرجل المريض .

وسط كل هذه التيارات المتداخلة حيناً والمتلاطمة حيناً آخر ولد وترعرع أحمد شوقي . . وإذا كان رائد البعث الشعري في مصر وشاعره الأكبر محمود سامي البارودي — قد استجاب للتيار الثوري الذي أراد أن ينصف فلاحى مصر ، أي شعبها ، من غطرسة حكامه الاتراك واذئابهم ، فانضم الى الثورة العربية وحوكم بسببها ونفي الى جزيرة سيلان مع قادتها حيث اصيب بالعمى وعاد من المنفى محطاً — فان أحمد شوقي لم يستطع أن يقف مثل هذا الموقف ، ودفعته نشأته وأعرافه وظروف حياته الى أن يقف الى جوار الاسرة المالكة التي ولد في قصورها ونشأ في حجرها وظل حتى سنة ١٩١٤ ربيبا لها ، كما وقف خلال هذه الفترة كلها الى جوار تركيا والخلافة العثمانية وبخاصة بعد أن أخذت مصالح خديوي مصر تتفق مع مصالح تركيا والخلافة على أثر ما أخذ ينشب من خلاف بينه الانجليز الذين احتلوا البلاد بدعوة من توفيق وبمجة حماية عرشه . فرأينا الحديوي عباس الثاني خليفة توفيق يتضامن مع تركيا ويتوهم أن باستطاعة الاتراك أن يعينوه على الانجليز ويستغلوا في سبيل ذلك الشعور الديني عند المصريين ويوحى الى شاعره احمد شوقي بأن يضرب على هذا الوتر .

ولما كان أحمد شوقي قد تطور بعد سنة ١٩١٤ تطوراً كبيراً جارى فيه تيار

الوطنية المصرية وتيار القومية العربية وبخاصة بعد انتهاء فترة نفه في اسبانيا خلال الحرب العالمية الاولى ثم عودته الى الوطن في سنة ١٩٢٠ حيث وجد سيدا جديدا اسمه الشعب العربي في مصر وهو الشعب الذي قام بثورة سنة ١٩١٩ الخالدة مطالبا بالاستقلال التام عن إنجلترا وعن الأتراك على السواء وضرب على أوتار هذا التيار الصاعد الحنامدية حتى ارتضيناه اميراً لشعرائنا واعتبرناه من امجاد نهضتنا الحضارية الحديثة - فان من واجبنا أن نحاول فهم وتفسير مواقف هذا الشاعر العربي الكبير في النصف الاول من حياته على ضوء ظروف حياته الخاصة وما اكتنفها من ملابس قاسية .

فأحمد شوقي لم يولد بباب اسماعيل فحسب ، بل في احضان الاسرة المالكة ، وذلك لانها هي التي قامت على تعليمه وتنشئته في مراحل شبابه المختلفة اذ نراه يلتحق في طفولته بكتاب الشيخ صالح حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم ينتقل منه الى مدرسة المبتديان الابتدائية في القاهرة ومنها الى المدرسة التجريبية أي الثانوية التي ينتهي منها في الخامسة عشرة من عمره ليلتحق بمدرسة الحقوق .

ولما كانت هذه المدرسة العليا قد افتتحت عندئذ قسراً خاصاً بالترجمة يتخرج فيه الطلبة بعد عامين - فقد نصحه القصر بأن يلتحق بهذا القسم لكي يعمل بعد انتهائه منه في ادارة الترجمة بهذا القصر ، واستجاب أحمد شوقي طبعاً للتصحية وعمل فعلاً موظفاً في ادارة الترجمة بالقصر لمدة عام ، رأى بعدها الخديوي أن يرسل فتاه الى فرنسا في بعثة يدرس خلالها القانون بجامعة مونبلييه لمدة عامين فينتقل بعدها الى باريس لاكمال دراسته في جامعتها ، وليطلع على الآداب الفرنسية ويتصل بالحضارة الفرنسية ، وهكذا ظل القصر يعمده ويطويه تحت جناحه حتى استكمل ثقافته وتكون وجدانه .

واذا كان احمد شوقي قد ظل يعمل بعد عودته من دراسته في فرنسا موظفاً

في القصر الحديري حتى نحى الانجليز عباس الثاني عن عرش مصر سنة ١٩١٤ واعلنوا الحماية على البلاد ونصبوا السلطان حسين كامل حاكماً ، ونفوا أحمد شوقي مع عباس الثاني حيث ظل منفياً في إسبانيا طوال الحرب العالمية الاولى - فان أحمد شوقي لم يمتز بوظيفته في القصر بقدر ما اعتز بأن يعتبر شاعر القصر فيقول مفخراً :

شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللقب

ويا ليت ما عرف العزيز وما اعتز ولا حرص على أن يكون شاعره ، وذلك لانه وان يكن قد توهم في صدرشابه أن غاية المجد الشعري هو أن يصبح شاعر الامير الا أن اقامته في فرنسا واتصاله بأدائها الانسانية الواسعة لم يلبث أن فتح ناظريه على عوالم من الشعر والأدب أرحب بكثير من مدح الامير والضرب على الاوتار التي يظنها الشاعر كفيلة بأن تجمع القلوب حول أميره .

ولدينا وثيقة بالغة الاهمية تدل على الهزة القوية التي أحدثها الادب الفرنسي في نفس شوقي وتأثير هذا الادب على مفهوم الشعر عنده ونعني بها المقدمة التي كتبها احمد شوقي للطبعة الاولى التي صدرت من ديوانه سنة ١٨٩٨ وفيها يقول :

« إن إزال الشعر منزلة حرفة تقوم بالمدح ولا تقوم بغيره تجزئة يحل عنها ويتبرأ الشعراء منها ، إلا أن هناك ملكاً كبيراً ما خلقوا إلا ليتغنوا بمدحه ويتغنوا بوصفه ذاهبين فيه كل مذهب آخذين منه بكل نصيب ، وهذا الملك هو الكون . فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى يقلب احدى عينيه في الذر ، ويحيل اخرى في الندرا . يأسر الطير ويطلقه ويكلم الجماد وينطقه . ويوقف على النبات وقفة الطفل ، ويمر بالعراء مرور الوبل ، فهناك يفسح له مجال التخيل ويتسع له مكان القول ..



أو لم يكن من الغبن على الشعر والامة العربية أن يحيا المنني، مثلاً، حياته العالية التي بلغ فيها إلى أقصى الشباب ثم يموت عن نحو مائتي صحيفة من الشعر تسعة أعشارها للدوحين والعشر الباقي هو الحكمة والوصف للناس . هنا يسأل سائل : وما بالك تنهي عن خلق وتأتي مثله ؟ فأجيب بأني قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم ولا أجد أمامي غير دواوين الموتى لا مظهر للشعر فيها وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء ، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحاً في مقام عال ، ولا يرون غير شاعر الحديري صاحب المقام الاسمي في البلاد ، فما زلت أتمنى هذه المنزلة وأسمو إليها على درج الاخلاص في حب صناعتي واتقانا بقدر الامكان وصونها من الابتذال حتى وفقت بفضل الله اليها ، ثم طلبت العلم في اوروبا فوجدت فيها نور السبيل من أول يوم ، وعلمت أني مسؤول عن تلك الهبة التي يؤتيها الله ولا يؤتيها سواه ، وأني لا أؤدي شكرها حتى اشاطر الناس خيراتها التي لا تحد ولا تنفذ ، وإذا كنت اعتقد أن الاوهام إذا تمكنت من أمة كانت لباعيا بآدابها كالافعوان لا يطاق لقاؤه ، ويؤخذ من خلف بأطراف البنان ، جعلت أبعت بقصائد المديح من اوروبا مملوءة من جديد المعاني وحديث الاساليب بقدر الامكان ، الى أن رفعت الى الحديري السابق « توفيق » قصيدي التي أقول في مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء      والقواني يفرّهن الشناء

وكانت المدائح الحديرية تنشر يومئذ في الجريدة الرسمية وكان يحجر هذه أستاذي الشيخ عبد الكريم سلمان فرفعت القصيدة اليه وطلب منه أن يسقط الغزل وينشر المدح ، فود أليخ لو اسقط المديح ونشر الغزل ، ثم كانت النتيجة أن القصيدة برمتها لم تنشر . فلما بلغني الخبر لم يردني علما بأن احتراسي من المفاجأة في الشعر الجديد دفعة واحدة إنما كان في محله . وأن الزلل معي إذا انا استعجلت . ثم نظمت روايتي « علي بك الكبير أو فياهي دولة المماليك »

معتدا في وضع حوادثها على أقوال الثقاة من المؤرخين الذين رأوا ثم كتبوا،  
وبعثت بها قبل التمثيل بالطبع الى المرحوم رشدي ليعرضها على الحديري  
السابق ، فوردني منه كتاب باللغة الفرنسية يقول في خلاله : أما روايتك  
فقد تفكه الجناب العالي بقراءتها وناقشني في مواضع منها وناقشته وهو يدعو  
لك بالمزيد من النجاح ، ولحجب ألا تشغلك دروس الحقوق التي يمكنك تحصيلها  
وأنت في بيتك بمصر عن التمتع من عالم المدينة القائمة امامك ، وان تأتينامن  
مدينة النور « باريس » بقبس تستضيء به الآداب العربية ... وترجمت  
القصيدة المسماة « بالبحرية » من نظم لامارتين وهي من آيات الفصاحة  
الفرنساوية ، ثم أرسلتها الى المشار اليه في كراس وبعض كراس ليطلع الجناب  
الحديري عليها . واذا كنت لا تأخذ لشعري مسودات رجوت أن أجد لها  
عنده بعد العودة الى مصر ، ثم عدت دون ذلك عواد ، وجربت خاطري  
في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهير وفي هذه المجموعة شيء من  
ذلك » .

من هذه الوثيقة الخطيرة تحس أن أحمد شوقي قد وعى اثناء اقامته في  
فرنسا واتصاله بأدائها بحقيقة الادب والشعر ومجالاتها الرحبة وأدرك الفارق  
الواسع بين الشعر العالمي الانساني النزعة ، وتقاليد الشعر العربي التي خنقته  
في مجال المديح . وفي عبارات شوقي السابقة ما ينبض باللوعة والاسى لرؤية  
عوالم الشعر الواسعة ، وخوفه من ان يلج رحابها ويتمرد على تقاليد قومه التي  
يشبهها بالافعوان أي الثعبان الذي لا يطاق لقاءه ويؤخذ من خلف بأطراف  
البنان ، وبخاصة بعد أن عززت التجربة مخاوفه ، فهو حتى في مجال المدح لا يستطيع  
أن يتحامل كما كان يفعل شعراء العرب القدماء فيتنزل أو يتحدث عن المرأة قبل ان ينتقل  
الى المديح ، وما هو القصر يريد أن يحذف من قصيدته مطلقا الغزلي حتى لا ينشر  
في الجريدة الرسمية غير مدحه للأمر . وإذا اعترض على هذا الحذف أديب  
مرهف الذوق كالشيخ عبد الكريم سلمان كانت النتيجة اهمال القصيدة كلها

وعدم نشرها . وما هو يرى الشعر في فرنسا لا يقتصر على الفن الغنائي الذي عرفه القدماء بل يشمل أيضاً الفن القصصي والفن الدرامي ، فضلاً عن أن الفن الغنائي يمكن أن يقتصر على التعبير عن التجارب العاطفية لقاتله على نحو ما أحس شوقي في قصيدة « البحيرة » الخالدة وأشبابها للامرتين وغيره ، فيأخذ لغوره في ترجمة ومحاكاة كل هذه الفنون على نحو ما ينبئنا من أنه قد ترجم البحيرة وأرسلها إلى رشدي وزير الحديوي فضاعت ولم نعلم لها على أثر حتى اليوم ، كما حاكى قصص لافونتين على لسان الحيوانات وألف أول مسرحية شعرية له وأرسلها للخديوي الذي تفكر بها . وأحس الشاعر بأن ما يريده منه الخديوي هو قصائد المدح والضرب على الاوتار التي يمكن أن تضمن لهذا الخديوي ولاء الشعب والتفافه حوله . وإذا كان أحمد شوقي قد جازف مع كل ذلك فطبع ونشر طائفة من قصص الحيوانات التي حاكى فيها شاعر هذا الفن الكبير لافونتين في الطبعة الاولى التي أصدرها من ديوانه سنة ١٨٩٨ كما طبع الصورة الاولى لمسرحية « علي بك الكبير » أو فيما هي دولة المماليك » في سنة ١٨٩٣ بعد عودته من فرنسا - فاننا نلاحظ أنه قد أفلح نهائياً عن هذه النزعات التجديدية المتمردة بمجرد عودته إلى القصر حيث أخذ ينظم القصائد في مدح الخديوي وأسرته حيناً وفي التغني بأعجاد تركيا والخلافة أو النبي والإسلام . وهذه هي مرحلة التركيات والاسلاميات والمذائح في النصف الأول من حياة أحمد شوقي وهو النصف الذي يمكن القول بأنه قد انتهى بعزل الخديوي عباس الثاني عن العرش وإعلان الحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤ ونفي الانجليز لآحمد شوقي شاعر الخديوي الذي اختار مدينة أشبيلية موطناً لمنفيه وظل بها حتى سنة ١٩٢٠ حيث سمح له الانجليز بالعودة إلى الوطن .

وكان شوقي يحس كما رأينا بالسجن الذي ضربه القصر حول موهبته الشعرية وخاصة في عصر عباس الثاني الذي أصبح شوقي ظلاً له أو بوقاً .

ولسنا ندري استعباداً أشق من استعباد الموهبة كما نحسب أن الموهبة القوية لا يمكن أن تستسلم لسجنها استسلاماً تاماً ، بل لا بد أن تحاول التنفس والاندلاق ولو من خصائص السجن ، وهذا ما فعله شوقي بين الحين والحين .

فقد كانت لشوقي ككل إنسان تجاربه الخاصة ووجدانه الفردي بصرف النظر عن نوعية هذه التجارب وذلك الوجدان ، وكان يرى شاعر البعث الضخم محمود سامي البارودي يتغنى في شعر رائع بتجارب حياته وهي تجارب كانت عاتية بحكم اشتراك البارودي في الحروب كقائد جيش وفي الثورة العربية كزعيم وطني حوكم ونفي ولاقى في نفيه الأهوال . ولم تكن لاحد شوقي بحكم ظروف حياته ونشأته مثل تلك التجارب العاتية ، ولكنه مع ذلك كان يعيش بالضرورة حياته المترقصة في مصر وفرنسا ثم في مصر ثانية قبل أن يفادها إلى المنفى وكان لا بد أن يتقمل وجدانه أو على الأقل تتفعل حواسه بتجارب حياته المرهقة وما فيها من مشاهدات وان يتحدث في شعره عن بعض تلك التجارب وهذا ما فعله بين الحين والآخر حيث نعت في شوقياته على بعض قصائد في التغني بالحر والرح مثل قصيدة :

حف كأسها الحب      فهي فضة ذهب

وقصيدة :

رمضان ولي هاتها يا ساقى      مشنقة تسعى إلى مشنق

والظاهر أن شوقي قد فطن منذ إقامته في فرنسا إلى الاتجاه التاريخي في قرض الشعر . ومن المؤكد أنه سمع ورأى الفرنسيين يشيدون بملحة فيكتور هيجو التاريخية « أسطورة القرون » وخاصة أن إقامته في فرنسا كانت عقب وفاة هذا الشاعر الضخم مباشرة وكان ذكره لا يزال يتردد على كافة الألسنة . وأحس شوقي بأن في معين التأريخ ما يمكن أن يمد به نبع ثر ، كما أحس بأن في التغني بأبجاء الماضي ما يغذي وجدانه شعبه الذي كان يحرص

كل الحرص على نيل إعجابه ليصبح أمير الشعراء بعد أن أصبح شاعر الامراء ومنذ ذلك الوقت انصرفت قراءات أحمد شوقي الى التاريخ وأصبح هذا النوع من القراءة هو ديدنه طوال حياته . ولما كان شعب وطنه يعيش في فترة بعث لأجاده العربية والمصرية على السواء فقد انصرفت همه بالضرورة الى القراءة في تاريخ العرب وتاريخ مصر القديمة . ولكنه لما كانت الدعوة الى القومية العربية لم يشتد بعد عودها في مصر بل وكانت الاسرة المالكة تنظر الى مثل تلك الدعوة بعين الريبة لاحساسها بأنها تتعارض مع الدعوة الى القومية الطورانية أي العثمانية التركية والدعوة الى الجامعة الاسلامية - فقد أحس شوقي بأن طريقي السلامة هي أن يعود الى تاريخ مصر الفرعونية وبخاصة وأن عملية الكشف عن الحضارة المصرية القديمة كانت قائمة على قدم وساق وكان الخديوي اسماعيل قد نادى بالدعوة الى اعتبار مصر قطعة من أوروبا لا قطعة من الشرق أو من العالم العربي . واتجه التفكير الى ان الاشادة بحضارة مصر القديمة والعمل على بعث تلك الحضارة هو خير مؤهل لأدخالها ضمن الحضارة الاوروبية وأكبر الظن أن كل هذه الاعتبارات هي التي دفعت أحمد شوقي الى ان يختار تاريخ مصر موضوعاً لأول مطولة تاريخية حاول ان يحاكي أو يعارض فيها « اسطورة القرون » وأن يخصص الجزء الاكبر منها لتاريخ الفراعنة . وقد نظم هذه المطولة بعد عودته من فرنسا ببضع سنوات ليلقيها في مؤتمر المستشرقين الذين انعقد في جنيف سنة ١٨٩٤ وانتدبت الحكومة المصرية لينقلها فيه وعنوانها « كبار الحوادث في وادي النيل » ومطلعها :

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بن ثقل الرجاء

وهي قصيدة طويلة تتم عن طول النفس وفخامة الاسلوب وجهازة الرنين الموسيقي على النحو الذي يلائم هذا النوع من الشعر .

وباستطاعتنا أن ندرك مدى تأثر موهبة شوقي الشعرية بلباسات حياته

وثغير المؤثرات التي خضعت لها تلك الحياة عندما نذكر ان شوقي بعد نفيه في اسبانيا واقامته في أشبيلية منقيا خمس سنوات قضاها في قراءة تاريخ العرب عامة وتاريخهم في الأندلس خاصة ، ثم انتهاء تبعية مصر لتركيا وظهور القومية العربية في المشرق العربي ضدالقومية التركية – كل ذلك وجه عبقرية شوقي الى كتابة مطولته التاريخية الثانية عن « دول العرب وعظماء الاسلام » المعروفة باسم « أرجوزة العرب » والمنشورة في مجلد خاص . وهي أرجوزة بعيدة عن أن تكون من روائع شعره وربما كانت الى النظم التعليمي أقرب منها الى الشعر في الكثير من اجزائها الرجزية وربما كان خير ما فيها الموشح الذي كتبه عن « صقر قريش ، عبد الرحمن الداخل » وهو موشح ألحق بالارجوزة لاتصاله بموضوعها وان اختلف عنها وزنا وروحا .

ولما كانت نزعة المعارضة هي الغالبة على انتاج أحمد شوقي الشعري في مدة نفيه فأننا نراه يعارض بموشحه الجميل عن عبيد الرحمن الداخل موشحين أندلسيين شهيرين أحدهما لابراهيم بن سهل ومطلعه :

هل درى ظي الحى أن قد حمى      قلب صب حله عن مكنس  
فهو في حر وخفق مثما      لعبت ريح الصبا بالقبس

والثاني الوزير بن الخطيب ومطلعه :

جادك الغيث اذا الغيث همى      يا زمان الوصل بالاندلس  
لم يكن وصلك الا حلما      في الكرى أو خلصة المحتلس

واما موشح شوقي فمطلعه :

من لنضو يتنذى ألما      برج الشوق به في الفللس  
حن للبان وناجى العلما      أبرز شرق الارض من اندلس

وكان احمد شوقي يحرص دائما على أن يضرب على النور الاسلامي ، ولقد

يكون لهذا الوتر رنين خاص في نفسه ، وذلك أنه من المؤكد ان انغام هذا  
آلوتر كانت تلعب دوراً كبيراً في جذب الشعب الى الخلافة والى ممثلها في مصر  
خديوي البلاد . وشوقي بالمزف على هذا الوتر كان يرضي الشعب والحديري  
على السواء ، بل ويشجعي المسلمين في كافة أقطارهم الناطقة بالضاد . ومن هنا  
يعمر ديوانه بالاسلاميات مثل « نهج البردة » في حياة الرسول ، وفيها يعارض  
بردة البوصيري الشهيرة ويستهلها بقوله :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الاشهر الحرم

وهي بأسلوبها الشعري وصورها وأخيلتها وعذوبة موسيقاها من روائع  
شعره ويلحق بها في الاتجاه وان كان دونها في الجودة « الهمزية النبوية » :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

بل ويستغل أحمد شوقي أحياناً مناسبة ذكرى المولد الشريف ليشيد بمجد  
الرسول ، ويرنح المسلمين بأرق النغمات الدينية في مثل قصيدته « ذكرى  
المولد » التي مطلعها :

سلوا قلبي غداة سلا وثابا لعل على الجمال له عتابا

وكان لا بد لأحمد شوقي كشاعر حي الوجدان من أن ينفعل بما شاهد من  
حواله في وادي النيل وفي رحلاته الى الخارج من آيات الطبيعة وأن يتغنى  
بكل ذلك ، ولكننا نلاحظ أنه سار في فن الوصف على النهج العربي التقليدي  
فجاء وصفه أقرب الى الوصف الفني الحسي منه الى الوصف الرومانسي الذي  
يخلع فيه الشاعر أحاسيسه على الأشياء ويبادلها العواطف ، وكأنه يفكر  
خلالها وتفكر خلاله ، وذلك بالرغم من أنه قد عاصر شاعرا عربيا كبيرا  
نهج هذا النهج الحديث في هذا الفن ، وهو الشاعر خليل مطران صاحب

قصائد « الماء » « والاسد الباكي » كما انه لم يحاول ان يتخذ من مشاهد الطبيعة اطارا لتجارب عاطفية على نحو ما فعل من بعد، الشاعر المشجي علي محمود طه في وصفه لرحلاته بأوروبا في «الجدول» « وبحيرة كومو » وكثير غيرهما . واذ كانت هناك عناصر معنوية تتخلل وصف شوقي فهي عناصر اخلاقية عامة او سياسة اجتماعية ولا نكاد نستثني من ذلك غير قصيدته في « زحلة » التي مزج فيها الوصف باحاسيسه الخاصة واطلق فيها نغمات ذاتية مشجبة في الشباب الذي ولى ولم يعد قادرا على الاستجابة لتداء الحب ، فيقول في مطلعها :

شيعت احلامي بقلب باكي . ولمت من طرق الملاح شباكي  
ورجعت ادراج الشباب وورده امشي مكانها على الاشواك  
ويحاني واه كأت خفوقه لما تلفت جهشه المتباكي  
شاكي السلاح اذا خلا بصلوعه فاذا اهب به فليس بشاكي

وبالرغم من ان حياته في مونيخ وفي باريس ومشاهداته فيها كانتا في غضاضة الشباب حيث الروح متفتحة والحس متقد — الا اننا نلاحظ ان ما قاله في وصف تجاربه ومشاهداته في فرنسا اقل واضعف بكثير مما قاله في البوسفور والآستانة اللذين اخذ يتردد عليهما بعد ذلك بمفرده او في صحبة الحديوي عباس الثاني ، ولا غرابة في ذلك فقد كان يعتبر الآستانة ومفائن الطبيعة فيها موطنه الروحي ، وجملة ما قال في وصف مشاهداته وتجاربه في فرنسا لا يعدو بضعة قصائد مثل «باريس» ومطلعها :

جهد الصبابة ما اكابد فيك لو كان ما قد ذقتك يكفيك

وهي قصيدة قالها في التفجع على ضرب باريس اثناء الحرب وتغنى فيها باعجاد باريس مثل قوله :



زعموك دار خلاعة ومجانة      ودعارة يا إفلك ما زعموك !  
ان كنت للشهوات ريا فالعلا      شهواتهن مرويات فيك  
تلدين اعلام البيان كأنهم      اصحاب تيجان ملوك اريك

ثم قصيدة « غاب بولونيا » التي يتغنى فيها بنسبات خافتة من ذكريات  
شبابه في تلك الغابة الشهيرة ، وان تكن التجربة الشعرية فيها غائمة غير حادة  
الملامح ، وفيها يقول :

يا غاب بولون ولي      ذمم عليك ولي عهد  
زمن تقضى للهوى      ولنا بظلك هل يعود  
حلم اريد رجوعه      ورجوع احلامي بعيد  
وهي الزمان أعادها      هل للشبابة من يعيد

وان يكن ما في هذه القصيدة من شحن يكسبها عطرا انسانيا نفاذا .  
واذا اضعنا الى ذلك اربعة أبيات كتبها عن « ميدان الكونكوردي » الذي  
تحول من ساحة ثورية الى « ميدان الوفاق » كما يدل اسمه بعد الثورة الفرنسية  
الكبرى ، ثم قصيدة كتبها « على قبر نابليون » نكون قد أحصينا تقريبا  
حصيلته الشعرية من فرنسا واقامته في عصر الشباب المبكر قرابة أربعة  
اعوام .

وذلك بينا نجد له في الآستانة ومشاهدها وفي البسفور ومفاته عدد كبيراً  
من القصائد الوصفية الحارة ، مثل قصيدة « كوك صو » أي « ماء السماء »  
وهو اسم خليج في البوسفور ، وهو يستهلها بقوله :

تحية شاعر يا ماء (جكسو)      فليس سواك للارواح أنس

وفيدي ماء جكسو بحياة دجلة وزمزم والاردن والنيل فيقول :

فدتك مياه دجلة وهي سعد      ولأ جعلت فداءك وهي لحس  
وجاءك ماء زمزم وهو طهر      وأمواه على الاردن قدس  
وكان النيل يعرس كل عام      وأنت على المدى فرح وعرس

ثم قصائد « مسجد أياصوفيا و « البسفور » و « جسر البسفور » وغيرها  
ومع ذلك فيقتضينا الانصاف أن نقرر ان أحمد شوقي قد خص مصر ومشاهدها  
الطبيعية والأثرية كما خص عددا من مشاهد البلاد العربية كدمشق ولبنان  
وزحلة وغيرها بالكثير من روائعه الوصفية الوطنية ، وبخاصة في الفترة  
الأخيرة من حياته وهي الفترة التي تبدأ بعودته من المنفى سنة ١٩٢٠ وتحorre  
من التبعة الحديوية التركية وانطلاقه مع التيار الوطني والعربي القومي على  
نحو ما سنرى عند حديثنا عن تلك المرحلة العظيمة من حياته .

ولواننا أضفنا الى تأيخيات أحمد شوقي واسلامياته ووصفياته عدة مقطوعات  
كتبها فيما يسميه ناشر « الشوقيات » بالنسب وهي منشورة في القسم الأخير  
من المجلد الثاني ولا نحسبها من روائعه لان ارسقراطية شوقي منعه فيما يبدو  
من أن يفصح مشاعره العاطفية على نحو حار يدخله ضمن شعراء الغزل - لو  
جمعنا كل ذلك ووضعناه جانبا لتبقى لنا من « الشوقيات » ما نسميه بشعر  
المناسبات الذي يشمل الجانب الأكبر من إنتاج شوقي الشعري وهو الجانب  
الذي ثار حوله الجدل العنيف والمعارك الطاحنة وعلى أساسه يتلون الحكم  
النهائي على هذا الشاعر الكبير .

والواقع أن طموح شوقي الى ان يصبح شاعر الأمير وامير الشعراء في  
نفس الوقت قد ساقه الى ان يصبح شاعر المناسبات الذي يتحدث باسم  
الحديوي حيناً وباسم الشعب والأمة كلها حيناً آخر ، وكان في كل ذلك  
يحرص على ان يقول ما يرضي الغير أكثر مما يحرص على ان يقول ما يرضيه  
هو ، ولم يكن ما يرضي الغير يرضي الجميع بل كان يضطر أحيانا الى ان

يقول ما لا يرضي عامة الشعب مثل قصائده في ذم الزعيم الشعبي أحمد عرابي  
ارضاء للبيت المالک الذي ثار ضده عرابي، وهي قصائد لم تنشر في «الشوقيات»  
ولكن أحد كبار مؤرخينا العرب المعاصرين وهو الدكتور محمد صبري قام  
بجمعها واعدادها للطبع ويكفي ان نورد هنا بيتا مشهوراً من قصيدة تلقى  
بها احمد شوقي الزعيم عرابي وهو عائد من منفاه وفيه يقول :

صغار في الذهاب وفي الاياب      اهذا كل حظك ينال عرابي

ولم يقتصر احمد شوقي على مناسبات وطنه مصر بل مد مجال القول الى  
المناسبات التركية والخلافة العثمانية فكتب المطولات في الاشادة بانتصارات  
الخليفة في الحروب على نحو ما فعل في قصيدة «صدى الحرب» التي يصف فيها  
الوقائع اليونانية العثمانية ويستهلها بقوله :

بسيفك يعلو الحق والحق اغلب      وينصر دين الله ايمان تضرب

وهي مطولة تشبه الملاحم وقد قسمها الى اجزاء كأنها الاناشيد في ملحمة  
فجزء بعنوان «ابوة امير المؤمنين» وآخر عن «الجلوس الاسعد» وثالث  
بعنوان «حلم عظيم وبطش أعظم» ثم أجزاء عن «معجزات الجنود على  
الحدود» «وزينب بني عثمان» «والحالة في بحر الزوم» «ومنعة السواحل  
العثمانية» و«زينب المتطوعة في موقعة» و«مضيق مالونا» و«الحاج  
عبد الازل باشا» و«هزيمة طرناو» و«التلاقي على سهل فرسالة»  
و«غضب دوموكو» و«أحلام اليونان» و«عفو القادر» ويختتم هذه  
الملحمة الضافية بمقطوعة عنوانها : «التباس القبول» وفيها يرجو مولاه  
الخليفة ان يتقبل قصيدته فيقول :

أمولاي غنتك السيوف فأطربت      فهل ليراعي ان يغني فيطربوا  
فعندي كما عند الظبا لك نعمة      ويختلف الانعام للأنس أجلب

ومن المؤكد ان موقف احمد شوقي من الخليفة كان شديد الشبه من موقفه من الحديوي عباس ، بل هو موقف واحد يناصر الحاكم وتبعه ويقف الى جواره حتى عندما يصطدم الحاكم بالشعب ، فعندما قسام احرار الاتراك بحركتهم الشهيرة التي طالبوا فيها بالحكم الدستوري الذي يحد من طغيان الخليفة عبد الحميد وفساده ونالوا هذا الدستور ، ثم عاد عبد الحميد وحاول الغدر به فاسقطوه عن العرش - نرى شوقي يتفجع على عبد الحميد وجواريه وبذخه المشين ، وان يكن قد حاول في نفاق معيب ان يسترضي ايضاً الاحرار المنتصرين ، وذلك في مطولته الرنانة « الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد » التي يستهلها بقوله :

سل بلدزا ذات القصور	هل جاءها نبأ البدور
لو تستطيع إجابة	لبكتك بالدمع الغزير

ثم يقول عن الاحرار الثوار :

دخلوا السرير عليك يحتكون في رب السرير  
أعظم بهم من آسرين وبالخليفة من أسير  
أسد هصور أنشب الاظفار في أسد مهصور

ومن الواجب ان نذكر هنا أن مصر كان يقيم فيها عندئذ شاعر كبير لجأ اليها هارباً من بطش عبد الحميد وهو ولي الدين يكن الناصر العنيف الذي لم يرقه موقف أحمد شوقي وما فيه من نفاق مرذول فرد عليه رداً عنيفاً بقصيدة قوية سماها أيضاً « عبرة الدهر » وافتتحها بقوله :

هاجتك حالية القصور	وشجتك آفة البدور
وذكرت سكان الحمى	ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغزير	ير لباعت الدمع الغزير

وبعد أن يعدد مكاسي عبد الحميد وظلمه وفجوره ينتهي الى التعريض  
بشوقي ومن نحوه من الشعراء فيقول :

لما أدبل من السرير	بكاه عباد السرير
نذروا النذور لعوده	هيات يرجع بالنذور
أسفوا عليه وانما	أسفوا على المال الدير

إذا كان أحمد شوقي قد تحرر بعد المنفى بعض الشيء من هواه التركي  
الواضح وأخذ يتجه نحو الشعب العربي في مصر وغيرها من الاقطار العربية  
التي حاربت الاتراك اثناء الحرب العالمية الاولى سعياً لتحررها من حكمهم  
الاسود ، وواجهوا الدعوة الى الجامعة العثمانية الاسلامية بالدعوة الى القومية  
العربية - فاننا نلاحظ ان تحرر شوقي من هذا الهوى الدفين لم يكن تاماً ،  
اذ ظلت اوثاره تعزف لانتصارات الاتراك فلا يكاد الزعيم مصطفى كمال ينتصر  
على اليونان في اعقاب الحرب العالمية الاولى بأسيا الصغرى حتى يشيد شوقي  
بانتصاره في قصيدة قوية بعنوان « انتصار الاتراك » في الحرب والسياسة  
ومطلعها :

الله اكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

ومع ذلك لا يكاد مصطفى كمال يلغي الخلافة ويخلص الحكم في تركيا  
منها ومن كل ما كان قد تطرق اليها من فساد واخلال واستبداد حتى يتفجع  
شوقي على هذه الخلافة وبرئيسها رثاء حاراً في قصيدته « خلافة الإسلام » حيث  
يستهلها بقوله :

عادت اغاني العرس رجع نواح	ونعيت بين معالم الافراح
كفنت في ليل الزفاف بشوبه	ودفنت عند تبلج الاصباح

\*\*\*

ضجبت ، عليك مآذن ومنابر      وبكت عليك ممالك ونواحي  
الهند والهة ومصر حزينة      تبكي عليك بدمع سحاح  
والشام تسأل والعراق وفارس      أحمأ من الارض الخلفة ماحي

ولا يتسع المقام لمتابعة تركيبات شوقي ومواقفه السياسية والدينية فيها ،  
فنتنقل الى مصرياته ومواقفه من أحداث مصر الكبرى خلال حكم الخديوي  
عباس الثاني أي حتى سنة ١٩١٤ فنراه يقول أو يصمت وفقاً لموقف الخديوي  
ووجهه . ولما كان طموحه لم يقف - كما قلنا - عند حد شاعر الامير ، بل  
كان يسعى أيضاً الى أن يحظى بامارة الشعر عن طريق الصحف التي حرص  
دائماً على توثيق صلته بها وبأصحابها ومحرريها - فاننا نراه يحتال على الامر ،  
فاذا انطلق جنود الاحتلال الانجليزي الى قرية دنشواي بمحافظة المنوفية في  
دلتا النيل ليصيدوا حزام الاهالي وحاول أهل القرية منهم ، واخذ الفرع بقلب  
احدهم فانطلق يعدو كالمجنون حتى سقط من وهج الشمس القاتل واتهيم  
الانجليز اهل القرية بالاعتداء على جندهم وحاكمهم فوراً بحكمة صورية قضوا  
فيها دشتق البعض في بيدر القرية وجلد الآخرين ، وذلك في سنة ١٩٠٦ ،  
وهاجت البلاد كلها بزعمامة مصطفى كامل الذي لم يكتف بإثارة شعب مصر  
ضد الانجليز الظالمين المعتدين ، بل سافر الى اوربا ليستثير ضدهم جميع  
الاحرار ، وقال الشعراء القصائد في هذا الحادث الوطني الشهير -  
لزم احمد شوقي الصمت لأن الخديوي فيما يبدو لم يكن يريد أن يخوض  
المركة مع الشعب بالرغم من كرهه عندئذ للمعتمد البريطاني كرومر ، ولعله  
قد تلقى عندئذ من لندن وعداً بتخليصه من كرومر وبدء ما عرف بعدها  
الحادثة بقليل باسم سياسة الوفاق بين الانجليز والقصر وهي السياسة التي نفذها  
غورست خليفة كرومر بمصر . وأخذ الشعب المصري يتساءل عن صمت شوقي  
المريب وهو الشاعر الذي عوده متابعة الاحداث والمناسبات النافذة وغير  
النافذة ، مما اضطر أحمد شوقي بعد مرور عام على ذلك الحادث ان ينظم

مقطوعة بعنوان « ذكرى دنشواي » ومطلعها :

يا دنشواي على رباك سلام      ذهبت بآنس ربوعك الايام

وكان أحمد شوقي يحجر بصداقته للزعيم الوطني الكبير مصطفى كامل عندما توثقت صلة مصطفى كامل بالحدادي عباس الثاني الذي أخذ يده بالعون المادي والادبي في محاربته للانجليز واحتلالهم لمصر بعد أن فسدت علاقة الحدادي بهم على أثر تجرؤ الحدادي على انتقاد نظام الجيش المصري الذي كان يتولى قيادته عندئذ اللورد كاتشر ، وذلك على أثر مشاهدته لمرض عسكري في وادي حلفا يجنوب الصعيد فغضب اللورد كرومر وطلب من الحدادي الاعتذار للورد كاتشر ، وأخذت الحدوي العنجهية التركية فرفض هذا الاعتذار ولكن وزيره رياض باشا صديق الانجليز ظل يلح عليه حتى حمله على ارسال برقية الى كاتشر يشي فيها على نظام الجيش ، وزادت هذه الهزيمة من الجرح الذي أصاب كبرياء الحدوي ، فأخذ يناصب الانجليز العداوة مستخفياً ، وعن طريق مؤازرته السرية لحركة مصطفى كامل ، حتى كانت حادثة دنشواي التي عجلت بسحب كرومر من مصر وتعيين غورست خلفاً له وبدء سياسة الوفاق بين الانجليز والقصر الملكي ، وعلى أثر ذلك انسحب الحدوي من مؤازرته مصطفى كامل وحركته الوطنية، ووجه مصطفى كامل الى الحدوي على صفحات الصحف خطاباً مفتوحاً يكشف فيه عن تحول موقف الحدوي وكانت القطيعة بينهما ، ثم أنشبت المنية أظفارها في الزعيم الوطني بعد ذلك بقليل وراثه شعراء العربوة فيما عدا شوقي الذي التزم الصمت فترة طويلة ولم ينطق إلا بعد أن استوثق من عدم إغضاب الحدوي . وعند ذلك فقط نظم قصيدته الشهيرة :

المشرقان عليك ينتحبان      قاصبها في مأثم والداني

وهي قصيدة فخمة الاسلوب قوية الرنين الموسيقي ولكن الشاعر لم يتحدث

فيها عن زعامة مصطفى كامل وجهاده الوطني مكتفياً ببعض نغمت التفعج  
الشخصي وفيض من التأمل في الحياة والموت وما الى ذلك من الافكار الدارجة  
التي تدور حول الموت والحياة مثل قوله :

دقات قلب المرء قائلة له انت الحياة دقائق وثواني

وأما غضبات شوقي الوطنية فلم تظهر الا بوحى من الحديري عندما غضب  
كرومر وغاضب بالتالي أذنايه من أمثال رياض باشا الذي وقف يوماً يشيد  
بفضل الانجليز على مصر ونشرهم للحضارة فيها في حفل افتتاح مدرسة  
محمد علي الصناعية بالقاهرة وذلك رغم اشتداد الخلاف عندئذ بين عباس  
والمعتمد البريطاني كرومر فلم يكذب فجر الصباح التالي يبرغ حتى كان شوقي  
قد نظم قصيدته الشهيرة ضد رياض باشا وفيها يقول :

غمرت القوم اطراء وحدا	وم غمروك بالنعم الجسام
خطبت فكنت خطبا لاخطيبا	أضيف الى مصائبنا العظام
لهجت بالاحتلال وما اتاه	وجرحك منه لو احسست دامي
وما أغناه عن قال فيه	وما أغناك عن هذا الترامي

وينجح مصطفى كامل وأحرار مصر في التعجيل بتخليص البلاد وتخليص  
الحديري عباس من اللورد كرومر صاحب مذبحه دنشواي وخصم عباس اللورد،  
فيقام حفل رسمي شكلي لتوديع كرومر الذي يقف في هذا الحفل ليشتد  
بأفضال الانجليز على مصر وينسب اليهم الفضل في نهضتنا الحضارية . ويغضب  
الحديري طبعاً لأنه يريد أن يحتكر الفضل لأسرته الحاكمة ويترجم شاعره  
أحمد شوقي عن هذا الغضب في قصيدته القوية الجامعة بين العاطفة والسخرية  
اللاذعة ووداع اللورد كرومر ومطلعها :

أيامكم أم عهد إسمعيل	أم أنت فرعون تسوس النيل
أم حاكم في أرض مصر بأمرة	لا سائل أبداً ولا مسئولاً



وأما مدائح شوقي في الحديوي عباس الثاني وآبائه واجداده من أسرة محمد علي فكثيرة ولا داعي للوقوف عندها . وإذا كان شوقي في مقدمة الطبعة الأولى لديوانه قد تفجع على الشعر العربي وعلى بعض من فطاحله أمثال المتنبي الذي بدد جزءاً كبيراً من طاقته الشعرية الجبارة في المديح - فانتنا كنا نرجو لو استطاع أن يقف من أميره عباس الثاني موقف المتنبي من سيف الدولة مثلاً ، وإن كنا نعتقد أننا بذلك نطالبه بما يخالف طبعه ، وبما يخالف حقيقة عباس الثاني الذي لم يقف إلى جوار الوطنيين ضد الانجليز المحتلين إلا لخلاف شخصي بينه وبين المعتمد البريطاني اللورد كرومر ، حتى إذا غيرت المجلثا معتمدها وأعلنت سياسة الوفاق صالح الحديوي الانجليز واعرض عن الوطنيين بل وحاربهم في السر والظهر .

وأيّن كل هذا من موقف سيف الاسلام حامي ثغور العرب والمحارب الشجاع الذي وقف كالسد المنيع في حلب ضد غزوات الروم مما حمل المتنبي على حبه والاعجاب به ومدحه بلغة أجمع النقاد القدماء والمحدثون على أنها كانت لغة الغزل لا المديح، لغة الصدق والاعجاب لا الزلفى والنفاق والتقلب ، وآية ذلك أن المتنبي ظل طوال حياته يحن إلى سيف الدولة ويتغنى ببطولته وأيام اقامته إلى جواره ، وكان المتنبي من الكبراء والاعتزاز بالنفس وبموهبتة الشعرية الفذة بحيث يرى نفسه صديقاً أو نداءً لسيف الدولة لا تابعاً مداحاً ، وذلك بينما نحس من مدائح أحمد شوقي أنها كانت مجرد صناعة وإنه لم يكن يمدح شخصاً معيناً هو عباس الثاني عن اقتناع واعجاب بل كان يمدح الحاكم في شخص عباس الثاني أو في شخص الخليفة عبد الحميد ، ولا أدل على ذلك من أنه لم يكذب الانجليز ينحون عباس الثاني عن العرش في سنة ١٩١٤ ويولون السلطان حسين كامل حتى نرى أحمد شوقي يحاول أن يتقرب من السلطان الجديد بل ومن الانجليز الذين أتوا به إلى العرش لعله ينجو بنفسه ، وذلك في

القصيدة التي سماها « السلطان حسين كامل » واستهلها بقوله :

الملك فيكم آل اسماعيل      لا زال بيتكم يظل النيل

ثم يحاول التبرؤ من تبعيته لعباس تحت ستار الاخلاص للأسرة كلها  
وبخاصة لسلالة اسماعيل الذي ولد ببابه فيقول :

أأخون اسماعيل في أبنائه      ولقد ولدت بباب اسماعيل

ويحاول استرضاء الانجليز في نفس القصيدة فيقول عنهم :

حلفائنا الاحرار الا أنهم      أرقى الشعوب عواطفاً وميولاً  
أعلى من الرومان ذكراً في الوري      وأعز سلطاناً وأمنع غيلاً  
لما خلا وجه البلاد لسيفهم      ساروا ممحاً في البلاد عدولاً  
وأتوا بكابرها وشيخ ملوكها      ملكاً عليها صالحاً مأمولاً

ومع ذلك لم ينفعه استرضاء السلطان حسين كامل ولا استرضاء الانجليز  
ولا تبصله الخفي من التبعية والولاء لعباس الثاني فحملة الانجليز على مغادرة  
البلاد منفياً بعد عزل مولاه عباس الثاني عن العرش . وبيده حياته في المنفى  
بمدينة برشلونه الاسبانية التي اختارها هو نفسه موطناً لتبديء مرحلة جديدة  
في حياة أحمد شوقي .

#### المنفى والاندلسيات

عندما نشبت الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٤ بين المانيا والحلفاء كان  
الحديوي عباس الثاني غائباً عن مصر في زيارته الصيفية لتركيا . فأعلن  
الانجليز الحماية البريطانية على مصر وانقضت تبعيتها لتركيا وعزلوا عباس  
الثاني عن العرش ومنعوه من العودة الى مصر ، وتوجس شاعره أحمد شوقي

خيفة وحاول أن يسترضي السلطان الجديد حسين كامل وأن يسترضي الانجليز وأن يتصل - كما قلنا - من ولائه لعباس الثاني وتبعيته له ، ولكنه لم ينجح في محاولته وطلب اليه الانجليز مغادرة البلاد الى المنفى تاركين له حرية اختيار البلد الذي يريد أن يقيم فيه فاختار اسبانيا المحايدة وفضل ميناءها اشبيلية باعتبارها أقرب ميناء الى مصر . وحدث أثناء إقامته في اشبيلية أن أرسل اليه عباس الثاني يدعوه الى الإقامة معه في « فينا » ، ولكن أحمد شوقي الخائف من الانجليز اعتذر في لباقة عن قبول دعوة مولاه السابق بحجة خوفه من الغواصات الألمانية التي كانت تعمل عندئذ في البحر الأبيض المتوسط ، وبخاصة وأن شوقي كان قد استطاع عن طريق السفير البريطاني في مدريد أن ينظم عملية وصول ما يلزمه من مال من وكيل املاكه في القاهرة ، وبذلك مرت فترة النفي على أحمد شوقي في دعة واستقرار نسبيين وظل مقيماً في اشبيلية طوال مدة الحرب ، ولم يحاول أن يتركها ليترحل في بلاد الاندلس أو غيرها من المدن الاسبانية إلا بعد أن وضعت الحرب اوزارها وتأهب أحمد شوقي ومن معه من أفراد أسرته للعودة الى الوطن . غير أن الانجليز لم يسارعوا بالسماح له بالعودة بل ماطلوا بعض الوقت . وهذه المدة التي مرت بين انتهاء الحرب سنة ١٩١٨ والسماح للشاعر بالعودة الى الوطن سنة ١٩٢٠ هي التي قام فيها الشاعر بزيارة الآثار الاندلسية في نواحي الاندلس المختلفة وقرطبة وغيرها .

وكان الشاعر قد أنفق سنوات النفي في القراءة وبخاصة قراءة كتب التاريخ العربي القديم عامة وتاريخ الاندلس خاصة ومن بينها كتاب « نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب » للمقري . ومن حصيلة هذه القراءات وما سبقها كتب أحمد شوقي أرجوزته الكبيرة التي سبق أن أشرنا اليها عن دول العرب وعظماء الاسلام . ولما كانت حياة شوقي في اشبيلية حياة مقيدة ممجدة من تجارب الحياة الحية النابضة - فان استغراقه في الكتب والمطالعات قد وجهه نحو المعارضات الشعرية ، وكأنه يدخل بذلك في مبارزات مع الشعراء

القدماء . وهناك من أوجه الشبه بين أرجوزة شوقي وأرجوزة أبي عبد الله ابن الخطيب ذي الوزارتين المسماة « رقم الحلل في نظم الدول » ما يوحى بأن شوقي قد قصد الى معارضته . وعلى أية حال فان هذه الأرجوزة رغم ضخامتها لا نعتبرها من روائع شوقي ، بل نعتبرها أقرب الى النظم التعليمي منها الى الشعر كما سبق أن قلنا .

هذا ، ولقد انتهز أحد أساتذة الادب العربي الشبان وهو الدكتور صالح الاشتر فرصة وجوده في فرنسا مبعوثاً من جامعة دمشق لكي يقوم ومراجعته بين يديه الى الاندلس في اسبانيا برحلة حاول أن يتابع فيها ما استطاع ، رحلة أحمد شوقي فيها ، ليدرس على الطبيعة ما أخذه أحمد شوقي في أندلسياته عن مشاهد البصر وما استقاه مما قرأ من كتب التاريخ والادب الأندلسيين ، وسجل الدكتور الاشتر نتائج بحثه ورحلته في كتابه أندلسيات شوقي الذي نشره سنة ١٩٥٩ . وقد شمل كتاب الدكتور الاشتر دراسة كل ما كتبه أحمد شوقي نثراً وشعراً منذ ركوبه السفينة من السويس الى المنفى ، حق عودته الى الوطن بما في ذلك الفصل النثري الذي كتبه الشاعر ونشره ضمن مجموعة مقالاته النثرية المعروفة باسم « أسواق الذهب » وعنوان هذا الفصل « قناة السويس » حتى القصيدة التي نظمها احمد شوقي بعد عودته من المنفى في سنة ١٩٢٠ ولاقاها في اجتماع لجان الترميم بدار الاوبرا في ذلك العام ، وفيها يشيد بذكر البلاد التي آوته ويعترف بمجملها ثم يتحدث عن استقبال وطنه له استقبالا رائعا بعد تلك الغيبة الطويلة ، وفي النهاية ينتقل إلى مسألة الترميم التي انعقد الاجتماع من أجلها .

والقصيدة منشورة في الجزء الاول من « الشوقيات » بعنوان « بعد المنفى » وقد استهلها بقوله :

أنادي الرسم لو ملك الجوابا وأجزيه بدعمي لو أنابا

وفيهما أبياته الخالدة في التغني بالوطن والتفاني في حبه :

ويا وطني لقيتك بعد يأس	كأني قد لقيت بك الشبابا
وكل مسافر سيؤوب يومباً	إذا رزق السلامة والإيابا
ولو أني دعيت لكنت ديني	عليه أقابل الحتم المجابا
أدير إليك قبل البيت وجهي	إذا فئت الشهادة والمسابا

ومن أروع وأجل ما قاله احمد شوقي من شعر في منفاه حينه إلى الوطن  
مثل رسائله الشعرية الرائعة - التي أرسلها من برشلونه سنة ١٩١٧ إلى  
حافظ إبراهيم مخاطباً من خلاله ساكني مصر كلهم بقوله :

يا ساكني مصر إنا لا نزال على	عهد الوفاء وان غبنا مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم	شيئاً نبلّ به أحشاء صاديننا
كل المناهل بعد النيل آسنة	ما ابعد النيل إلا عن أمانينا

ويرد حافظ إبراهيم على رسالة شوقي بأجل منها قائلاً :

عجبت للنيل يدري أن بلبله	صاد ويسقي ربي مصر ويسقينا
والله ما طاب للصحاب مورده	ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لنا
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه	وقد نأينا وإن كنا المقيمين

وفي نفس السنة يكتب شوقي إلى إسماعيل صبري شاكياً متوجعاً  
في قوله :

يا ساري البرق يرمي عن جوانحه	بعد الهدوء ويهي عن مأقينا
ترقرق الماء في عين السماء وما	غاض الاسمى فحضبنا الارض باكينا

ويرد عليه الشاعر الرقيق إسماعيل صبري قائلاً :

بأفق أندلس برق يحينا      يبيت يضحك منا وهو يبكينا  
يا آلودي عودوا لا عدتمكم      وشاهدوا ويحكم فعل النوى فينا  
ويا نسمة ضمخت أذيالها سحراً      أزهار أندلس هبي برادينا

وأما القصيدتان الكبيرتان اللتان يتخللها نسيم الأندلس العطر وماضيها  
المجيد وحديث عن بعض آثارها الخالدة فهما القصيدتان اللتان عارض في  
إحداهما الشاعر العباسي الكبير البحتري صاحب قصيدة « الايران » :

صنت نفسي عما يدنس نفسي      وترفعت عن جدا كل جبس

التي عارضها أحمد شوقي في قصيدة « الرحلة إلى الاندلس » وقد صدرها  
بمقدمة تحدث فيها عن سينية البحتري وإعجابه بها وتردد أبياتها في خاطره  
وهو يشاهد آثار طليطلة وقرطبة وغرناطة . وهو يستهل هذه القصيدة  
الرائعة بقوله :

اختلاف النهار والليل ينسي      اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

ومع ذلك فإن حديثه فيها عن مصر ومشاهدها وحنينه إليها أقوى  
وأروع من حديثه عن الاندلس وآثارها الخالدة ، ويخيل إلينا أن الدكتور  
صالح الاشر كان على حق عندما رجح في كتابه ان شوقي لم يصل في جودة  
الوصف في هذه القصيدة الى مثل ما وصل اليه البحتري في وصف آثار ايران  
كسرى وإن يكن من المؤكد أن شوقي قد وصل في أبيات الحنين الى الوطن  
التي تضمنتها هذه القصيدة الى الذروة في مثل قوله :

أحرام على بسلامه الدو      ح حلال للطير من كل جنس  
وطني لو شغلت بالخلد عنه      نازعتني إليه في الخلد نفسي  
شهد الله لم يغب عن جفوني      شخصه ساعة ولم يخل حسي

وأما القصيدة الأخرى فقد عارض فيها الشاعر الأندلسي الرقيق ابن زيدون في قصيدته التي مطلعها :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وثاب عن طيب لقيانا تجافينا

اذ عارضها شوقي بأندلسيته الشهيرة التي مطلعها :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجي لواديك أم نأسي لوادينا

ولو اننا اضفنا الى هاتين القصيدتين الموشح الذي نظمه عن صقر قريش عبد الرحمن الداخل ، ثم قصيدة كتبها في رثاء امه التي كان يرجو ان يتمكن من رؤيتها وهي مريضة بجحوان قبل ان تموت ، ولكن تلكؤ الانجليز في السماح له بالعودة الى الوطن حال دون رؤيته لها وجاءه البرق بنعيها فأثر هذا الحادث الجسيم في نفسه تأثيراً بالغا ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المراثية ، وقد قيل انه من فرط تأثره بها تحاشى ان ينظر فيها بعد ذلك فبقيت ضمن اوراقه الخاصة حتى نشرت في الصحف غداة وفاته ومطلعها :

الى الله اشكو من عوادي النوى سها اصاب سويداء الفؤاد وما اضمي

وهي مراثية ليست بالبداهة اندلسية في شيء عدا انه كتبها وهو لا يزال منفيا في الاندلس .

### بعد المنفى

وعاد أحمد شوقي الى الوطن في سنة ١٩٢٠ حيث استقبل استقبالا شعبيا رائعا ، وحيث وجد سيدا جديدا قد ظهر في الميدان وهو الشعب الذي قام بشورة سنة ١٩١٩ العاتية مطالبا بانهاء الحماية البريطانية على مصر واعلان استقلالها وتخليصها من الاحتلال الانجليزي ووجد أحمد فؤاد متربعا على عرش

البلاد كسلطان ، وحاول أحمد شوقي التقرب من أحمد فؤاد ولكنه لم ينجح في هذه المحاولة الا بمقدار ولذلك ظل موقفه الوطني اول الامر متأرجحاً لا يحاري الشعب الى نهاية الشوط في حاسته الوطنية الجارفة ولا يحير على مغاضبته ارضاء للسلطات الحاكمة التي كانت أميل الى الترفق والملاينة مع الانجليز ، ولعلنا نلمح هذا الموقف واضحاً في القصيدة التي نظمها في سنة ١٩٢٠ عن مشروع ملز الذي اجمع الوطنيون على رفضه ومقاطعة لجنته كلها مقاطعة تامة ، ومع ذلك نرى أحمد شوقي يدعو مواطنيه الى قبوله قائلاً في هذه القصيدة :

لا تستقلوه فما دهركم بحاتم الجود ولا كعبه

بما كان له وقع سيء في نفوس المواطنين. وأحس شوقي بزلته فعدل عن روح التخاذل، وصدر عن روح وطنية شعبية في القصيدة التي نظمها بعد ذلك بعامين عن مشروع ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذي اعلن فيه الانجليز نهاية الحماية البريطانية وقيام "الكيه في مصر" وتولية أحمد فؤاد السلطان ملكاً على عرشها، وان كانوا قد شفعوا هذا التصريح بتحفظات أربعة فرغت الاستقلال من مضمونه الحقيقي ، هي تحفظات خاصة ببقاء جيش الاحتلال في البلاد وحماية قناة السويس وما سموه الاقليات ، وقضية السودان الذي كان المصريون والسودانيون يطالبون عندئذ باتحاده مع مصر التي تتكون من وحدة الوادي . فشوقي يستهل هذه القصيدة بقوله :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبنا وفاز بالحق من لم يأله طلبا  
وما قضت مصر من كل لبانتها حتى تجر ذبول الغبطة القشبا

وعلى أية حال فان المتتبع لانتاج أحمد شوقي الشعري بمسود عودته من المنفى يحس في وضوح بتطوره المستمر نحو الاقتراب من الشعب ومن قضايا الوطنية والاجتماعية ثم تطوره مع الشعب ايضاً نحو الاحساس القوي بالتضامن



والقومية العربية ، فشوقي يتابع المد الوطني والثوري والقومي لشعبه ولأمته العربية كلها ويحزن عندما يدب الخلاف بين صفوف الزعماء الذين قاموا متحدين بشورة سنة ١٩١٩ وعندما يصل هذا الخلاف الى حد تهديد قضية الوطن ذاتها يصيح شوقي بهؤلاء الزعماء صيحته الخالدة سنة ١٩٢٤ في القصيدة التي نظمها عندئذ بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل باشا وسماها شهيد الحق واستهلها بقوله :

إلام الخلف بينكم الاما	وهذي الضجة الكبرى علما
وفيم يكيد بمضكم لبعض	وتبدون العداوة والخصاما
وأين الفوز لا مصر استقرت	على حال ولا السودان داما

وظل شوقي يحرس بشعره المشاعر الوطنية ويرعى وحدة الوطن القاعة على المحبة بين المسلمين والاقباط ، وهي خطة انتهجها منذ حادثة اغتيال المرحوم بطرس باشا غالي ونظم عندئذ في الدعوة إلى إطفاء نار الفتنة وتوثيق عرى المحبة والاخاء بين أبناء الوطن مسلمين وأقباط .

وبالبداهة لم يعد شوقي ينظم في مشاهد الطبيعة في الآستانة والبوسفور وما إليها من الاراضي التركية ، بل أخذ يكتب التاريخيات والوصفيات عن مصر والبلاد العربية الاخرى حتى زحرت الشوقيات بالقصائد المصرية والعربية وأقامت التوازن بل رجحته مع التركيات والخلافيات ، وبخاصة بعد أن وفق العالمان الانجليزيان الأويان اللورد بكرتر والمشر كارترفور الى اكتشاف قبز توت عنخ آمون الرائع في وادي الملوك في الاقصر ، حيث نظم أحمد شوقي قصيدته الرائعة « توت عنخ آمون » التي تغنى فيها بأعجاد مصر القديمة وما خلفت من آثار رائعة أجل الغناء ، ومطلعها :

ففي يا أخت يوشع خبرينا أحاديث القرون الغابرينا

كما نظم قصيدة أخرى بعنوان « توت عنخ آمون وحضارة مصر » استلها  
بقوله :

درجت على الكنز القرون      وأتت على الدن السنون  
خير السيوف مضى الزما      ن عليه في خير الجفون

ونستطيع أن نضيف هاتين القصيدتين إلى قصائده عن النيل والاهرام  
وابي الهول ، ووصفياته المصرية الاخرى لتبين الثروة الشعرية الكبيرة التي  
خلفها هذا الشاعر غداء وطنياً لبنني وطنه .

وأخذ اهتمام أحمد شوقي بالاقطار العربية الشقيقة ومعارك شعوبها ضد  
الاستعمار يزداد شيئاً فشيئاً حتى رأيناه ينظم في نكبة دمشق سنة ١٩٢٥  
وفي « نكبة بيروت » وفي « ذكرى استقلال سوريا و ذكرى شهدائها » كما  
رأيناه يكتب الوصفيات عن مشاهد الاقطار العربية . وجبل لبنان وزحلة  
وغيرها .

وهو في تلك الفترة من حياته لم يعد يحرص على مناسبات البيت الحاكم  
بقدر حرصه على المناسبات الشعبية فنراه يخاطب الشبان حيناً ، والطلبة  
حيناً ، والعمال حيناً ثالثاً ، بل وفاجأه الموت بعد فراغه مباشرة من تأليف  
قصيدة طويلة يحيي بها مشروع القرش الذي نهض به الشبان في سنة ١٩٣٢ .  
وهو يشيد في تلك الفترة بالجهودات الشعبية وبالمشروعات العمرانية التي يعود  
نفعها على الشعب كانشاء طلعت حرب لبنك مصر وانشاء الدولة للجامعة  
المصرية الحكومية سنة ١٩٢٥ . وعلى أية حال فقد كان هذا التطور طبيعياً ،  
فشوقي بعد عودته من المنفى لم يعد الى القصر الملكي وإنما طمح الى عضوية  
البرلمان وتحقق طموحه بتعيينه عضواً في مجلس الشيوخ ، كما طمح الى امارة  
الشعر في العالم العربي وبويع بهذه الامارة كما قلنا بمناسبة اعادة طبع ديوانه

« الشوقيات » سنة ١٩٢٧ وهي السنة التي بلغ فيها شوقي قمة مجده واحس بأنه قد حقق كل آمانيه وأصبح من حقّه أن يحرق موهبته الشعرية من كل القيود لينطلق الى فن أعجب به منذ إقامته طالباً في فرنسا وحاوله وهو لا يزال طالباً ، ثم عدل عنه إلى فن القصيدة عندما استرقه طموحه فأخضعه لسيطرة القصر المالك الذي اتخذته تابعاً له وبوقاً ولسان مدح ، ونعني بهذا الفن الجديد « فن المسرحية » .

### مسير حيات شوقي وقصصه

حدثنا أحمد شوقي -- كما رأينا من قبل في مقدمة الطبعة الاولى من ديوانه سنة ١٨٩٨ كيف أنه أعجب بالأدب والشعر الفرنسيين أثناء إقامته في فرنسا وود أن لو نحا الشعر العربي الحديث نحوه وخرج عن مجاله التقليدي الى مجالات أوسع وإلى فنون جديدة كما حدثنا كيف أنه شرع هو نفسه في محاكاة ذلك الأدب فكتب مجموعة من الاقاصيص الشعرية القصيرة على ألسنه الحيوانات وللاطفال على غرار أقاصيص لافونتين الشهيرة . والجزء الرابع من الشوقيات يضم عدداً كبيراً من الاقاصيص الجميلة كما ترجم قصيدة البحيرة للامارتين .

وأما الفن الكبير الذي يلوح أنه قد علق بنفسه ورأى فيه مجالاً لاشباع طموحه الشعري والأدبي فقد كان فن المسرحية ، بل ويلوح أن أحمد شوقي كان شخصياً من هواة المسرح لا في فترة شبابه فحسب بل طوال حياته ، وهو الرجل النعم الذي يهوى متع الحياة الحسية والمعنوية حتى لنراه ينظم قصيدة في الطلاب المصريين الذين يطلبون العلم في أوروبا فيحثهم على اقتناص المتع أو على الأقل ببيعها لهم ومن بينها المتعة بالمرأة والمتعة بالمسرح فيقول :

والله لا حرج عليكم في حديث الغانية

و في اشتهاء السحر من لحظ العيون الساجية  
أو في المسارح فهي بالنفس اللطيفة راقية .

والذي لا شك فيه أن أحمد شوقي قد تردد على المسارح الفرنسية أثناء  
دراسته في فرنسا ، وبخاصة مسرح الكوميدي فرانسيز بباريس ، وهو مسرح  
الدولة الذي كان ولا يزال يعرض المسرحيات الكلاسيكية الشعرية بنوعيهما  
المأساة والمهابة ، أو التراجيديات والكوميديا ، وبخاصة مسرحيات راسين وكورني  
وموليير ، ولا شك أنه قد اتجه الى محاكاتها ، ورأى شعراء التراجيديات  
يستمدون موضوعاتهم من تاريخ اليونان والرومان القدماء وأساطيرهم لأنهم  
يعتبرون هذا التاريخ وتلك الاساطير تراثهم القومي ، ويرون كما قال كورني  
أن الحوادث الروائية حق التي تعتبر في نظر العقل المجرد خارقة ، لا يلبث  
أن يألفها العقل ويستيفها عندما تقدم اليه كحوادث تاريخية وقعت بالفعل ،  
وذلك بينما استقى مولير على نحو ما فعل علائق الكوميديا الاغريقي ارسطوفان  
من قبل موضوعات كوميدياته من الحياة المعاصرة وما فيها من مأخذ .

وابتداً أحد شوقي يتجه نفس الاتجاه فعاد إلى تاريخه القومي الذي رآه  
ذا شعبتين : تاريخ مصر - وتاريخ العرب ، يبحث فيها عن موضوعات  
تصلح لكتابة المآسي الشعرية أو النثرية . وابتداً من وقت مبكر ومنذ سنة  
١٨٩٣ أو قبلها بكتابة أول مأساة شعرية ألفها وهي الطبعة الاولى من  
مسرحية « علي بك الكبير أو ما هي دولة المماليك » وهي مسرحية أخذ  
موضوعها من تاريخ مصر الحديث واستهدف منها تصوير حياة الظلم والغدر في  
حكم المماليك . وهو لا يصور فيها غدر محمد بك أبو الذهب بسيدة علي بك  
الكبير فحسب ، بل يصور أيضاً ظلم هؤلاء المماليك للشعب وابتزاز أمواله  
بالقسوة والعنف ، ولكنه لسوء الحظ صور الشعب فيها ذليلاً خاضعاً على  
نحو ما نحس من الحوار الذي يجري بين إقبال زوجة علي بك الكبير وجاني

الضرائب والكوس «حنا» إذ جاءها بحصيلة ضخمة فسألته :

وبأيما كيفية تحصيلها      ومن الجباة فمن شر جباة  
هل في دم الفلاح سر الكيمياء      أم هل يدين لكل باغ عاتي  
ويحببها حنا قائلا :

تحصيلها سهل مع القرصات والكيات والجلدات والشنقات  
والضرب فوق الظهر وهو مطاوع      والضرب فوق البطن وهو مواتي  
وأمر من ذا بيع واحدة النعاج أو التي بقيت من انبقرات

فهل صحيح أن ظهر هذا الشعب مطاوع وبطنه مواتي ؟

وأرسل أحمد شوقي - كما سبق أن اوضحنا - هذه المسرحية من فرنسا إلى الوزير رشدي الذي اطلع عليها الخديوي فتفكه بها وأحس شوقي أن الخديوي لا يريد منه مسرحيات بل يريد مدائح ، وأن تقاليد الشعر العربي أشد ضراوة من أن يهجم عليها ، فأقلع عن الاستمرار في هذا الفن وعاد إلى كتابة القصائد والمدائح وإن ظل الفن القصصي يراد خياله . والظاهر أنه قد وجد بعد عودته من فرنسا حلا وسطا يلانم بين رغبة القصر وتقاليد الشعر العربي من جهة وبين إعجابه بالفن القصصي وهوايته له من جهة أخرى ، فرأيناه يلتزم في شعره مقتضيات القصر والتقاليد، وينصرف إلى النثر ليكتب فيه في أواخر القرن الماضي وأول القرن الحالي أربع قصص نثرية تاريخية بأسلوب قريب الشبه بأسلوب المقامات ، وتلك القصص هي « لادياس سنة ٢٨٩٩ » و « عذراء الهند » و « ورقة الآس » و « محاورات بينتاوور » سنة ١٩٠٠ ، وبعض هذه القصص عن فترات تاريخية سيتخذها أحمد شوقي فيما بعد موضوعا لبعض مسرحياته الشعرية التي كتبها في السنوات الأخيرة من حياته مثل قصة « لادياس » التي تتصل أحداثها بمسرحية قميز .

استمر شوقي اذن بعد عودته من فرنسا وتوثيق صلته بعباس الثاني يسير على تقاليد الشعر العربي ويحصر إنتاجه في فن القصيدة الشعرية وفي الاغراض التي حددتها ظروف حياته الرسمية . ولكننا رأينا كيف أن انفصاله عن الحديوي ونفيه في اسبانيا قد قلب صفحة حياته وابتدأ صفحة أخرى منها وهي صفحة تحرر موهبته الشعرية من سيطرة القصر وانطلاق تلك الموهبة نحو قضايا الوطن والعروبة من جهة ومجالات القول الواسعة من جهة أخرى .

وفي فترة ما بعد الحرب الأولى شن النقاد وبخاصة الاستاذ عباس محمود العقاد حملة عنيفة على منهج شوقي التقليدي في الشعر وعلى استلحاق المناسبات لموهبته الشعرية ، وكان فن المسرح قد ازدهر في مصر بنوعيه التراجييدي والكوميدي ازدهارا كبيرا ولاحظ احمد شوقي كما لاحظ اساتذة الادب ونقادهم أن عالمنا العربي قد عرف فن التمثيل منذ ثلاثة أرباع القرن أي منذ أن ألف مارون نقاش بالعربية ومثل أول مسرحية عربية مؤلفة في بيروت سنة ١٨٤٨ ، ومع ذلك لم يخلق فن التمثيل أدبا دراميا يستطيع الخلود والانضمام الى تراثنا الادبي بقوة صياغته وارتفاع مستواه الادبي . وكان شوقي قد حقق مطعمه الاكبر بإعلان العرب لاهارته على الشعر العربي التقليدي في سنة ١٩٢٧ ، فأحس انه يستطيع أن يزاوِل هوائيه المكبوتة وأن يبدأ بخلق الشعر الدرامي المتين الصياغة في أدبنا العربي ، وبالفعل أخذ يؤلف وينشر تباعا منذ سنة ١٩٢٧ سلسلة مسرحياته الشعرية التي ابتدأها بمسرحية «مصرع كليوباتره» ثم أتبعها بمسرحيات « مجنون ليلي » و « غنّرة » و « قبيز » كما أعاد كتابة مسرحية « علي بك الكبير » بأسلوبه الشعري الذي فضّج واستحصد واكتملت له خصائصه المميزة . ولأمر غير مفهوم كتب مسرحية « اميرة الاندلس » نثرا ، مع أن بطلها أو أحد أبطالها الرئيسية وهو المعتمد ابن عباد كان شاعرا ، وقد ضمن أحد شوقي مسرحيته بعض مقطوعات من شعره . واخيرا أراد أن يعالج ايضا فن الكوميديا المصرية فكتب كوميديا

«الست هدى» شعراً، ولكن بلغة تختلف عن لغته المألوفة، وبها الفاظ وتعبيرات شعبية أو شبه شعبية وذلك بحكم أن موضوعها شعبي، وحوادثها تجري في حي الخنفي الشعبي بقسم السيدة زينب بالقاهرة وهي تنتقد طمع الأزواج في أموال الزوجات ، اذ نرى الست هدى تتزوج تسع أزواج تباعاً وبعد موت كل منهم ، حتى اذا كان التاسع ووطن أنه هو الذي سيرث الست هدى اتضح له عند موتها أنها قد أوصلت بما لها لغيره ولبعض جهات البر ، فخابت مطامعه .

وعندما ابتدأ أحمد شوقي في كتابة تراجمياته الشعرية ، كان الطابع الغنائي والاخلاقي قد استبد بموهبته القوية ، وبحيث لم يستطع التخلص من هذا الطابع ليتخذ الطابع الدرامي الخالص . ولقد نشر الدكتور شوقي ضيف في كتابه « شوقي شاعر العصر الحديث » بالزنگوفراف صفحات بخط يد شوقي من مسرحية « مجنون ليلي » ومن هذه الصفحات يتضح أن أحمد شوقي لم يكن يكتب حواراً عند تأليفه هذه المسرحيات بل كان يكتب قصائد ثم يوزع هذه القصائد بين المواقف التي تتضمنها المسرحية . ومن هنا غلب الطابع الغنائي والاخلاقي على مسرحياته وضعف الطابع الدرامي وبطؤت الحركة المسرحية لشدة طول الكثير من أجزاء الحوار ، حتى ليأوح أحياناً كثيرة أن الممثل لا يحاور زميله بل يسمعه قصيدة رائعة من الشعر .

ولا يتسع المجال لدراسة تحليلية دقيقة لمسرحيات شوقي التي سبق لنا ان ألقينا عنها سلسلة من المحاضرات في المعهد العالي للدراسات العربية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية ، ونشرت هذه المحاضرات في كتاب مستقل . ولذلك نكتفي بأن نلاحظ ضعفاً واضحاً في الفن الدرامي عند شوقي وهو عدم نجاحه في حملنا على التعاطف مع أبطال مآسيه ، والانفعال بما أصابهم من محن، وذلك لاضطراره في تحديد هدفه وفي تصوير شخصياته وتديد أبعادها،

فهو مثلاً يحاول أن يصور كليوباتره في صورة الملكة المصرية المخلصة لوطنها ومع ذلك يقدمها في المسرحية وسط مشاهد البذخ والاغراء التي تعددها لتصطاد انطونيو ، كما لا يستطيع أن يقنعنا بأنها لم تكن غادرة عندما سحبت اسطولها من معركة أكتيوم تاركة عشيقها انطونيو يحابه العدو . وهو في مسرحية « قبيز » يحدثنا عن تيتس الفاتة المصرية التي ضحت بنفسها في سبيل الوطن وقبلت الزواج من قبيز حتى يمتنع عن غزو مصر ، ولكنه في نفس المسرحية يشوه بطولتها الوطنية عندما ينبئنا أن تيتس كانت تعاني اليأس من خطيب انصرف عنها الى غيرها رغم حبها له .

على أن المآخذ الدرامية على مسرحيات شوقي لا تفقد هذه المسرحيات قيمتها الشعرية الغنائية الرائعة ، كما أنها لا تنفي عنها أنها أصبحت ركيزة الشعر الدرامي في أدبنا العربي المعاصر وأن كتابة أمير الشعراء لها قد رفع الكتابة للمسرح الى مستوى الادب الرفيع . وهذه القيمة الغنائية لمسرح شوقي هي التي دفعني في كتابي عن « مسرحيات شوقي » الى أن أقرر أن هذه المسرحيات وبخاصة « مصرع كليوباتره » و « مجنون ليلى » و « عنقرة » لو أتيح لها ملحن موسيقي كبير وأصوات غنائية قادرة على الغناء المسرحي لأصبحت من روائع الاوبرا التي نعتز بها . ولقد قام الموسيقار محمد عبدالوهاب بتلحين وغناء اجزاء من هذه المسرحيات فلاقت نجاحاً شعبياً كبيراً مثل مقطوعة :

أنا انطونيو وانطونيو أنا ما لروحينا عن الحب غنى

في مصرع كليوباتره ، ومقطوعة جبل التوباد في « مجنون ليلى » .

وأما كوميديا « الست هدى » فإنها بطبيعتها لم تفسح المجال لطاقة شوقي الغنائية ولذلك ظل حوارها في نطاق الفن الدرامي الذي تنتمي اليه وهو فن الكوميديا الاجتماعية ، وأظهر فيها شوقي روحاً نقدية ساخرة لطيفة .



وإذا كان جمهور المسرح في قطرنا المصري لا يقبل إقبالاً كبيراً على المسرحيات الشعرية الرفيعة الأسلوب ، فإننا نعتقد أن هذا الوضع يمكن أن يتغير تغييراً تاماً إذا استطعنا أن نقدم له هذه المسرحيات كإوبرات .

### شوقي والنقاد

لا شك أن أحمد شوقي قد توفرت له من ظروف المركز الاجتماعي الرسمي والثروة والوجاهة ما ساعد على اشتعال شهرته ، كما لا شك في أنه كانت من المهارة بحيث استطاع أن يستخدم عدداً من الوسائل التي زادت من شهرته اشتعالاً ، حتى انتهت به إلى أماراة الشعر بعد شعر الامارة ، وكانت من أهم الوسائل التي استخدمها اتصاله بالصحافة والصحفيين واصطناعهم بكافة السبل للإشادة بفنه وعبقريته ونشر قصائده في أبرز مكان في صحفهم ، ثم مصادقته للعُنفين والملحنين وبخاصة محمد عبد الوهاب الذي لازمه ملازمة الظل منذ سنة ١٩٢٤ ، وكتب له عدداً من القصائد والأغاني التي لا يزال لحن محمد عبد الوهاب وصوته الممتاز يتردد بها حتى اليوم وشاركته في ذلك مطربتنا العربية الكبيرة السيدة أم كلثوم ، والصحافة والغناء من أقوى وسائل الاتصال بالجمهور والتأثير فيها .

ولسنا ندري إلى أي حد تورع أو لم يتورع أحمد شوقي في اصطناع كل هذه الوسائل ، ولكن الذي ندريه عن يقين هو أن شهرته أخذت تعلق حتى غمرت بظلالها معاصريه ، وكان شبان الجيل اللاحق له من الشعراء أكثر احساساً وضيقاً بهذه الظلال من شعراء جيله أمثال حافظ إبراهيم وخليل مطران وإسماعيل صبري . وهذه حقيقة لا يمكن أن نفصل الإشارة إليها عندما نعرض للحملة النقدية العنيفة التي شنها جماعة الجيل الجديد عندئذ التي تكونت في أوائل هذا القرن من عبد الرحمن شكري وإبراهيم عبد

القادر المازني وعباس محمود العقاد، وان يكن من الظلم أن نزع أن الدافع الى هذه الحملة النقدية كان شخصياً فحسب، إذ الواقع أن هذه الجماعة والجماعة التي سارت في خط مواز لها - وهي جماعة شعراء المهجر - قد أتوا الى الشعر العربي الحديث من آفاق تأثرت تأثراً عميقاً بالشعر والادب الاوروبيين ونظرت الى تقاليد الشعر العربي القديم من خلال ثقافتها الشعرية والنقدية الاوروبية وأحسست أنه إذا كانت النهضة الشعرية الجديدة قد ابتدأها شاعر البعث محمود سامي البارودي، ووجه الادب الازهري الكبير الشيخ حسين المرصفي في كتابه « الوسيلة الأدبية » الاذواق نحو روائع الشعر العربي القديم وأساليبه الجميلة الاصلية، ومع ذلك استطاع محمود سامي البارودي أن يصدر في شعره عن ذات نفسه وتجارب حياته الحية - فانهم قد كانوا على حق عندما أخذوا على شوقي عودته بالشعر العربي الحديث بعد البعث الى التقاليد القديمة وجنوحه به الى المذائج والمناسبات العارضة ورأوا فيه رائد الشعر التقليدي الذي احسوا بأنه لم يعد يساير ذوق العصر ومطالب العقل والقلب في عصر اخذت تنوثق فيه صلاتنا الحضارية والفنية بالحضارة والاداب والفنون العالمية وبخاصة في اعقاب العصر الرومانسي الذي أخذت فيه شخصية الشاعر تظهر في شعره ظهوراً واضحاً لا شبيه له في شعر شوقي .

وإذا كان عقل المهجريين المفكر ومستثار الرابطة القلمية ميخائيل نعيمة قد اخذ يكتب المقالات العنيفة منذ سنة ١٩١٧ في الصحف والمجلات العربية بالمهجر الامريكي الشباني ضد الاتجاه التقليدي في الشعر العربي الحديث دون أن يصرح باسم أحمد شوقي، ثم يجمع هذه المقالات بعد الحرب العالمية الاولى في كتابه النقدي الشهير « الغربال » فان زملاءه في الدعوة الى التجديد من شعراء مصر الشبان لم يحجموا عن شن معركة عاتية ضد الادباء والشعراء التقليديين وعلى رأسهم أحمد شوقي الذي انفرد بما جمعه ونقده الاستاذ عباس

لمحمود العقاد الذي انتفى في اعقاب الحرب العالمية الاولى مباشرة مع زميله المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني ، على اصدار كتاب من عشرة اجزاء باسم « الديوان » يكتب كل واحد منها في كل جزء منه فصلا أو فصولاً في نقد اديب شاعر تقليدي ، ولحسن الحظ أو سوئه لم ينشر العقاد والمازني غير جزئين فقط من هذا الكتاب في سنة ١٩٢١ ، وفيها حل العقاد على أحمد شوقي حملة بالغة العنف بل مسرفة الى حد يكاد يختلط فيه الحق بالباطل

ولقد تناول الاستاذ العقاد عددا من قصائد شوقي كثرائه لمصطفى كامل وغيره بالنقد التفصيلي ليظهر ما يراه فيها من تفكك وسطحية في العاطفة ومبالغة وولوع بالأعراض دون الجواهر وتفكك في بناء القصيدة وانعدام للوحدة العضوية فيها حتى رأيناه يعيد تركيب أبياتها تقدما وتأخيرا دون ان تضطرب فيا يرى معانيها ، وهي وجهات نظر سبق ان ناقشناها في الجزء الاول من كتابنا عن « الشعر المصري بعد شوقي » كما ناقشناها بتفصيل اكبر في سلسلة مقالات كتبناها عن الاستاذ « العقاد ناقدأ » في مجلة « المجلة » . ولكن النقد العام الذي وجهه الاستاذ العقاد لشعر شوقي كله هو اختفاء شخصية شوقي من شعره حيث قال « في شوقي ارتفع شعر الصنعة الى ذروته العليا وهبط شعر الشخصية الى حيث لا تتبين لمحة من الملامح ولا قسمة من القسومات التي يتميز بها انسان بين سائر الناس » وشعر الصنعة ليس على نهج واحد كله ، فمنه ما هو زيف فارغ لا يت الى الطبيعة بواشجة ولا صلة وليس فيه الا لفظ ملفق وتقليد براء من الحس والذوق البراعة ، ومنه ما هو قريب الى الطبيعة ، ولكنه منقول من القسط الشائع بين الناس ، فليس فيه دليل على شخصية القائل ولا على طبعه لانه أشبه شيء بالوجوه المستعارة التي فيها كل ما في وجوه الناس ، وليس فيها وجه انسان . ومن هذه الصنعة كانت صنعة شوقي في جميع شعره ، فلو قرأته وحاولت ان تستخرج من ثناياه انسانا اسمه شوقي يخالف الاناس الآخرين من انشاء طبقته وجيله لاعياك

المثور عليه ، ولكنك قد تجد هناك قلباً تسميه ما شئت من الاسماء ، وشوقي اسم واحد من سائر هذه الاسماء ، وليس هذا بشعر النفس الممتازة ولا بشعر النفس الخاصة ان اردنا ان نضيّق معنى الامتياز . وليس هو من اجل ذلك بالشعر الذي هو رسالة الحياة ونموذج الطبيعة وانما ذاك ضرب من المصنوعات غلا او رخص على هذا التسويم « وهذا هو الرأي العام الذي أجمله الاستاذ العقاد في الفصل الذي كتبه عن احمد شوقي في كتابه « شعراء مصر وبشائهم في الجيل الماضي » وذلك بعد ان كان قد كتبه وفصله بأسلوب اشد عنفاً في الفصول التي كتبها عن شوقي في الجزئين اللذين صدرا سنة ١٩٢١ من كتاب « الديوان » .

ولقد يكون في نقد الاستاذ العقاد كثير من الصدق من حيث وصفه لطبيعة شعر شوقي ، ولكن القضية العامة فيها نظر كما يقول الفقهاء ، فهناك شعر عالمي لا تتضح فيه على أي وجه شخصية قائله ولا يستطيع قارئه ان يلتقط منه ملامح هذا القائل ، وفي مقدمة هذا الشعر اشعار هوميروس نفسه ، ولكن الخلاف قد ينشور حول الشعر الغنائي اي شعر القصائد وهو الفن الشعري الذي برع فيه الرومانسيون بنوع خاص ودعوا الى ان يكون هذا الفن تعبيراً عن وجدان قائله الذاتي . ويلاحظ ان الاستاذ العقاد وزميله شكري والمازني قد تأثروا بنوع خاص بالشعر والنقد الرومانسيين اللذين كانا سائدين في مرحلة شباههم ، ولا أدل على ذلك من ان نرى شكري رائد هذه الجماعة يضع على غلاف الجزء الاول من ديوانه الصادر سنة ١٩٠٩ قوله :

ألا يا شاعر الفردوس . إن الشعر وجهان

وعلى اية حال فان شوقي اذا لم يكن قد تغنى وجدانه الفردي الا قليلا فانه قد حاول دائماً أن يغني وجدان عصره ومجتمعه وفقاً لظروف حياته الخاصة والعامة التي اوضحناها فيما سبق وهي ظروف كنا نرجو في مواقف

كثيرة ان لو استطاع مقاومتها ، ولكن كل ذلك لا يقدر في طاقته الشعرية  
الفذة وفخامة لغته الشعرية وجهارة موسيقاه وسحر ايقاعها الذي فتن الامة  
العربية كلها حتى جرى شعره على كل لسان .

وعندما اخذ شوقي يؤلف المسرحيات الشعرية راينا النقاد وفي طليعتهم  
الاستاذ العقاد يلاحقونه أيضاً وقد جمع الاستاذ العقاد فصوله النقدية عن  
مسرحية « قهينز » في كتيب نشره باسم « قهينز في الميزان » ولم يتناول  
الاستاذ العقاد نقد هذه المسرحية من الناحية الدرامية التي يلوح ان الاستاذ  
العقاد لم يشغل نفسه بدراستها والتمنياء بها ، بل وجه نقده الى ما سماه جهل  
شوقي بالتاريخ وركاكة شوقي الشعرية ، وهو نقد لم نستطع ان نقره عليه في  
كتابنا عن « مسرحيات شوقي » حيث رأينا أن ما يستحق النقد في مسرحيات  
شوقي هو ضعف الناحية الدرامية لا الملاحظات التاريخية أو الملاحظات الشعرية  
مع شاعر كأحمد شوقي لا يستطيع أحد ان ينكر اتقانه لصناعته كشاعر بل  
ونبوغه فيها .

وأما انتاج شوقي النثري سواء كان في القصص الاربعة التي ذكرناها او في  
مجموعة الفصول التي جمعت له في « اسواق الذهب » فلم تحظ من النقاد  
والدارسين بعناية كبيرة لأن شعره غطى عليها واحتكر دونها الانظار .  
ونثره على أية حال محاكاة لأسلوب المقامة القديم دون أن يصل الى مستواه  
عند الهذاني او الحريري . وهو على أية حال لم يعد يلائم العصر ولا يتماشى  
مع ذوقه ، وحسب شوقي ان يذكر دائماً كشاعر فحل فضلاً عن أمير لشعراء  
العرب المحدثين .



نمازج من شُعره





## مختارات من قصيدة أندلسية

نظمها في منفاه بإسبانيا وفيها يحن للوطن  
العزير ويصف كثيراً من مشاهد ومعاينه .

يا نائح ( الطلح<sup>(١)</sup> ) أشباه عوادينا    نشجى لواديك أم نأسى لوادينا؟  
ماذا تقصُّ علينا غير أن يداً    قصت جناحك جالت في حواشينا!  
رمى بنا البين<sup>(٢)</sup> أيكنا غير سامرنا    أخوا الغريب : وظلاً غير نادينا  
كل رمته النوى! ريش<sup>(٣)</sup> الفراق لنا    سهماً ، وسلّ عليك البين سكيناً  
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصّدرع    من الجناحين عي لا يليننا  
فلئن يك الجنس يا بن الطلح فرقنا    إن المصائب يجمعن المصابينا  
لم تأل ماءك تحناناً ولا ظمأ    ولا ادّكرا ، ولا شجواً أفانينا  
تجرؤ من فتن ساقا إلى فتن    وتسحب الذيل تراءد المؤاسينا  
أساة<sup>(٤)</sup> جسمك شتّى حين تطلبهم    فمن لروحك بالثطّس<sup>(٤)</sup> المداوينا

\* \* \*

(١) الطلح : واد بظاهر اشبيليا كان ابن عباد شديد الولع به .

(٢) ريش : من ريش السهم ألصق عليه الريش .

(٣) الاساة : الاطباء .

(٤) الثطس : الاطباء الخذاق .

آهًا لَنَا ! نَارَ حَيٍّ أَيْلُكَ<sup>(١)</sup> بَأْنْدُلُسَ  
 رَسْمَ وَقَفْنَا عَلَى رَسْمِ الْوَفَاءِ لَهُ  
 لِفَتْنِيَّةٍ لَا تَنَالُ الْأَرْضَ أَدْمُعُهُمْ  
 لَوْ لَمْ يَسُدُّوا بَدَنَ فِيهِ سَنَبَةِ<sup>(٢)</sup>  
 لَمْ نَسْرُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ  
 لَمَّا نَبَا الْخُلْدُ نَابَتْ عَنْهُ نَسْخَتُهُ  
 نَسْتَعِي ثَرَاهُ ثَنَاءً ، كَلِمَا نَسْتُرُ  
 كَادَتْ عَيُونُ قَوَافِينَا تَحْرُكُهُ  
 لَكِنْ مَصْرُ وَإِنْ أَغْضَتْ عَلَى مِقَّةٍ<sup>(٣)</sup>  
 عَلَى جَوَانِبِهَا رَفَّتْ تَمَافُنُهَا  
 مَلَاعِبَ مَرَحَتْ فِيهَا مَآرِبُنَا  
 وَمُطْلَعٌ لِسَعُودٍ مِنْ أَوَاخِرِنَا  
 بِنْتَا فُلْمٍ نَخْتَلُ مِنْ رَوْحٍ<sup>(٤)</sup> يَرَاوَحُنَا  
 كَأَمْ مُوسَى ، عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَكْفُلُنَا

وَأَنْ حَلَلْنَا رَفِيفًا<sup>(٥)</sup> مِنْ رَوَابِينَا  
 نَجِشَ بِالْذَمِّعِ ، وَالْإِجْلَالَ يَنْثِينَا  
 وَلَا مَفَارِقَتَهُمْ إِلَّا مُصْلِينَا<sup>(٦)</sup>  
 لِلنَّاسِ كَاذَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُهُمْ دِينَا  
 كَالْحَمْرِ مِنْ (بَابِل) سَارَتْ (لَدَارِينَا)<sup>(٧)</sup>  
 تَمَائِلُ الْوَرْدِ (خَيْرِينَا)<sup>(٨)</sup> وَ(لَسْرِينَا)  
 دَمُوعُنَا نَضْمِيَتْ مِنْهَا مَرَاثِينَا  
 وَكَيْدَنَ يَوْقِظُنَ فِي الْقُرْبِ السَّلَاطِينَا  
 عَيْنٌ مِنْ الْخُلْدِ بِالْكَافُورِ تَسْقِينَا  
 وَحَوْلَ حَافَاتِهَا قَامَتْ رَوَاقِينَا<sup>(٩)</sup>  
 وَأَرْبُوعٌ أُنِسَتْ فِيهَا أَمَانِينَا  
 وَمَغْتَرِبٌ لَجْدُودٍ<sup>(١٠)</sup> مِنْ أَوَالِينَا  
 مِنْ بَرْ مَصْرَ وَرِيحَانٍ يَغَادِينَا  
 وَبِاسْمِهِ ذَهَبَتْ فِي السَّمَاءِ تَلْقِينَا<sup>(١١)</sup>

(١) الأيك : الشجر الكثيف المتلف .

(٢) الرفيف : الخفيف .

(٣) يقصد بهم ملوك الأندلس . (٤) منبهة : أي شرف ورفعة .

(٥) بابل ودارينا : مدينتان مشهورتان بجودة الخمر .

(٦) خيريا ونسرينا : نوعان من الزهر .

(٧) اللفة : الهبة .

(٨) الرواقى : واحدها راقية وهي التي ترقى الصبي إذا كان به سحر .

(٩) الجدد : الحظوظ . (١٠) الروح : الرحمة والرزق .

(١١) شيء مصر حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج الى المنفى كاهم موسى عليه السلام حين ألقته في البم صبا وسألت الله ان يكفله .

ومصرُ كالكرمِ ذي الاحسان : فاكهة

لحاضرينَ وأكواب لبادينا  
يا ساريَ البرق يرمي عن جوانحنا بعد الهدوء ويهيئ عن مآقينا  
لما تفرق في دمع السماء دماً هاج البكا فخصبتنا الأرض باكينا  
الليل يشهد لم تهتِك دياجيه على نيام ولم تهتف بسالينا  
والنجم لم يرنا إلا على قدم كزفرة في سماء الليل حائرة  
بالله إن جُبتَ ظلماء العُباب على نجائب النور محدواً ( يجرينا )  
رد عنك يداه كل عادية إنساً يعمشَن فساداً أو شياطينا  
حتى حوتك سماء النيل عالية على الغيوث وإن كانت ميامينا  
واحرزتك شغوف<sup>(١)</sup> اللازورد على وشي الزرجد من أفواف واديننا  
وحائك الرف أرجاء مؤرجة ربت خائل واهتزت بساتينا  
فقف إلى الثيل واهتف في خمائله وانزل كما نزل الطلل الرياحينا  
وأسر ما بات يذوى من منازلنا بالحداث ويضوى من مغائنا

\* \* \*

وبأعطرة الوادي سرت سحرا فطاب كل طروح من مرامينا  
ذكية الذيل لو خلنا غلاتها قميص يوسف لم نحسب مغالينا  
جشمت شوك الثرى حتى أتيت لنا بالورد كتباً وبالريث عناونا  
فلو جزيناك بالأرواح غالية عن طيب مسراك لم تهض جوازينا  
هل من ذبولك مسكي نحمله غرائب الشوق وشياً من أمالينا  
إلى الذين وجدنا ود غيرهم دنيا وودهم الصافي هو الديننا

(١) الشغوف واحدها شف : الثوب الرقيق ، واللازورد : حجر شفاف أزرق ، والأفواف يريد بها الخائل .

## نكبة دمشق

قبلت في حفلة أقيمت لإغاثة منكوبي سوريا بتيارو حديقة  
الأزبكية في يناير سنة ١٩٢٦ .

سلام من صبا ( بَرْدَى ) (١) أرقُ ودمع لا يُكفكف يا دمشقُ  
ومعذرةُ السراعةِ والقواني جلال الرزء (٢) عن وصف بَدِيقِ  
وذكرى عن خواطرهما قلبي إليك تلفتُ أبداً وخَفَقُ (٣)  
وبي مما رمتك به الليالي جراحاتُ لها في القلبُ عمق  
دخلتُك والأصيل له اثلاقُ (٤) ووجهك ضاحكُ القسبات طلق  
وتحت جنانك الأنهار تجري وملء دُباك أوراق وورقُ (٥)  
وحولي فتيةٌ غُرُ صباح لهم في الفضل غاياتُ وسبق  
على لَهَوَاتِهِمْ (٦) شعراء لُسُنُ (٧) وفي أعطافهم خطباء شُدُق (٨)  
رواة قصائدي فاعجب لشعري بكل محلّةٍ يرويه خلق  
غمزت إباءهم حتى تَلَطَّتْ أنوف الأسد واضطرم (٩) المدق (١٠)  
وضج من الشكيمة (١١) كلُّ حرٍّ أيٍّ من أُمَيَّةٍ فيه عِتق (١٢)

\* \* \*

- 
- (١) بردى : نهر دمشق . (٢) الرزء : المصيبة . (٣) خفق : خفق .  
(٤) اثلاق : من اثلق لم وأضاء . (٥) الورق : جمع ورقاء هي الحمامة .  
(٦) لهوات : جمع لواة وهي اللحة المشرفة على الحلق في أقصى سف الفم .  
(٧) لسن : من لسن الرجل فصح أو تنامى في الفصاحة والبلاغة .  
(٨) شديق : جمع أشدق أي يبلغ مقوه كريم .  
(٩) اضطرم ، من اضطرم النار : اشتعلت . (١٠) المدق : قصبه الانف .  
(١١) الشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة في فم الفرس .  
(١٢) العتق : الكرم وخلوص الأصل .

لحاما الله أنباء تواتر على سمع الولي<sup>(١)</sup> بما يشق  
يُفصلها<sup>(٢)</sup> الى الدنيا بريد ويُجملها<sup>(٣)</sup> الى الأفاق بريق  
تكاد لروعة الاحداث<sup>(٤)</sup> فيها تُخال من الخرافة وهي صدق  
وقيل معالم التاريخ دُكَّتْ وقيل أصابها تلف وحرَق  
أُلتِ دِمَشْقُ للإسلام ظُشراً<sup>(٥)</sup> ومُرضِعة الأيوّة لا تُعق  
صلاح الدين فاجك لم يُجمل ولم يُوسم بأزبن منه فرق  
وكل حضارة في الأرض طالت لها من سرحك<sup>(٦)</sup> العلوي عرق  
سماؤك من حُلَى الماضي كتاب وأرضك من حُلَى التاريخ رقى<sup>(٧)</sup>  
بنيت الدولة الكبرى وملكا غبار حضارتيه لا يُسق  
له بالشام أعلام وعُرس بشائره بأندلس تُدق

\* \* \*

رباعُ الخلد ويمك ما دهاها أحق أنها درست أحق  
وهل غُرف الجنان منضدات<sup>(٨)</sup> وهل لتعيم كأمس نسق  
وأبن دُمى<sup>(٩)</sup> المقاصير<sup>(١٠)</sup> من حِجَال مهتكة وأستار نشق

(١) الولي : الحب والصدق

(٢) فصل : بين

(٣) يعمل : من اجل الكلام : فصله وبينه

(٤) الاحداث : المصائب

(٥) الظفر : الموضة

(٦) السرح : الشجر العظام

(٧) الرق : جلد رقيق يكتب فيه

(٨) منضد : منسق

(٩) الدمى : واحدتها دمية وهي الصورة المنقشة

(١٠) المقاصير : واحدتها مقصورة وهي الحجر

بَرَزُنْ فِي نَوَاحِي الْأَيْكَ نَارٌ  
 إِذَا رُمِنَ السَّلَامَةُ مِنْ طَرِيقٍ  
 بَلِيلٍ لِلْقَذَائِفِ وَالْمَنَابِيَا  
 إِذَا عَصَفَ الْحَدِيدُ أَحْمَرَ أَفْقٍ  
 سَلَى مِنْ رَاغٍ غَيْدَكَ بَعْدَ وَهْنٍ<sup>(١)</sup>  
 وَلِلْمُسْتَعْمَرِينَ وَأَنْتَ الْآنَا  
 رِمَاكَ بِطَيْشِهِ وَرَمَى فَرَنْسَا  
 إِذَا مَا جَاءَهُ 'طَلَابُ' حَقٍ  
 دَمُ الثَّوَارِ تَعْرِفُهُ فَرَنْسَا  
 جَرَى فِي أَرْضِهَا ، فِيهِ حَيَاةٌ  
 بِلَادَ مَاتَ فَتَيْتَهَا لَتَحْيَا  
 وَحُرَّرَتِ الشُّعُوبُ عَلَى قَتَايَا  
 بَنِي سُورِيَّةَ اطَّرَحُوا الْأَمَانِي  
 فَمَنْ خَدَعَ السِّيَاسَةَ أَنْ تُفَرَّوْا  
 وَكَمْ صَيْدٍ<sup>(٢)</sup> بِدَا لَكَ مِنْ ذَلِيلٍ  
 'فَتَوَقُّ' الْمَلِكِ تَحْدُثُ ثُمَّ تَنْقُضِي  
 نَصَحْتُ وَنَحْنُ 'تُخْتَلِفُونَ دَاراً  
 وَيَجْمَعُونَهَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادَ  
 وَخَلَفَ الْأَيْبُكَ أَفْرَاحٌ تَرَقَّ  
 أَتَتْ مِنْ دُونِهِ لَمَوْتُ طَرَقَ  
 وَرَاءَ سَمَائِهِ خُطْفٌ وَصَعَقُ  
 عَلَى جَنْبَاتِهِ وَاسْتَوْدَ أَفَقُ  
 أَبْشَنَ فُؤَادَهُ وَالصَّخْرَ فَرَّقَ  
 قُلُوبَ كَالْحِجَارَةِ لَا تَرَقُ  
 أَخُو حَرْبٍ بِهِ صَلَفٌ وَخُحِقَ  
 يَقُولُ عَصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُوا  
 وَتَعْلَمُ أَنَّهُ نَوْرٌ وَحَقُّ  
 كُنْهَلٍ<sup>(٣)</sup> السَّمَاءِ وَفِيهِ رِزْقُ  
 وَزَالُو دُونَ قَوْمِهِمْ لِيَسْقُوا  
 فَكَيْفَ عَلَى قَتَايَا تُسْتَرْقَى<sup>(٤)</sup>  
 وَأَلْقُوا عَنْكُمْ الْأَحْلَامَ أَلْقُوا  
 بِالْقَابِ الْإِمَارَةِ وَهِيَ رِقٌّ<sup>(٥)</sup>  
 كَمَا مَالَتْ مِنَ الْمَصْلُوبِ 'عَنْقُ'  
 وَلَا يَنْقُضِي لِمُخْتَلِفِينَ فَتَقُ  
 وَلَكِنْ 'كَلْنَا فِي الْهَمِّ شَرَقُ  
 بَيَانٍ غَيْرِ مُخْتَلَفٍ وَنُطْقُ

(١) الرمن : نصف الليل او بعده بساعة

(٢) منهل السماء : اي قطره

(٣) تسترق : اي تستعبد

(٤) رق : عبودية

(٥) الصيد : ميل العنق وهو يضرب للكبر

وَقَفُّهُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ  
وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حَرٍّ  
وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَايَا  
وَلَا يَبْنِي الْمَالَكُ كَالضَحَايَا  
فَفِي الْقَتْلِ لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ  
وَلِلْحَرِيَةِ الْحَرَاءِ بَابُ  
جَزَاكُم ذُو الْجَلَالِ بَنِي دِمَشْقِ  
تَصَرُّهُمْ يَوْمَ مِخْنَتِهِ أَخَاكُم  
وَمَا كَانَ الدُّرُوزُ قَبِيلُ<sup>(٢)</sup> شَرٍّ  
وَلَكِنْ ذَاذَةٌ<sup>(٣)</sup> وَقِرَاءَةُ ضَيْفٍ  
لَهُمْ جَبَلٌ أَشَمُّ لَهُ شَعْفٌ  
لِكُلِّ لَبْوَةٍ وَلِكُلِّ شَيْلٍ  
كَأَنَّ مِنَ السُّمُوءِ<sup>(٤)</sup> فِيهِ شَيْئًا

فَإِنْ رَمَيْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاسْقُوا  
يَدَ سَلَفٍ وَدِينَ مُسْتَحَقِّ  
إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسْقُوا وَيَسْقُوا  
وَلَا يُدْنِي الْحَقُوقَ وَلَا يُحِقُّ  
وَفِي الْأَسْرِ فِدَى لَهُمْ وَعُتْقٌ<sup>(١)</sup>  
بِكُلِّ يَدٍ مُضْرَجَةٍ يُدَقُّ  
وَعِزُّ الشَّرْقِ أَوَّلُهُ دِمَشْقُ  
وَكُلُّ أَخٍ بَنَصْرٍ أَخِيهِ حَقُّ  
وَإِنْ أَخَذُوا بِمَا لَمْ يَسْتَحِقُّوا  
كَيْبُوعَ الصُّفَا خَشِنُوا وَرَقَّتْ  
مَوَارِدُ فِي السَّحَابِ الْجَوْنِ بُلُقُ  
نِضَالٌ دُونَ غَايَتِهِ وَدِشْقُ  
فَكُلِّ جِهَاتِهِ شَرَفٌ وَخُلُقُ

(١) العتق : الحرية

(٢) القبيل : جمع قبيلة وهي العشيرة

(٣) الذاذة : جمع ذائد وهو الحسام

(٤) السموأل : هو السموأل بن عادياض اليهودي صاحب القسيصة التي مطامها :  
إذا المرء لم يدنس...

## الرحلة الى الاندلس

اختلاف النهار والليل يُنسي      اذكرا لي الصبا وايام أنسي  
وصيفا لي ملاوة<sup>(١)</sup> من شباب      صورت من تصوّرات ومَسَّ  
عصفت كالصبا<sup>(٢)</sup> للعبوب ومرت      سنة<sup>(٣)</sup> حلوة ولذة خلّس<sup>(٤)</sup>  
وسلا مصرّ هل سلا القلب عنها      أو أسا<sup>(٥)</sup> جُرحه الزمان المؤسي  
كلما مرت الليالي عليه      رقّ والعهد في الليالي تُقسّي<sup>(٦)</sup>  
مُسْتَطار<sup>(٧)</sup> إذا البواخر رنّت<sup>(٨)</sup>      أول الليل أو عوت بعد جرس<sup>(٩)</sup>  
راهب<sup>(١٠)</sup> في الضلوع للسفن فطن<sup>(١١)</sup>      كلما تُرن شاعن بنقس<sup>(١٢)</sup>  
يا ابنة اليم<sup>(١٣)</sup> ما أبوكِ بخيلٌ      ما له مولعا بمنع وحبس  
أحرامٌ على بلابله الدو      حُ حلالٌ للطير من كل<sup>(١٤)</sup> جنس  
كل دار أحق بالأهل إلا      في خبيث من المذاهب رجس<sup>(١٥)</sup>  
فَنَفْسِي<sup>(١٦)</sup> ميرْجِلٌ وقلبي شِراعٌ      بها في الدموع سيري وأرسي  
واجعلي وجهك ( الفنار ) ومجرا      ك يد (الثغر) بين (رمل) و(مكس)  
وطني لو 'شغِلْتُ' بالخلد عنه      نازعتني إليه في الخلد نفسي

- 
- (١) الملاوة : البرعة من الدهر      (٢) الصبا : ربيع مهيبا من مطلع الثريا الى بنات نعرش  
(٣) السنة : النعاس      (٤) خلّس الشيء : أخذه في نثرة ومخاللة  
(٥) أس الجرح : دلواه      (٦) قساه تقسيه : اي صيره قاسيا  
(٧) مستطار : استطير الشيء : طير وانتشر      (٨) رن : اي صاح ورفع صوته بالبكاء  
(٩) الجرس : الصوت  
(١٠) الراهب : هو من تبتل لله واعتزل عن الناس الى الدير طلبا للعبادة ويشبه به القلب  
(١١) فطن للشيء : اي حذق به      (١٢) النقس : ضرب النواقيس  
(١٣) اليم : البحر      (١٤) الدوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة  
(١٥) الرجس : المأثم      (١٦) المرجل : القدر من الحجارة والنحاس



وهذا <sup>(١)</sup> بالفؤاد في سلسيل  
شهد الله لم يغب عن جفوني  
يصبح الفكرُ و ( المسلة ) ناد  
وكأني أرى الجزيرة أياك <sup>(٢)</sup>  
هي ( بلقيس ) في الحائل صرح <sup>(٣)</sup>  
حسبها أن تكون للنيل عرساً  
لبست بالأصيل ' حلّة ' وشي  
قدّها النيل فاستحت فتوارت  
وارى النيل ( كالعقيق ) <sup>(٤)</sup> بوادي  
ابن ماء السماء ذو الموكب الفخم  
لا ترى في ركابه غير مثنٍ  
ظمأً للسواد <sup>(٥)</sup> من ( عين شمس )  
شخصه ساعة ولم يخل حسي  
يه و ( بالسرحة الزكية ) يُسمي  
نعمت طيره بأرخم جرس <sup>(٦)</sup>  
من عباب <sup>(٧)</sup> وصاحب غير ' نكس <sup>(٨)</sup>  
قبلها لم يُجنّ يوماً بعرس  
بين صنعاء <sup>(٩)</sup> في الثياب وقس <sup>(١٠)</sup>  
منه بالجسر بين عُرّي ولبس  
له وان كان كثر المتحسي <sup>(١١)</sup>  
الذي يحسّر العيون ' ويحسي <sup>(١٢)</sup>  
يحميل وشاكر فضل غرس

(١) هفا : أي أسرع

(٢) السواد : ما حول البلدة من قرى

(٣) الأيك : الشجر الكثير الملتف ، وقبل الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر .

(٤) الجرس : الصوت أو خفيه

(٥) الصرح : القصر وكل بناء عال

(٦) العباب : الخوصة ، والعباب معظم السيل ، والعباب ارتفاعه وكثرته

(٧) النكس : الرجل الضعيف الذي لا خير فيه

(٨) صنعاء : قصبة بلاد اليمن ، وقرية بباب دمشق

(٩) ثوب قسي وتكسر قافه ، منسوب الى قس وهو موضع بين العريش والفرمان من ارض مصر .

(١٠) العقيق : كل سيل شقه ماء السيل ، ويعني بالعقيق هنا عقيق المدينة وهو معروف

(١١) المتحسي : أي الشارب

(١٢) يحسي : من خسا البصر كل راعيا

وأرى ( الجيزة ) الحزينة تكلى  
أكثرت ضجة السواقى عليه  
وقيام النخيل ضفثن شعراً  
وكان الأهرام ميزان فرعو  
أو قناطره تأتق فيها  
روعة في الضحى ملاعب جن  
و ( رهين الرمال ) أفتس إلا  
تتجلى حقيقة الناس فيه  
لعب الدهر في ثراه صيبا  
ركبت صيد<sup>(٩)</sup> المقادير عينيه  
فأصابت به المالك ( كسرى )  
يا فؤادي لكل أمر قرار<sup>(١٠)</sup>  
عقلت<sup>(١١)</sup> لجة الأمور عقولا  
لم تفق بعد من مناحة (رمسي)<sup>(١)</sup>  
وسؤال اليراع<sup>(٢)</sup> عنه همس  
وتجردن عبر طوق وسلس<sup>(٣)</sup>  
ن بيوم على الجبابر نحس  
ألف جاب<sup>(٤)</sup> وألف صاحب مكس<sup>(٥)</sup>  
حين يفتش الدجى حماها ويفسي<sup>(٦)</sup>  
أنه صنع جنّة غير فطس<sup>(٧)</sup>  
سبع الخلق في أسارى أنسي  
والليالي كواعبا غير عئس<sup>(٨)</sup>  
لنقيد وغلبيه لفرس<sup>(٩)</sup>  
(وهرقلا) (والعقري الفرنسي)  
فيه بيدو وينجلي بعد لبس  
كالت الحوت طول سبخ وغس<sup>(١٢)</sup>

(١) رمسي : أي رمسيس

(٢) اليراع : القصب

(٣) سلس النخلة سلس : ذهب كرهها

(٤) جاب : الجاني الذي يجمع الخراج

(٥) المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية

(٦) يفسي : يظلم

(٧) فطس الرجل : تطامنت قصة أنفه وانتشرت في وجهه فهو أفتس

(٨) عئس جمع عانس وهي الجارية التي طال مكنتها في أمها بعد ادراكها ولم تترج

(٩) صيد : واحد صائد

(١٠) الفرس : الافراس

(١١) عقلت : قيدت

(١٢) غس في البلاد غسا : دخل فيها رمضى قدماً

غرقت حيث لا يصاح بطاف أو غريق ولا يصاح لحس  
فلك يكسف الشمس نهارا ويسوم البدر ليلة وكس<sup>(١)</sup>  
ومواقيت الأمور اذا ما بلغت الأمور صاحبت لعكس  
دول كالرجال مرتينات بقيام من الجدود وتمس  
وليل من كل ذات سوار لطمت كل رب<sup>(٢)</sup> (روم) (وفرس)  
سددت بالهلال قوسا وسلت خنجرا ينفذان من كل<sup>(٣)</sup>  
حكمت في القرون (خوفو) و (دارا) وعفت<sup>(٤)</sup> (واثلا) والوت (بعبس)  
ابن ( مروان ) في المشارق عرش أموي وفي المغارب كرسي<sup>(٥)</sup>  
سقيمت شمسهم فردة عليها نورها كل ثاقب الرأي نطس<sup>(٦)</sup>  
ثم غابت وكل شمس سوى هاتيك تبلى وتنطوي تحت رمس<sup>(٧)</sup>  
وعظ البحري (إوان (كسرى) وشفتي<sup>(٨)</sup> القصورين (عبد شمس)  
رب ليل سريت والبرق طرفي وبساط طويت والريح عنسي<sup>(٩)</sup>  
أنظم الشرق في ( الجزيرة ) بالغر بأطوي البلاد حزنا<sup>(١٠)</sup> الدهس<sup>(١١)</sup>  
في ديار من الخلائف<sup>(١٢)</sup> درس ومنسار<sup>(١٣)</sup> من الطوائف طمس

(١) ليلة الوكس : أي ليلة دخول القمر في نجم منحوس

(٢) عفت : درست

(٣) كرسي : أي عرش

(٤) نطس : أي عالم

(٥) الرمس : القبر

(٦) شفتي : أي وعظمتي هي أيضا وعظا شافيا

(٧) العتس : الناقة

(٨) الحزن : ما غلظ من الارض

(٩) الدهس : المكان السهل ليس يرمل ولا تراب

(١٠) الخلائف : جمع خليفة

(١١) المنارة : العلم يجعل للطريق

وربى كالجنان في كنف الزيتو  
لم يرُعني سوى ثرى قرطبي  
يا وقي الله ما أصبح منه  
قربة لا تعد في الارض كانت  
عشيت ساحل المحيط وغطت  
ركب الدهر خاطري في ثراها  
فتجلت لي القصور ومن فيه  
ماضفت<sup>(٥)</sup> قطي الملوكة على نذ  
وكاني بلغت للعلم بيتاً  
قدساً في البلاد شرقاً وغرباً  
وعلى الجمعة الجلالة و (النا  
يُنزل التاج عن مفارق (دون)  
سنة من كرى وطيف أمان  
وإذا الدار ما بها من أنيس  
ورقيق من البيوت عتيق  
ن خضر وفي ذرا الكرم طلس<sup>(١)</sup>  
لمست فيه عبرة الدهر خمسي  
وسقى صفوة الحيا ما أمسي  
تمسك الأرض أن تميد وتُرسی  
لجنة الروم من شرع وقلس<sup>(٢)</sup>  
فأتى ذلك الحيمى بعد حدس<sup>(٣)</sup>  
ها من العز في منازل قعس<sup>(٤)</sup>  
ل المالبي ولا تردت بنجس  
فيه مال العقول من كل درس  
حججه القوم من فقيهه وقس  
صر نور الخمين تحت الدرفس<sup>(٦)</sup>  
ويجلي به جبين (البرنس)  
وصحا القلب من ضلال وهجس<sup>(٧)</sup>  
وإذا القوم ما لهم من محس<sup>(٨)</sup>  
جاوز الألف غير مذموم حرس<sup>(٩)</sup>

(١) طلس : واحداً طلس وهو ما ألونه سود تخالطه غبرة

(٢) قلس : جبل السفينة

(٣) الحدس : السير على غير هداية

(٤) القعس : العز الثابت

(٥) ضفت : من ضفا : سبغ واتسع

(٦) الدرفس : العلم الكبير

(٧) المهجس : كل ما وقع في خلد الانسان

(٨) محس : اي حاس بها

(٩) الحرس : الدهر

أثر من ( محمد ) و'تراث' صار (لروح) ذي الولاء الأمس<sup>(١)</sup>  
بلغ النجم ذروة وتناهى بين (تهلان<sup>(٢)</sup>) في الأساس و(قدس<sup>(٣)</sup>)  
مرمر تسبح النواظر فيه ويطول المسدى عليها فترسي  
وسوار<sup>(٤)</sup> كأنها في استواء ألفت الوزير<sup>(٥)</sup> في عرض طرس  
فترة الدهر قد كست سطرها<sup>(٦)</sup> ما اكتسى الهندب من فتور ونعس  
ويحها كم تزينت<sup>(٧)</sup> لعلم واحد الدهر واستعدت لخص  
وكان الرفيف<sup>(٨)</sup> في مسرح العبد من ملاء مدنرات الديمقس<sup>(٩)</sup>  
وكان الآيات في جانبيه يتزلن من معارج<sup>(١٠)</sup> قدس  
منبر تحت (منذر<sup>(١١)</sup>) من جلال لم يزل يكتسبه أو تحت (قس )  
ومكان الكتاب يغريك رعا ورده<sup>(١٢)</sup> غائباً فتدنو للآمس  
صنعة<sup>(١٣)</sup> (الداخل) المبارك في الغر ب وآل له ميامين شمس<sup>(١٤)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) الأمس : الأقرب  
(٢) تهلان : جبل بالعالية  
(٣) قدس : جبل عظيم بنجد  
(٤) السواري : واحدتها سارية وهي الاسطوانة « العمود »  
(٥) الوزير : يعنى به ابن مقله المشهور بمجودة الخط  
(٦) سطرها : صفورها  
(٧) ويحها كم تزينت لعلم : اي لدرس عالم واستعدت لإقامة الصاوات الخمس  
(٨) الرفيف : السقف  
(٩) الديمقس : الحورير  
(١٠) المارج : واحدها مرج وهو السلم والمصعد  
(١١) منذر : هو قاضي الاندلس منذر المعروف بالعدل والزهد  
(١٢) ردا ورده : اي رائحة ورده  
(١٣) الداخل : هو عبد الرحمن بن معارية بن هشام مؤسس الدولة الأموية بالاندلس  
(١٤) الشمس : الأباة

من ( لمرء ) جللت بغبار الـ  
كسنا البرق لو محا الضوء لحظاً  
حصن ( غرناطة ) ودار بني ( الأحـ  
جلل الثلج دونها رأس ( شيري )  
سرمـد شيبه ولم أر شيباً  
مشت الحادثات في غرف ( الحمد  
هتكت عزه الحجاب وفضت  
عرصات تحلت الخيل عنها  
ومعان على الليالي وضاء  
لا ترى غير وافدين على النـ  
نقلوا الطرف في نضارة آس  
وقباب من لازورد وتبر  
وخطوط تكفلت للمعاني  
وترى مجلس السباع خلاه  
لا ( الثريا ) ولا جوارى الثريا  
مرمر قامت الأسود عليه  
تنثر الماء في الحياض جماناً  
آخر العهد بالجزيرة كانت  
فقرها ، تقول : راية جيش

هدر كالبحر بين برء ونكس  
لحتها اليمون من طول قبس  
مر ( من غافل ويقظان ندس<sup>(١)</sup>  
فبدا منه في عصائب برس<sup>(٢)</sup>  
قبله يرجى البقاء وينسي  
راء ) مشي النعي في دار عرس  
سدة الباب من سيمر وأنس  
واستراحت من احتراس وعس<sup>(٣)</sup>  
لم تجد للعشي تكرار مس  
ريخ ساعين في خشوع ونكس  
من نقوش وفي عصاره ورس<sup>(٤)</sup>  
كالرهي الشم بين ظل وشمس  
ولألفاظها بأزين لبس  
مقفر القاع من ظباء وخنس  
يتنزلن فيه أقمار إنس  
كلّة الظفر لينات المحسن  
يتنزي على ترائب ملنس  
بعد عرك من الزمان وضرس<sup>(٥)</sup>  
باد بالأس بين أسر وحس<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) الندس : القهم  
(٢) عصائب برس : أي بيض كالقطن  
(٣) المس : احتراس الليل  
(٤) الورس : نبات احمر اللون  
(٥) الضرس : من ضرس الزمان القوم، اشتد عليهم  
(٦) الحسن : القتل

ومفاتيحُها مقاليدُ مُلكٍ  
خرج القومُ في كتابٍ صمٍ  
ركبوا بالبحار نعشا وكانت  
ربّ بانٍ لهادمٍ وجمُوع  
إمرة الناسِ همّةٌ لا تأتِي  
وإذا ما أصاب بنيان قوم  
يا دياراً نزلتُ كالخلد ظيلاً  
محسّناتِ الفصول لا تاجر<sup>(٢)</sup> فيه  
لا تحسّ العيونُ فوق رُبّاهما  
كسّيتُ أفرخي بظلك ريشاً  
هم بنو مصر لا الجليل لديهم  
من لسانٍ على ثنائِكَ وقفٍ  
حسبهم هذه الطلولُ عظامٍ  
وإذا فاتك التفات إلى الما

باعها الوارث المضيع ببخس  
عن حفاظٍ كموكب الدفن خرس  
تحت آبائهم هي العرش أمس  
لمشيتٍ ومحسنٍ لمُخيسٍ  
لجبانٍ ولا تسنّى لجبس<sup>(١)</sup>  
وهي خُلقت فإنه وهي أسٌ  
وجنى دانبا وسلسال أنس  
ها بقيظ ولا جمادى بقرس<sup>(٣)</sup>  
غير حورٍ حور<sup>(٤)</sup> المرافف<sup>(٥)</sup> لعس<sup>(٦)</sup>  
وربّا في ربّك واشتد غرسي  
بُضَاعٍ ولا الصنيع بمنّي  
وحسّانٍ على ولائِكَ حَسّس  
من جديد على الدهور ودّرس  
ضي فقد غاب عنك وجه التأسي

(١) الجبس : الجلباب .

(٢) شهر رجب أو صفر أو كل شهر من شهور الصيف .

(٣) بقرس : ببارد .

(٤) حو المرافف : أي سمر الشفاه وهو مستملح من النساء .

(٥) المرافف الشفاه .

(٦) اللعس : سواد مستحسن في الشفة .

صقر قريش ( عبد الرحمن الداخل )

### موشح أندلسي

من لِنِضْوَرٍ يَتَنَزَّى<sup>(١)</sup> أَلَمَّا بَرَحَ الشَّوْقُ بِهِ فِي الْفَلَسِ  
حَنَّ لِلْبَانِ وَنَاجَى الْعَلَمَا أَيْنَ شَرْقُ الْأَرْضِ مِنْ أُنْدَلَسِ

\* \* \*

بَلْبَلٌ عَلَّمَهُ الْبَيْنُ الْبَيَانَ بَاتَ فِي حَبْلِ الشَّجُونِ ارْتَبَكَ  
فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ غُلُوعُ الْعَيْنَانِ ضَاقَتْ الْأَرْضُ عَلَيْهِ شَبَكَ  
كَلَمَا اسْتَوْحَشَ فِي ظِلِّ الْجَنَانِ جَنَّ فَاسْتَضَحَكَ مِنْ حَيْثُ بَكَى  
ارْتَدَى بُرْنَسَهُ وَالتَّسَمَّا وَخَطَا خُطْوَةَ شَيْخٍ مُرْعَسٍ<sup>(٢)</sup>  
وَيُرَى ذَا حَدَبٍ إِنْ جِئَا فَإِنْ ارْتَدَّ بَدَا ذَا قَعَسٍ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

فَمَهْ الْقَانِي عَلَى لَبَّتِهِ كِبَقَايَا الدَّمِّ فِي نَضَلٍ دَقِيقٍ  
كَمَدَهُ فَانْشَقَّ مِنْ مَنْبَتِهِ مِنْ رَأْيِ شَقِيٍّ مَقْصُوفٍ مِنْ عَقِيقٍ  
وَبَكَى شَجْوًا عَلَى شُعْبَتِهِ شَجُو ذَاتِ الثُّكُلِ فِي السَّوْرِ الرَقِيقِ

---

(١) يتنزي : يتوثب .

(٢) المرعى : من رعى الرجل إذا مشى مشياً ضعيفاً من الإعياء .

(٣) اتقعس : ضد الحدب وهو قُتْوَةُ الصدر .



سَلَّ مِنْ فِيهِ لِسَانًا عَنَمًا<sup>(١)</sup> ماضياً في البَثِّ لم يَحْتَبِسْ  
وَقَرَّ<sup>(٢)</sup> مِنْ غَيْرِ ضَرْبِ رَنَمًا فِي الدَّجَى أَوْ شَرِّ مِنْ قَبَسْ

\* \* \*

نَفَرْتُ لَوَعَتِهِ بَعْدَ الْهُدُوءِ وَالِدَجَى بَيْتَ الْجَوَى وَالْبَرْحَا  
يَتَعَايَا يَخْنُجُحُ وَيَنْوُوءُ يَخْنُجُحُ مَذْهُمِي مَا صَلَحَا  
سَاءَهُ الدَّهْرُ وَمَا زَالَ يَسُوءُ مَا عَلَيْهِ لَوْ أَسَا مَا جَرَحَا  
كَلِمَا أَدْمَى يَدَيْهِ نَدَمًا سَالَتَا مِنْ طَوْقِهِ وَالْبُرْنَسْ  
كَفَنِيَتْ أَهْدَابَهُ إِلَّا دَمَمَا قَامَ كَالْيَاقُوتِ لَمْ يَنْبَجِسْ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

مَدَّتْ فِي اللَّيْلِ أَنْيُنَا وَخَفَقَتْ خَفَقَانُ الْقُرْطِ فِي جَنْحِ الشَّمَرِ  
كَفَرَعَتْ مِنْهُ النَّوَى غَيْرَ رَمَقْ<sup>(١)</sup> فَضْلَتُهُ الْجُرْحُ إِذَا الْجُرْحُ نَعَرَ<sup>(٢)</sup>  
يَتَلَاشَى نِزَوَاتٍ فِي حُرْقٍ كَذِبَالٍ آخِرَ اللَّيْلِ اسْتَعَرِ  
لَمْ يَكُنْ طَوْقًا وَلَكِنْ صَرَمَا مَا عَلَى كَلْبَتِهِ مِنْ قَبَسْ  
رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُ هَلْ عَلِمَا أَنْ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ ذَا النَّفْسِ

\* \* \*

قَلْتُ لِلَّيْلِ وَلِلَّيْلِ عَوَادٍ مِنْ أَخُو الْبَثِّ فَقَالَ : ابْنُ فِرَاقٍ  
قَلْتُ مَا وَادِيهِ قَالَ الشَّجْوُ وَادٍ لَيْسَ فِيهِ مِنْ حِجَازٍ أَوْ عِرَاقٍ  
قَلْتُ لَكِنْ جَفَنَهُ غَيْرُ جَوَادٍ قَالَ شَرُّ الدَّمْعِ مَا لَيْسَ بِرَاقٍ

---

(١) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه به البنان المحضوب .

(٢) لم ينجس : لم يتفجر .

(٣) يقال جرح نغار رأي جياش بالدم .

نَتَبَطُ الطَّيْرَ وما نَعْلَمُ ما هِيَ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ بَشَرٍ  
فَدَعِ الطَّيْرَ وَحِظًا قَسَمًا صَيَّرَ الْأَيْكَ كَدُورَ الْأَنْسَرِ

\* \* \*

نَاحِ إِذْ جَفَنَّا فِي أَسْرِ النُّجُومِ رَسَفًا<sup>(١)</sup> فِي السُّهْدِ وَالدَّمْعِ طَلِيقٍ  
أَيُّهَا الصَّارِخُ مِنْ بَحْرِ الْهَمُومِ مَا عَسَى يُغْنِي غَرِيقٍ عَنْ غَرِيقٍ  
إِنَّ هَذَا السَّهْمَ لِي مِنْهُ كُثُومٌ كُلُّنَا نَازِحُ أَيْكَ وَفَرِيقٍ  
قَلْبَ الدُّنْيَا تَجِدُهَا قِسَمًا صُرُوفَتٍ مِنْ أَنْعَمَ أَوْ أَبُوسَ  
وَانْظُرِ النَّاسَ تَجِدُ مِنْ سَلِيمٍ مِنْ سَهَامِ الدَّهْرِ شَجَّتَهُ الْقِسِي

\* \* \*

يَا شَبَابَ الشَّرْقِ عُنْوَانَ الشَّبَابِ ثَمَرَاتِ الْحَسَبِ الزَّائِكِي النَّسَبِ  
حَسَبُكُمْ فِي الْكُرْمِ الْحُضَّ اللَّثْبَابِ سِيرَةٌ تَبْقَى بَقَاءَ ابْنِي سَمِيرٍ<sup>(٢)</sup>  
فِي كِتَابِ الْفَخْرِ (لِلدَّخْلِ)<sup>(٣)</sup> بَابٌ لَمْ يَلْجِهْ مِنْ بَنِي الْمَلِكِ أَمِيرٍ  
فِي الشَّمُوسِ الزُّهْرُ بِالشَّامِ انْتَمَى وَغَى الْأَقْمَارِ بِالْأَنْدَلُسِ  
قَعْدَ الشَّرْقِ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَانْتَنَى الْغَرْبُ بِهِمْ فِي عُرْسِ

\* \* \*

هَلْ لَكُمْ فِي نَبَأِ خَيْرِ نَبَأٍ حَلِيَّةٍ التَّارِيخِ مَأُورٍ عَظِيمٍ  
حَلْ فِي الْأَنْبَاءِ مَا حَلَّتْ سَبَبًا مَنَزَلُ الْوُسْطَى مِنَ الْعَقْدِ النَّظِيمِ  
مَثَلُهُ الْمَقْدَارُ يَوْمًا مَا خَبَأَ لَسْلِبِ التَّاجِ وَالْعَرْشِ كَظِيمِ

---

(١) رَسَفًا : تَقِيدًا .

(٢) ابْنِي سَمِيرٍ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

(٣) الدَّخْلُ : هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخْلُ أَوَّلُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ .

يُعْجِزُ الْقُصَّاصَ إِلَّا قَلِيلًا فِي سَوَادٍ مِنْ هَوَى لَمْ يُغْمَسْ  
يُؤْثِرُ الصَّدَقَ وَيَحْزِي عَمَلًا قَلْبَ الْعَالَمِ لَوْ لَمْ يُطْمَسْ

\* \* \*

عَنْ عَصَامِي نَبِيلٍ مُعْرِقٍ فِي بُنَاةِ الْمَجْدِ أَبْنَاءِ الْفَخَّارِ  
نَهَضَتْ دَوْلَتُهُمْ بِالْمَشْرِقِ نَهْضَةُ الشَّمْسِ بِأَطْرَافِ النَّهَارِ  
ثُمَّ خَافَ التَّاجُ وَدَّ الْمَفْرِقِ وَنَبَتَ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرُ الدِّيَارِ  
غَفَلُوا عَنْ سَاهِرٍ حَوْلَ الْحِمَى بِاسْطٍ مِنْ سَاعِدَيِّ مُقْتَرَسِ  
حَامٍ حَوْلَ الْمَلِكِ ثُمَّ اقْتَحَمَا وَمَشَى فِي الدَّمِ مَشَى الضَّرْسِ

\* \* \*

ثَارُ عَثَانٍ لِمُرَوَّافٍ مَجَّازٍ وَدَمُ السَّبْطِ<sup>(١)</sup> أَثَارُ الْأَقْرَبُونَ  
حَسَنُوا لِلشَّامِ ثَارًا وَالْحِجَازِ فَتَعَالَى النَّاسُ فِيمَا يَطْلُبُونَ  
مَكَرَ سُوَّاسٍ عَلَى الدِّهَامِ جَازٍ وَرُعَاةٍ بِالرَّعَايَا يَلْعَبُونَ  
جَعَلُوا الْحَقَّ لِبَغْيٍ سَلَمًا فَهُوَ كَالسَّيْرِ لِهِمُ وَالْتَرَسِ  
وَقَدِيمًا بِاسْمِهِ قَدْ ظَلَمْنَا كُلَّ ذِي مِثْدَقَةٍ أَوْ جَرَسِ

★ ★ ★

جُزْئِيَّتِ مِرْوَانَ<sup>(٢)</sup> عَنْ آبَائِهَا مَا أَرَاقُوا مِنْ دِمَاءٍ وَدَمُوعٍ  
وَمِنْ النَّفْسِ وَمِنْ أَهْوَائِهَا مَا يُؤَدِّيهِ عَنِ الْأَصْلِ الْفُرُوعِ  
خَلَّتِ الْأَعْوَادُ مِنْ أَسْمَائِهَا وَتَقَطَّتْ بِالصَّالِبِ الْجُنُودُ

---

(١) يعني بالسبط : الحسين بن علي صلوات الله عليه .

(٢) يعني بمروان : بني مروان .

ظَلَمَتْ حَتَّى أَظْلَمَ<sup>(١)</sup> حَاصِدُ السِّيفِ وَبِئْسَ الْمُخْبَسُ  
فَطِنًا فِي دَعْوَةِ الْآلِ لَمَّا هَمَسَ الشَّانِي وَمَا لَمْ يَهْمَسْ

★ ★ ★

لَبِستَ بُرْدَ النَّبِيِّ الشَّيْرَاتِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ نورا فوق نور  
وقديما عند مروان تِراثٍ لَزَكِيَّاتٍ مِنْ الْأَنْفُسِ نور  
فنجبا الدَّاخلِ سبجا بالفُراتِ تَارَكَ الْفِتْنَةَ تَطْفَى وَتُثَوِّرُ<sup>(٢)</sup>  
غَسَّ<sup>(٣)</sup> كَالْحَوْتِ بِهِ وَاقْتَحَمَا بَيْنَ عِبرِيهِ عَيْسُونَ الْحَرَسِ  
ولقد يحدي الفقى أن يعلما صهوة الماء ومثنى الفرس

★ ★ ★

صحب الدَّاخلِ مِنْ إِخْوَتِهِ حَدَثَ خَاصِ الْغَمَارِ ابْنُ سَمَّانٍ  
غلب الموج على قسوته فكأن الموج من جُند الزمان  
وإذا بالشط من شقوته صائح صاح به : نلت الأمان  
فانثنى مُنْخَدِعًا مُسْتَلَمًا شاةٌ اغترت بعهْدِ الْأَطْلَسِ<sup>(٤)</sup>  
خَضَبَ الْجَنْدُ بْنُ الْأَرْضِ دَمَا وَقُلُوبُ الْجُنْدِ كَالصَّخْرِ الْقَسِيِّ

★ ★ ★

أَيُّهَا الْبَائِسُ مَتَّ قَبْلَ الْمَاتِ أَوْ إِذَا شِئْتَ حَيَاةً فَالرَّجَا

---

(١) الْأَظْلَمُ هُنَا هُوَ أَبُو سَلَمٍ الْخُرَّاسَانِيُّ صَاحِبُ دَعْوَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَقَدْ سَلَبَ بَنِي أُمَيَّةٍ مَلِكِيَّتَهُمْ .

(٢) تَارَتْ الْفِتْنَةُ : وَقَعَتْ وَانْتَشَرَتْ .

(٣) غَسَّ : دَخَلَ وَمَضَى .

(٤) الْأَطْلَسُ : الذَّنْبُ .

لا يَصِيقُ ذرعك عند الأزمات إن هي اشتدت وأمثل فَرَجًا  
ذلك أَدَاخِل لاقى مُظلمات لم يكن يأمل منها مخرجا  
قد تولى عزه وانصرما فحصى من غده لم يئأس  
رام بالمغرب مُلكا فرمى أبعد الفتر وأقصى اليأس

★ ★ ★

ذاك والله الغنى كل الغنى أي صعب في المعالي ما سَلَكَ  
ليس بالسائل إن هم مقى لا ولا الناظر ما يُوحى الفلك  
زایل المُلْك ذوبه فأتى مُلك قومٍ ضيعوه فهلك  
عُمرات عارضت مقتحما عالي النفس أثم المعطس<sup>(١)</sup>  
كل أرض حلّ فيها أو حمى منزل البدر وغابُ البيهس<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

نَزَلَ التاجي على حُكم النوى وتوارى بالسُرى من طالبيه  
غير ذي رَحْل ولا زاد سوى جوهـر وافاه من بيت أبيه  
قـرّ لاقى خُسوفاً فأنزوى ليس من آبائه إلا نبيه  
لم يجد أعوانه والخدمـا جانبوه غير (بدر) الكيـس  
من مواليه الثقات القـدما لم يخنه في الزمان المويـس

\* \* \*

حين في افريقيا انحل الوثام واضمحلت آية الفتح الجليل

---

(١) المعطس : الأنف .

(٢) البيهس : الأسد .

ماتت الأمة في غير التثام وكثير ليس يلنامُ قليل  
يَمَنَّ سَلَّتْ ظباها والشَّامُ شامها<sup>(١)</sup> هندية ذات صليل  
فرَّقَ الجند الغنى فانقسما وغدا بينهم الحق نسي  
أوحش السُّود فيهم وسمما للمعالي من به لم تأنس

\* \* \*

رُحِّبُوا بالعقري النابه البعيد الهمة الصعب القياد  
مدَّ في الفتح وفي أطنابه لم يقف عند بناء ابن زياد<sup>(٢)</sup>  
هجر الصيد فما يُعْنَى به وهو بالملك رفيق ذو اصطيد  
سَلَّ به أندلسا هل سَلِمَا من أخي صيد رفيق مرس<sup>(٣)</sup>  
جرَّد السيف وهزَّ القلما ورمى بالرأي أم الخُلَس<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

بسلام يا شرعاً ما درى ما عليه من حياء وسخاء  
في جَنَاحِ المَلِكِ الرُّوح<sup>(٥)</sup> جرى وبريح جفها اللطف رُخَاء  
غسلَ اليمُّ جراحات الثرى وبما الشدة من يبحو الرخاء  
هل دَرَى أندلس من قدما داره من نحو بيت المقدس  
بسليلا الأمويين سَمَا فتَحْ موسى مستقر الأسس

\* \* \*

أُمويٌّ للُلا رحلتُهُ والمعالي بمطى وطُرق

(١) شام : سل .

(٢) هو طارق بن زياد مولى بن نصير فاتح الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي .

(٣) اللرس : الشديد المجرب في الحروب يقال : انه لمرس حذر .

(٤) الخلس : جمع خلسة وهي الفرصة .

(٥) الملك الروح : جبريل .

كالهلال انفردت 'نفلتُ' لا يحاريه ركبٌ في الأفقُ  
 بُنيت من خلُق دولته قد يشيد الدول الشمّ الخلق  
 وإذا الأخلاق كانت سلّما نالت النجم يد الملتبس  
 فارقَ فيها ترقّ أسباب السما وعلى ناصية الشمس اجلس

\* \* \*

أي ملك من بنايات الهيمم أسّس الداخلُ في الغرب وشاد  
 ذلك الناشئ في خير الأمم ساد في الأرض ولم يخلق يُساد  
 حكمت فيه الليالي وحكم في عواديهما قياداً بقياد  
 سلب العزّ بشرق فرمى جانب الغرب لغز أقمس  
 وإذا الخير لبعد قسيا سنج السعد له في النحس

\* \* \*

أيها القلب أحق أنت جبار للذي كان على الدهر يحير  
 هاهنا حل به الركب وسار وهنا فلو الى البعث الأسير  
 فلك بالسعد والنحس مدار صرع الجام<sup>(١)</sup> وألوى بالمدير  
 ها هنا كنت ترى حوّ الدُمى فانتبات بالشفاه اللعس<sup>(٢)</sup>  
 ناقلات في العبير القدما واطأت في حبير السندس

\* \* \*

خذُ عن الدنيا بليغ المِظّة قد تجلّت في بليغ الكلم  
 طرفاها جمعا في لفظيّة فتأمل طرفيها تتعلم  
 الأماني حلّم في يقظيّة والنأي يقظّة من حلّم

(١) الجام : الكأس .

(٢) اللعس : سواد مستحسن في الشفه .

كُلَّ ذِي سِقْطِينَ<sup>(١)</sup> فِي الْجَوْسِمَا      وَاقِعَ يَوْمًا وَإِن لَّمْ يُغْرَسْ  
وَسِيلَقَى حِينَهُ نَسْرَ السَّمَا      يَوْمَ تَطْوَى كَالْكِتَابِ الدَّرَسْ

\* \* \*

أَيْنَ يَا وَاحِدَ مِرْوَانَ عَلَّمَ      مِنْ دَعَاكَ الصَّقْرَ سَمَّاهُ الْعُغَابِ<sup>(٢)</sup>  
رَايَةً صَرَفَهَا الْفَرْدَ الْعَلَمَ      عَنْ وَجْهِهِ النَّصْرَ تَصْرِيفَ النَّقَابِ  
كَنتَ إِنْ حَرَدْتَ سَيْفًا أَوْ قَلَمَ      أُبَيَّتْ بِالْأَلْبَابِ أَوْدَنْتَ الرَّقَابِ  
مَا رَأَى النَّاسَ سِوَاهُ عَلَمًا      لَمْ يُرْمَ فِي 'جَلَّةٍ' أَوْ يَبْسَ  
أَعْلَى رُكْنِ السَّمَاءِ ادْعَا      وَقَطَعِي يَجْنَحَ الْقُدْسِ

\* \* \*

قَصْرُكَ ( الْمُنِيَّةُ ) مِنْ قُضْرُطَةٍ      فِيهِ دَارُوكَ وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ  
صَدَفَ خُطًّا عَلَى جَوْهَرَةٍ      بَدَأَ أُنْ الدَّهْرَ نَبَاشَ بَصِيرُ  
لَمْ يَدْعَ ظِلًّا لِقَصْرِ ( الْمُنِيَّةِ )      وَكَذَا عَمَرَ الْأَمَانِيَّ قَصِيرُ  
كَنتَ صَقْرًا قُرْشِيًّا عَكَمًا      مَا عَلَى الصَّقْرِ إِذَا لَمْ يُرْمَسْ  
إِنْ تَسَلَّ أَيْنَ قُبُورِ الْعُظْمَا      فَعَلَى الْأَفْوَاهِ أَوْ فِي الْأَنْفُسِ

\* \* \*

كَمْ قُبُورٍ زِينَتْ جَيْدَ الثَّرَى      تَحْتَهَا أُنْجَسَ مِنْ مَيِّتِ الْجَوْسِ  
كَانَ مِنْ فِيهَا وَإِنْ حَازُوا الثَّرَى      قَبْلَ مَوْتِ الْجَسْمِ أَمْوَاتِ النَّفُوسِ  
وَعُظَامُ تَتَزَكَّى عَنْبَرًا      مِنْ ثَنَاءِ صِرْنَ أَغْفَالِ الرَّمُوسِ  
فَاتَّخَذَ قَبْرَكَ مِنْ ذِكْرٍ قَمَا      تَبَنَّى مِنْ مَحْمُودِهِ لَا يُطْمَسُ  
هَبَّكَ مِنْ حَرَصِ سَكَنْتِ الْمَرْمَا      أَيْنَ بَانِيهِ الْمَتْبَعِ الْمَلَسُ

\* \* \*

---

(١) السقط : جناح الطائر .

(٢) العغاب : اسم راية الداخل .



## وقال في الغزل :

تأتي الدلال سجيةً وتصنعها  
به كيف شئت فما الجبال بجاكم  
لك أن يروّعك الوشاة من الهوى  
قالوا لقد سمع الغزال لمن وشى  
أنا من مجبك في نفارك مؤنسا  
قدمت بين يدي أيام الهوى  
وصدقت في حبي فلست مباليا  
يا من جرى من مقلتيه لي الهوى  
الله في كبدي سقيت بأربع  
وأراك في حالي دلالك مبدعا  
حتى يطاع على الدلال ويُسمعا  
وعلي أن أهوى الغزال مروّعا  
وأقول ما سمع الغزال ولا وعى  
ويجب تبهك في نفارك مطمعا  
وجعلتها أملا عليك مُضيعا  
أن أُمْنَح الدنيا به أو أُمْنعا  
صرفا ودار بوجنتيه مشعشا<sup>(١)</sup>  
لوصبحوا (رضوى<sup>(٢)</sup>) بهالتصدا

## وقال في الغزل :

رَدَّتْ الرُّوحَ عَلَى الْمُضْطَى مَعَكَ  
مرّ من بُعدك ما روعني  
كم شكوتُ البين بالليل إلى  
وبعثت الشوق في ريح الصبّا  
يا نعيمي وعذابي في الهوى  
أنت رَوْحِي ظَلَمَ الْوَاشِي الَّذِي  
موقعي عندك لا أعلمه  
أرجفوا أنك شاكٍ مُوجِعٌ  
نامت الأعينُ إلا مقلّةً  
أحسن الأيام يوم أرجعك  
أترى يا حلو بُعْدِي رَوْعَك  
مطلع الفجر عسى أن يُطْلِعَك  
فشكا الحُرقة مما استودعك  
بعذولي في الهوى ما جمّعك  
زَعَمَ الْقَلْبُ سَلا أو ضَيّعك  
آه لو تعلم عندي موقعك  
ليت لي فوق الضنا ما أوجعك  
تسكب الدمع وترعى مضجعك

(١) مشعشا : الشراب يمزج بلقاء .

(٢) رضوى : اسم جبل .

## يرقال في الغزل

صحا القلب الا من خمار أمانى  
حنانيك قلبي هل أعيد لك الصبا  
تحنُّ الى ذاك الزمان وطيبه  
اذا لم تصن عهدا ولم ترع ذمة  
أتذكر اذ نعطي الصباة حقها  
وأنت خفوق والحبيب مباعد  
وأيام لا آلو رهانا مع الهوى  
لقد كنت أشك من خفوقك دائبا  
سقاك التَّصابي بعدما علَّك الصبا  
وما زلتُ في ريع الشباب وإنما  
ولا أكذبُ الباري بنى الله هيكلي  
أدين اذا اقتصاد الجمالُ أزمقي  
يحاذبني في الغيد رث عناني  
وهل للفق بالمستحيل يدان  
وهل أنت الا من دمٍ وحنان  
ولم تدكر الفأ فليست جناني  
ونشرب من صرف الهوى بيدنان  
وأنت خفوق والحبيب مدان  
وانت فؤادي عند كل رهان  
فولسى فيما لهفي على الخفقان  
فكيف ترى الكأسين تحتلفان  
يشيب الفقى في مصر قبل أوان  
صنيعه احسان ورق حسان  
وأعنو اذا اقتاد الجميل عناني

## أنس الوجود

أيها المُنْتَحِي (بأسوان) داراً  
 اخلع النعل واخفض الطرف واخضع  
 قف بثلث (القصور) في المِغْرَقِ  
 كعدارى أخفين في الماء بضاً<sup>(١)</sup>  
 مشرفات على الزوال وكانت  
 شاب من حولها الزمان وشابت  
 ربّ «نقش» كأنما نفّض الصا  
 و «دهان» كلامع الزيت مرّت  
 و (خطوط) كأنها هُذِبُ ريمٍ<sup>(٢)</sup>  
 و «ضحايا» تكاد تمشي وترعى  
 و «محاريب» كالبروج بَنَتْهَا  
 شيدت بعضها الفراعين زُلْفَى<sup>(٣)</sup>  
 و «مقاصير» أبدلت بفتات الد  
 كالثريا تُريد أن تنقضاً  
 لا تحاول من آية الدهر غصّاً  
 ممسكاً بعضها من الدُّعْر بعضاً  
 ساجحات به وأبدن بضاً  
 مشرفات على الكواكب نهضاً  
 وشبابُ الفنون ما زال غصاً  
 نع منه اليدين بالأمس نفّضاً  
 أعصُر بالسراج والزيت وضاً<sup>(٤)</sup>  
 حَسُنْتَ صنعةً وطُولاً وعَرْضاً  
 لو أصابت من قدرة الله نبضاً  
 عَزَمَات من عزمة الجن أمضى<sup>(٥)</sup>  
 وبنى البعض أجنبٌ يقرضُ<sup>(٦)</sup>  
 مسكٌ تُرباً وبالواقيت قضا<sup>(٧)</sup>

(١) بضاً، البض : الرخص الجسد

(٢) وضاً : وضاء

(٣) ريم : غزال

(٤) أمضى : أجد

(٥) زُلْفَى : تقرباً

(٦) يقرضُ : يطلب الرضا

(٧) قضا : حمى

حَظَّهَا اليرم هَدَّةٌ وقديما  
سقت العالمين بالسعد والنح  
صَنَعَةٌ تدهش العقول وفنٌ  
صرفت في الحظوظ رَفَمَا وخفضا  
س الى ان تعاطت النحاس محضا<sup>(١)</sup>  
كان اتقانه على القوم فرضا

\* \* \*

يا قصورا نظرتُها وهي تقضي<sup>(٢)</sup> فسكبت الدموع والحق يُقضى  
أنت سَطْرٌ ومجد مصر كَتَّابٌ كيف سام البيلي كتابك فضتاً  
وانا المَحْتَفِي بتاريخ مصر من يَصْنُ مجد قومه صان عِرْضا  
رُبُّ سرِّ يَحْيَانِيكَ مزالٍ كان حق على « الفراعين » غمضا  
قل لها في الدعاء لو كان يُجدي يا سماءَ الجلال لا صرت ارضا  
حَارَ « فيك » المهندسون عقولا وقولت عزائم العِلمِ مَرْضَى  
أين ملكٌ حيا لها وفريد من نظام النعيم أصبح فضتاً<sup>(٣)</sup>  
أين « فرعون » في المواكب تترى يركض المالكين كالخيل ركضا  
ساق للفتح في الممالك عرضاً وَجَلَّ للفخار في السِلمِ عَرْضَا  
أين « إيزيس » تحتها النيل يجري حكمت فيه شاطئين وعرضا  
أسدل الطرف كاهنٌ ومليكٌ في ثراها وأرسل الرأس خفضا  
يُعَرِّض المالكون أسرى عليها في قيود الهوان عانين جرضى<sup>(٤)</sup>  
مالها أصبحت بغير مُجِيرٍ تشتكي من نوائب الدهر عضا

(١) محضا : خالسا

(٢) تقضي : تنفي

(٣) فضا : مفضوض

(٤) جرضى : منمورين .

هي في الأسر بين صخر وبحر ملكة في السجون فوق حصون<sup>(١)</sup> قضى  
 أين « هوروس » بين سيف ونطع أبهذا في شرعهم كانت يقضى  
 ليت شعري قضى شهيد غرام أم رماه الوشاة حقدأ وبغضا  
 رب ضرب من سوط فرعون مض<sup>(٢)</sup> دون فعل الفراق بالنفس مضاً  
 وهلاك بسيفه وهو قان دون سيف من اللوا حظي<sup>(٣)</sup> قضى  
 قتله فهل لذاك حديث أين راوي الحديث نثرا وقرضا

\* \* \*

يا إمام الشموب بالأمس واليو م ستعطى من الثناء فترضى  
 (مصر) بالنازلين من ساح (معن<sup>(٤)</sup>) وحى الجود (حاتم) الجود أفضى  
 كُن ظهراً<sup>(٥)</sup> لأهلها ونصيراً وابنل النصح بعد ذلك محضاً  
 قل لقوم على (الولايات) أيقا ظي إذا ذاقا البرية غمضاً  
 شيمة (النيل) أن يفي وعجيب أخرجوه فضيع العهد نقضاً  
 حاشه<sup>(٦)</sup> الماء فهو صيد كريم ليت بالنيل يوم يسقط غيضاً<sup>(٧)</sup>  
 شيد والمال والعلوم قليل أنقذوه بالمال والعلم نقضاً<sup>(٨)</sup>

(١) حضوضى : جبل في البحر .

(٢) مضى : موجه .

(٣) يضى : يسل .

(٤) معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب .

(٥) ظهراً : نصيراً .

(٦) حاشه : من حاش الصيد أخرجـه في كل مكان .

(٧) غيضاً : من غاض الماء غيضاً : نقص أو غار فذهب في الأرض .

(٨) نقضاً : التفض ما انتقض من البناء : أي اتكتت .

## من قصيدة زحلة

شيعت أحلامي بقلب باك  
ورجعت أدراج الشباب وورده  
ويحائي واه كان خفوقه  
شاكي السلاح اذا خلا بضلوعه  
قد راعه أني طويت حبائلي  
ويح ابن جنني كل غاية لذة  
لم تبق مني يا فؤاد بقية  
كنا اذا صفقت نستبق الهوى  
واليوم تبعث في حين تهزني  
ولمت من طرق الملاح شباكي  
أمشي مكانهما على الأشواك  
لما تلفت جهشة المتبأكي  
فاذا أهيب به فليس بشاك  
من بعد طول تناول وفكاك  
بعد الشباب عززة الادراك  
لقتوة أو فضلة لمراك  
ونشد شد العصبه الفتاك  
ما يبعث الناقوس في النساك

\*\*\*

يا جارة الوادي طربت وعادني  
مثلث في الذكرى هواك وفي الكرى  
ولقد مررت على الرياض بريرة  
ضحكت لي وجوها وعيونها  
فذهبت في الأيام أذكر رفرفا  
أذكرت هرولة الصباية والهوى  
لم أدر ما طيب العناق على الهوى  
وثأودت أعطاف بانك في يدي  
ما يشبه الأحلام من ذكراك  
والذكريات صدى السنين الحياكي  
غناء كنت حياها القاك  
ووجدت في أنفاسها ربك  
بين الجداول والعيون حواك  
لما خطرت يقبلان خطاك  
حتى ترفق ساعدي فطواك  
واحر من خفريها خدك

ودخلتُ في ليلين فرعيك، والدجى  
ووجدت في كنه الجوانح نشوةً  
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت  
عينيّ في لغة الهوى عيناك  
ومحوت كل لبانة من خاطري  
ونسيت كل تعائب وتشاكي  
لا أمسٍ من عمر الزمان ولا غدٍ  
جُمع الزمان فكان يوم رضاك

\* \* \*

لُبنان ردتني إليك من النوى  
أقذار سيرٍ للحياة دَرَاك  
جمعت نزيلِي ظهراً من فرقة  
كرةٍ وراء صوالج الأفلاك  
نمشي عليها فوق كل فجاءة  
كالطير فوق مكامن الأشراك  
ولو أن بالشوق المزار وجدتني  
ملقى الرجال على ثراك الذاك

\* \* \*

## حافظ ابراهيم<sup>(١)</sup>

قد كنت أُوثر أن تقول رثائي      يا منصف الموتى من الأحياء  
 لكن سبقت ، وكل طول سلامة      قَدَرٌ وكل منية بقضاء  
 الحق نادى فاستجبت ولم تزل      بالحق تحفل عند كل نداء  
 وأنت صحراء الإمام تذب من      طول الحنين لساكن الصحراء<sup>(٢)</sup>  
 فلقيت في الدار الإمام محمداً      في زمرة الأبرار والحنفاء<sup>(٣)</sup>  
 أثر النعيم على كريم جبينه      ومرشدُ التفسير والافتاء  
 فشكوتما الشوق القديم وذقتما      طيب التداني بعد طول تنائي  
 ان كانت الأولى منازل 'فرقة'      فالسمحة الأخرى ديار 'لقاء'<sup>(٤)</sup>  
 ووددت لو أني فِداك من الردى      والكاذبون المرجفون فدائي  
 الناطقون عن الضغينة والهوى      الموغرو الموتى على الأحياء  
 من كل هدام ويبني مجده      بكرائم الانقراض والأشلاء

(١) هو المرحوم محمد حافظ ابراهيم ، شاعر سباق معدود في الطليعة وكان يلقب بشاعر النيل توفي سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقي بهذه القصيدة التي ينسبها مطلعها على مبلغ تقديرة لصاحبه ووفائه له .

(٢) صحراء الامام : القبرة التي دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للامام الشافعي لوقوع ضريحه رضي الله عنه في نطاقها .

(٣) الامام : هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الديني الكبير ، وقد اشتهر المرحوم حافظ في حياته باكتساب عطفه ورضاه .

(٤) الاولى : الحياة الدنيا .



ما حطموك وإنما بك حُطِّمُوا      من ذا يحطم رفرِفَ الجوزاء<sup>(١)</sup>  
انظر فأنت كأمس شأنك باذخ      في الشرق ، واسمك ارفع الاسماء  
بالأمس قد حليتني بقصيدة      غراء تحفظ كاليد البيضاء<sup>(٢)</sup>  
غيظ الحسود لها وقت. بشكرها      وكما علمت مودتي ووفائي  
في محفلٍ نشرت آمالي به      لمّا رفعتَ إلى السماء لوائي  
يا مانح السودان شرح شبابه      ووليّه في السلم والهيجاء  
لما نزلت على خائله ثوى      نبع البيان وراء نبع الماء  
قلدتَه السيف الحسام وزدته      قلما كصدر الصعدة السماء<sup>(٣)</sup>  
قلّم جري الحِقَب الطّوال فما جرى      يوما بفاحشة ولا بهجاء<sup>(٤)</sup>  
يكسو بمدحه الكرامَ جلاله<sup>(٥)</sup>      ويُسَيِّع الموتى بحسن ثناء

\* \* \*

اسكندرية يا عروس الماء      وخيلة الحكاء والشعراء<sup>(٥)</sup>  
نشأت بشاطئك الفنون جميلة<sup>(٦)</sup>      وترعرعت بسائك الزهراء  
جاءتك كالطير الكريم غرائبها      فجمعتهها كالريّة الغناء

(١) الرّفرِف : ما يحتمل عليه طرائف البيت . والجوزاء : نجم . معروف في السماء فالتعبير  
برفرِفَ الجوزاء كناية عن اسمي مواضع الشرف والسمو .

(٢) يريد القصيدة التي أنشأها المرحوم حافظ وأُنشدتها في المهرجان العظيم الذي أقيم في القاهرة .  
وقد حضرت إليه وفود الأقطار العربية وظل سبعة أيام تكريماً لمبايعة أمير الشعراء شوقي بإمارة  
الشعر العربي عامة وهي التي يقول فيها :

أمير القوافي قد أتيت مباهيما      وهذي وفود الشرق قد بايعت ممي  
(٣) الصعدة : قناة الزّرع يلبث عودها مستويا .

(٤) الحقب : جمع حقبة بكسر الحاء وهي المدة من الزمن أو السنة .

(٥) نظم المرحوم شوقي هذه القصيدة وهو في الاسكندرية فكان لا بد لشاعريته المستوعبة  
من وصف هذه المدينة وفاء لاقامته فيها وقتئذ .

قد جملوك فصرت زينة الثرى  
 غرسوا رباك على خمائل بابل  
 واستحدثوا طرقاً منورة الهدى  
 فخذني كأمسٍ من الثقافة زينة  
 وتقلدي لغة الكتاب فإنها  
 بنيت الحضارة مرتين ومهدت  
 وسمت بقرطبة ومصر فحلنا  
 ماذا حدثت من الدموع «لحافظ»  
 ووجدت من وقع البلاء بفقدته  
 الله يشهد قد وفيت سخيّة  
 وأخذت قسطاً من مناحة ماجد  
 تهتف الرواة الحاضرون بشعره  
 لبنان ينيكيه وتبكي الضاد من  
 عرب الوفاء وفوا بزمّة شاعر  
 يحافظ الفصحى وحارس مجدها  
 ما زلت تهتف بالقديم وفضله  
 للوافدين وذرة الدماء  
 وبنوا قصورك في سنا الحمراء<sup>(١)</sup>  
 كسبيل عيسى في فجاج الماء<sup>(٢)</sup>  
 وتجملي بشبابك الشجباء  
 حجر البناء وعدة الانشاء  
 للملك في بغداد والفيحاء  
 بين الممالك ذروة العلياء<sup>(٣)</sup>  
 وذخرت من حزن له وبكاء ؟  
 ان البلاء مصارعُ العظماء  
 بالدمع غير بخيلة الخطباء  
 جمّ المآثر طيب الأنباء  
 وحدا به البادون في البيداء<sup>(٤)</sup>  
 حلب الى الفيحاء الى صنعاء  
 بابي الصفوف مؤلف الأجزاء  
 وإمام من تجلت من البلغاء<sup>(٥)</sup>  
 حتى حميت أمانة القدماء

(١) بابل : موضع مدينته بالعراق ينسب اليها السحر والخر . والحراء : قصر مشهور في الأندلس .

(٢) الفجاج : بكسر الفاء جمع فج بفتحها الطريق الواسع بين الجبلين .

(٣) قرطبة : إحدى عواصم الأندلس الكبرى وكانت في الغرب مثل بغداد في المشرق، لكنهما منبعا للعلم والفنون في أزهر عصور الاسلام .

(٤) البادون : السائرون في البادية .

(٥) تجلت : أي ولدت .

جَدَّدَتْ أَسْلُوبَ (الوليد) ولفظه      وَأَتَيْتِ لِلدُّنْيَا بِسَجَرِ (الطائي)<sup>(١)</sup>  
وَجَرِيتِ فِي طَلَبِ الْجَدِيدِ إِلَى الْمَدَى      حَتَّى اقْتَرَنْتِ بِصَاحِبِ الْبُؤْسَاءِ<sup>(٢)</sup>  
مَاذَا وَرَاءَ الْمَوْتِ مِنْ سَكْوَى وَمِنْ      دَعَا وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِغْضَاءٍ ؟  
أَشْرَحَ حَقَائِقَ مَا رَأَيْتَ وَلَمْ تَزَلْ      أَهْلًا لِشَرْحِ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ  
رُتِبَ الشَّجَاعَةُ فِي الرِّجَالِ جَلَائِلُ      وَأَجْلَسَتْ شَجَاعَةُ الْأَكْرَاءِ  
كَمْ ضَمَقْتَ ذُرْعًا بِالْحَيَاةِ وَكَيْدَهَا      وَهْتَفْتَ بِالشَّكْوَى مِنَ الْفِتْرَاءِ  
فَهَلَسْتَ فَارِقَ بَأْسٍ نَفْسِكَ سَاعَةً      وَاطَّلَعَ عَلَى الْوَادِي بِمَعَارِجِ رَجَاءِ  
وَأَشِيرَ إِلَى الدُّنْيَا بِوَجْهِ ضَاكِكِ      خُلِقْتَ أَسِيرَتَهُ مِنَ السَّرَاءِ  
يَا طَالَمَا مَلَأَ النَّدَى بِشَاشَةً      وَهَدَى إِلَيْكَ حَوَائِجَ الْفُقَرَاءِ  
الْيَوْمَ هَادِنْتَ الْخَوَادِثَ فَاطْرَحْ      عَبَاءَ السَّنِينِ وَأَلْقِ عَبَاءَ الدَّاءِ  
خُلِقْتَ فِي الدُّنْيَا بَيَانًا خَالِدًا      وَتَرَكْتَ أَجْيَالًا مِنَ الْأَبْنَاءِ  
وَعَدًا سَيَذْكُرُكَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ      لِلدَّهْرِ إِنْصَافٌ وَحَسَنُ جَزَاءِ

\* \* \*

---

(١) الوليد : هو أبو عبادة البحراني الشاعر العبامي الشهير . والطائي : هو حبيب الطائي الشهير بآبي تمام .  
(٢) البؤساء : كتاب لفكتور هيجو ، عربيه حافظ ابراهيم .

## مصطفى كامل باشا<sup>(١)</sup>

المَشْرِقَانِ عليكِ ينتحيان  
يا خادِم الإسلامِ أجزرُ مجاهد  
لما نُسِعتِ إلى الحجاز مَسَى الأَسَى  
السَّكَّةُ الكُبْرَى حِيالَ رَبَّاهُمَا  
لم تَأْلُهَا عِنْد الشُّدائدِ خِدْمَةٌ  
يا لَيْتَ مَكَّةَ والمَدِينَةَ فَارَزَا  
ليرى الأَوَاخِرَ يَوْمَ ذاكِ ويسمعوا  
جارِ التُّرابِ وانتِ أَكْرَمُ راحِل  
أُبْكِي صَبَاكَ ولا أَعَاتِبُ من جَنَى  
يَتَسَاءَلُونَ أَبَدَ «السَّلَالِ» قَضِيَتْ أُمُ  
اللهُ يَشْهَدُ أَنْ مَوْتَكَ بِالْحِجَا  
إِنْ كَانَ لِلْأَخْلَاقِ رُكْنٌ قَائِمٌ  
بِاللهِ فَتَشَّ عَنْ فُؤَادِكَ فِي الثَّرَى  
قاصيها في مَأْتَمٍ والدَّائِي  
في الله من خُلْدٍ ومن رِضْوَانِ  
في الزَّائِرِينَ ورُؤُوعِ الحَرَمَانِ<sup>(٢)</sup>  
منكوسةُ الأَعْلَامِ والقَضْبَانِ<sup>(٣)</sup>  
في الله والخِتَارِ والسُّلْطَانِ  
في المَحْفَلِينَ بصوتِكَ الرِّنَّانِ  
مَآغِبَ من قُوسٍ ومن سَحَابَانِ<sup>(٤)</sup>  
ماذا لَقِيتِ من الوجودِ الفَاقِي  
هَذَا عَلَيْهِ كِرَامَةٌ لِلجَانِي  
بِالْقَلْبِ أَمْ هَلْ مِتَ بِالسُّرْطَانِ  
وَلِجَدِّ وَالْإِقْدَامِ والعُرْفَانِ  
في هَذِهِ الدُّنْيَا فَأَنْتِ الْبَانِي  
هَلْ فِيهِ آمَالٌ وَفِيهِ أُمَانِي ؟

(١) هو الزعيم مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطني « في مصر » وقد توفي سنة ١٩٠٨ .

(٢) الحرمان : حرم مكة والمدينة .

(٣) السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز وقد كان التفقيد أعظم الدعاة المجاهدين في

سبيل لإنشائها .

(٤) قس وسحبان : خطيبان عربيان يضرب بهما المثل في الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة .

وجدانك الحيُّ المُقيمُ على المدى  
الناس جاري في الحياة لغاية  
والخلد في الدنيا وليس بهيّن  
فلو أن رسول الله قد جبنوا لما  
المجد والشرف الرفيع صحيفة  
وأحبُّ من طول الحياة بذلته  
دقات قلب المرء قاتلة له  
فأرفع لنفسك بعد موتك ذكرها  
لدرء في الدنيا وجمّ شؤونها  
ففي القضاء لراغب مُتطلع  
الناس غادي في الشقاء ورائع  
ومنعم لم يلق إلا لذة  
فاصبر على نعمي الحياة وبؤسها  
يا طاهر الغدوات والروحانيات  
هل قام قبلك في المدائن فاتح  
يدعو إلى العلم الشريف وعنده  
لفؤك في علم البلاد منكسّا  
ما أحمر من خجل ولا من ريبة  
يُزجون نعثك في السناء وفي السنا  
وكانه نعث الحسين « بكربلا »

ولربّ حيّ ميت الوجدان  
ومُضللّ يجري بغير عِنان  
علّيا المراتب لم تتج لجبان  
على دين من الأديان  
جعلت لها الأخلاق كالعنوان  
قصرُ يربك تقاصر الأقران  
ان الحياة دقائق وثوان  
فالذكر للانسان عمر ثاني  
ما شاء من ربح ومن خسران  
وهي المضيّق لمؤثر السلوان  
يشقى له الرحاء وهو الهاني  
في طيها شجن من الاشجان  
نعمي الحياة وبؤسها سيّان<sup>(١)</sup>  
والخطرات والاسرار والإعلان  
غاز بغير مهند وسان ؟  
ان العلوم دعائم العمران  
جزع الهلال على قتي الفتيان  
لكنّا يبكي بدمع قاني<sup>(٢)</sup>  
فكأنما في نعثك القمران  
يختال بين بكى وبين حنان

(١) سيان : مثلان ، الواحد سي .

(٢) قاني : أحمر .

في ذمة الله الكريم وبرّه  
ومشى جلال الموت وهو حقيقة<sup>(١)</sup>  
شقت لنظرك الجيوب عقائل  
والخلق حولك خاشعون كعدهم  
يتساءلون بأي قلب ترتقى  
لو أن أوطانا تصور هيكل  
أو كان يحمل في الجوارح ميت<sup>(٢)</sup>  
أو صيغ من غر الفضائل والعل  
أو كان للذكر الحكيم بقية  
ولقد نظرتك والردى بك محقق  
ينغي ويطغي والطبيب مضلل  
ونواظر العرّاد عنك أمالها  
تملي وتكتب والمشغل جنة<sup>(٣)</sup>  
فهبشت لي حتى كأنك عائدي  
ورأيت كيف تموت آساد الشرى  
ووجدت في ذاك الخيال عزائم  
وجعلت تسألني الرثاء فهاكه  
لولا مغالبة الشجون لخطاري  
وأنا الذي أرثي الشمس إذا هوت

ما ضم من عرف ومن احسان  
وجللك المصدق يلتقيان  
وبكتك بالدع اهتون غواني<sup>(١)</sup>  
إذ ينصتون لخطبة وبيان  
بعد المنابر ام بأي لسان  
دفنوك بين جوانح الأوطان  
حملوك في الأسماع والأجفان  
كفن<sup>(٢)</sup> لبست أحاسن الاكفان  
لم تأب بعد ؛ رثيت في القرآن  
والداء ملء معالم الجنان  
قنط وساعات الرحيل دواني  
دمع تعالج كتبه وتعاني  
ويداك في القرطاس ترجفان  
وأنا الذي هدّ السقام كياني  
وعرفت كيف مصارع الشجعان<sup>(٣)</sup>  
ما للنون بدكتهن يدان  
من أدمعي وسرائري وجناني  
لنظمت فيك يتيمة الأزمان  
فتعود سيرتها الى الدوران

(١) عقائل : جمع عقيلة وهي من كل شيء كريمة . والهتون : من هتن الدمع إذا فطره ،  
والغواني جمع غانية وهي الفتاة التي تغنى بجمالها عن الحلي .  
(٢) آساد : جمع أسد . والشرى : طريق في جبل سمي كثيرة الأسد

قد كنت تهتف في الوري بقصائدي      وتجل فوق النيرات مسكاني  
 ماذا دهاني يوم بنثت فعمقني      فيك القريض وخانني إمكاني  
 هوّن عليك فلا شماتة بميت      إن المنية غايبة' الانسان  
 من للحسود بميتة بلتغتها      عزت على (كسرى) أنوشروان  
 عوفيت من حرّب الحياة وحرّبا      فهل استرحت أم استراح الشاني  
 يا صبّ مصر ويا شهيد غرامها      هذا ترى مصر فتم بأمان  
 اخلع على مصر شبابك عاليها      والبس شباب الحور والولدان  
 فلعل مصرأ من شبابك ترتدي      مجدأ تقيه به على البلدان  
 فلو انّ بالهرمين من عزماته      بعض المضاء تحرك الهرمان  
 علّمت شبان المدائن والقرى      كيف الحياة تكون في الشبان  
 مِصر' الأسيفة' ريفها وصعيداها      قبر ابر' على عظامك حاني  
 أقسمت أنك في التراب طهارة      ملكك' هاب سؤاله الملكان

\* \* \*

## توت عنخ آمون

قفي يا أخت ( يوشع ) خبرينا احاديث القرون الغابرينا<sup>(١)</sup>  
وقصّي من مصارعهم علينا ومن دُولاتهم ما تعلمينا<sup>(٢)</sup>  
فمثلك من روى الأخبار 'طراً' ومن نسب القبائل اجمعينا<sup>(٣)</sup>  
نرى لك في السماء خضيب قرنٍ ولا 'نحصى على الارض الطعينا<sup>(٤)</sup>  
مشيت على الشباب شوْظ نارٍ ودرت على المشيب رحي طحونا<sup>(٥)</sup>  
'تعنين الموالد والمنايا وتنين الحياة وتهديمنا<sup>(٦)</sup>  
فيا لك هِرَّةٌ أكلت بنبيها وما ولدوا وتنتظر الجنينا<sup>(٧)</sup>

(١) الخطاب للشمس وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فق موسى عليها السلام واستيقاف الشمس ، فقد وري ان يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه. فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم. وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله :

وما انس لا أنس المليحة إذ بدت دجى فأضاء الأفق من كل موضع  
فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت وأني قد أوتيت آية يوشع  
والقرون الغابرين : الأجيال الماضية .

(٢) قصي : حدثني ومنه ( نحن نقص عليك أحسن القصص ) . ومصارعهم : مهالكهم .  
دولاتهم : جمع دولة، بضم ففتح وهي الداهية يقال : جاء الدهر بدولته أي بدوايمه .  
(٣) طرا : جميعاً من دون أن تترك منهم شيئاً ونسب القبائل : ذكر انسابهم .  
(٤) الخضيب : اللون بالخضاب . والقرون : حاجب الشمس . والطعين : الطعون .  
(٥) الشواظ : ( بالضم والكسر ) دخان النار .  
(٦) المنايا : جمع منية وهي الموت .  
(٧) الهرة وهي القطعة ويقال في المثل « أعتق من الهرة » لأنها تأكل أولادها .



أُم المالكين بني ( أمون ) ليسبك أنهم نزعو ( أمونا )<sup>(١)</sup>  
ولدت له ( المآمين ) الدواهي ولم تلدي له قط<sup>(٢)</sup> ( الأميئا )  
فكانوا السهب حين الأرض ليل<sup>(٣)</sup> وحين الناس رجداً مُضَلِّلِينَا  
مشت بمنارهم في الأرض ( روما ) ومن أنوارهم قبست ( أثينا )<sup>(٤)</sup>  
ملوك الدهر بالوادي أقاموا على ( وادي الملوك ) 'حَجَّيْنَا'<sup>(٥)</sup>  
فرب مصفدٍ منهم وكانت تساق له الملوك مصفدين<sup>(٦)</sup>  
تقيّد في التراب بغير قيدٍ وحل على جوانبه رهينا  
تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارة منطقينا ؟<sup>(٧)</sup>

(١) نزع أباه : أشبهه . وفيه إشارة إلى أم ( أمون ) . واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لأبيه . إلا أن ( قوت عنخ آمون ) تولى الملك بواسطة زواجه بباينة الملك خون آتون .  
(٢) إشارة للخلفتين : الأمين والمأمون . وقد اختار المأمون لانه كان أفضل بني العباس حزمًا وعزمًا وحلمًا وعلماً ورأياً ودعاءً وهيبة وشجاعة . أي ولدت له أبناء صاروا ملوكاً ، وكانت صفاتهم في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون .  
(٣) روما : عاصمة إيطاليا . وقبست : أخذت . وأثينا : عاصمة اليونان . وفيه إشارة الى ما أخذته الأمم الفائرة عن المصريين من العلوم والحضارة .  
(٤) وادي الملوك : هو الى الشاطئ الغربي للنيل بالاقصر على مسير نصف ساعة تقريباً ، وهو مضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الاسرة الثامنة عشرة وما بعدها ، وقد كانوا يبالغون في العناية بها واتقانها الى حد يفوق الوصف .  
(٥) مصفدين : مقيدين يصف فراعنة مصر في مقرهم الأخير . وهو مقام يقسارى فيه الملوك والسوقه .  
(٦) منطقيين : أي أليسوا هم الذين أنطقوا بالحجارة . ويريد أنهم أنشأوا من الابلية ما يدل على عظمة شأنهم دلالة النطق على منشاءه ، وأشهر هذه الابلية الهرمان القفاظت يحانب الجيزة وهما من أعجب ما بنى البناء . وفيها دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم قاطبة بفن العمارة ومهندستها ، وقد توالى الدهر عليها فلم يزل منها من الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب . وقد قال أحد الحكماء : « كل شيء يخشى عليه من الدهر إلا الأهرام فلن الدهر يخشى عليه منها .

كَعَدُوا يَبْنُونَ مَا يَبْقَى وَرَاحُوا  
 إِذَا عَمِدُوا لِمَأْتَرَةٍ أَعَدُّوا  
 وَلَيْسَ الْخُلْدُ مَرْتَبَةً تُتَلَقَّى  
 وَلَكِنْ مَنْتَهَى هَمِّ كِبَارِ  
 وَسِرِّ الْعَبْقَرِيَّةِ حِينَ يَسْرِي  
 وَأَثَارِ الرِّجَالِ إِذَا تَنَاهَتْ  
 وَأُخْذُكَ مِنْ فَمِ الدُّنْيَا ثَنَاءً  
 فَعَالِي فِي بَنِيكَ الصَّيْدِ غَالِي  
 شَبَابٌ قُتِعَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ  
 فَجَاحِيهِمْ بَعْرُشٌ كَانَ صَنُوءًا  
 وَكَانَ الْعِزُّ حَلِيَّتَهُ وَكَانَتْ  
 وَتَاجٌ مِنْ فَرَائِدِهِ (ابن سني)

(١) الطنين : صوت الذباب والطنس والناقوس ونحو ذلك .

(٢) الصيد : جمع أصيد ، وهو الرجل يرفع رأسه كبراً وعجباً ولا يلتفت من زهوه بمنى وشمالاً .

(٣) شباب قنع : أي قانعون لا يطلبون شيئاً وراء ما بلغوا . والطاعون : التفانوت في طلب المعالي .

(٤) الصنو : الأخ الشقيق والإبن ، والسنين - بفتح السين : من يكون في سنك .

(٥) الكتائب : جمع كتيبة وهي الجيش .

(٦) ابن سني : هو رمسيس الثاني المعروف بسمو ستريس ويلقب بالأكبر لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت المهارات حتى لا يكاد يوجد برادي التبل أثر من الآثار القديمة والمباني المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه ، ولي الملك صغيراً في حياة والده وقد تربى على الشجاعة والحماة وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الأهوال فأرسله في جيش إلى بلاد الشام وكان عمره عشرين سنة فغزاهما حتى أدخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب في جملة فتوح وبخاصة في آسيا الشمالية وكان في أيامه بتنامور الشاعر المصري وله فيه عدد مدائح يصف بها شجاعته وإقدامه .

و « خوفور » و « مينا » من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر في عهدهم شوطاً كبيراً في المدنية ومن آثارها الخالدة الأهرامات .

علا خدأ به صَعَرَ وأنفا ترفّش في الحوادث أن يدينا<sup>(١)</sup>  
ولست بقائل ظلموا وجاروا على الأجراء أو جلدوا القطينا<sup>(٢)</sup>  
فإننا لم نَوَقِ النقص حتى نطالب بالكال الأولينا<sup>(٣)</sup>  
وما (البستيل) إلا بنت أمس وكَم أكل الحبد بها سجيننا<sup>(٤)</sup>  
وُرْبَة ربيعة عزّت وطالت بناها الناس أمس مسخرونا<sup>(٥)</sup>  
مُشِيدَة لشافي العُمي (عيسى) وكَم سَمَل القسوس بهاعيرنا<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

(أخا اللوردات) مثلك من تحلى بحليلة آله المتطولينا<sup>(٧)</sup>

(١) علا خدأ : اي ذلك التاج والصمر : أن يميل الرجل بخره عن النظر الى الناس تهاوناً وكبرا .

(٢) القطين : الخدم أي أنه لا يحاري بعض المورخين الذين يزعمون أن الملوك القراعة كانوا يظلمون الأجراء ويحبسون الخدم ليسخروهم في انشاء تلك الأبنية .

(٣) لم نوق : اي لم نحفظ منه .

(٤) البستيل : سجن يرجع تاريخ إنشائه الى عهد شاول الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ ، وفي هذا السجن ذاق رجال العلم والفضل أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد فكم هلك فيه فيلسوف عظيم وفني بين جدران المظلمة مصلح كبير . وكَم من سيامي جنى عليه عمله خير بلاده فدخله حياً وفارقه ميتاً . وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (البستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعد المسف والقسوة فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان اول غرضهم (البستيل) فهدموه وانتلعوا أصوله وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة عقوداً يتحلين بها في أمكنة اللآلئ إشارة لفلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين وكان أخذه في ١٤ يوليو ١٧٨٩ وقد اتيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ولا يزال الفرنسيون يحتفلون بذكره الى الآن .

(٥) الليمة (بكسر الباء) : معبد النصارى ومسخرين أي كلفوا بالعمل بلا أجره .

(٦) سمل العين : فقأها بجديدة عماء وقلمها .

(٧) الخاطب اللورد كارنار فون الذي امتدى الى الكنوز، وكانت وفاته بالقاهرة محر ليلة الخميس ٥ ابريل سنة ١٩٢٣ بفندق الكونتيتننات وكانت قد عضته بموضة فطبخ حسة عشر يوماً حتى اخذت تزول اعراض التسمم الذي اصابه من هذه العضة لكنه لم يقر على احتمال ذات الرئة التي اصاب بها فأودت به . المتطولين : اصحاب الفنى والسمة .

لك الأصل الذي نبتت عليه فروع الجدد من ( كرفارفونا )<sup>(١)</sup>  
ومالك لا يُمد وكل مال سيفني أو سيفنى المالكينا<sup>(٢)</sup>  
وجدت مذاق كل تلميذ مجد فكيف وجدت مجد الكاسيينا<sup>(٣)</sup>  
نشرت صفائحا فجزتك مصر صحائف سود لا ينطوينا  
فإن تك قد فتحت لها كنوزا فقد فتحت لك الفتح المبينا<sup>(٤)</sup>  
فلا ( قارون ) فوق الأرض إلا نمتى لو رضيت به قرينا<sup>(٥)</sup>  
سبيل الخلد كان عليك سهلا وعادته يكده السالكينا  
رأيت تنكروا وسمعت عتبا فعذراً للغضاب الحقيقينا<sup>(٦)</sup>  
أبوتنا وأعظمهم 'تراث' نحاذر أن يؤول لأخريتنا<sup>(٧)</sup>

(١) لك الأصل : ... الخ ، وذلك انه من بيوتات المجلثا القديمة في الجدد .

(٢) ومالك لا يمد : ... الخ ، فهو يملك في بلاد الانجليز الف قدان .

(٣) وجدت مذاق : ... الخ ، اشارة الى استمراره في اعمال الحفر والتنقيب في وادي الملوك  
فقد بدأها منذ ست عشرة سنة ولم يزل حتى احدث الى اعظم أثر بين الآثار التي عثر عليها العلماء  
منذ قرن من الزمان . وقد صير<sup>١</sup> هذا العمل الجليل خلود اسمه ووفعة ذكره وكان امتداده الى هذا  
الكنز الثمين في اواخر نوفمبر سنة ١٩٢٢ في مدافن ملوك طيبة تحت مدفن رمسيس السادس ،  
والصفائح : حجارة القبور .

(٤) اشارة الى ما حواه هذا الكنز العظيم من التحف الثمينة النادرة المثال والآلاف الغالية  
للقليلة الوجود .

(٥) قارون : رجل كان صاحب كنوز عظيمة يضرب به المثل في الغنى .

(٦) التنكروا : تغير الرجل عن حال تسره الى حال يكرهها وفي الاساس تنكروا لي فلان  
لغني لقاء بشعا . المنقوبون : الذين ملاهم الغيظ .

(٧) أبوتنا : اي آباؤنا والذرات : الميراث وفيه اشارة الى ما قبل يومئذ ونشرته الصحف من  
أن النور كارتارفون أخذ خفية اعلی ما في الكنز من تحف بينها تاج الملكة وعقدعها .

ونأبى أن يحلّ عليه ضم ويذهب نهباً للناهيينا<sup>(١)</sup>  
سكت فحام حولك كل ظن ولو صرحت لم تثر الظنوننا<sup>(٢)</sup>  
يقول الناس في سر وجبر وما لك حيلة في المرجفينا<sup>(٣)</sup>  
أمن سرق الخليفة وهو حي يعف عن الملوك مكفئنا<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

خليليّ اهبطا الوادي وميلا الى 'غرف الشموس الغاربيينا<sup>(٥)</sup>  
وسيرا في محاجرهم 'رويدا وطوفا بالمضاجع خاشعينا<sup>(٦)</sup>  
وخصاً بالعمار وبالتحايا رفات المجد من (توتنخمينا)<sup>(٧)</sup>

(١) الضيم : الظلم أي نأبى أن يظلم ذلك التراث بنهبه نهباً كما روت الأنباء البرقية في ذلك الحين .

(٢) سكت فحام حولك : ... الخ، أي ان الذي قيل وشاع لاقى منك سكوتاً عن نفيه فلحقته الشبهات بسبب سكوتك .

(٣) المرجفون : من يخوضون في الأخبار السيئة .

(٤) أمن سرق الخليفة : ... الخ، هذا ما يقوله الناس . وذلك أن المجترأ هي التي نفلت الخليفة وحيد الدين من قصره في الاستانة وأجأته الى المدرعة البريطانية « مالايا » هرباً من الكاليين فذهبت به الى مالطة في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢١ فاذا كانت هذه الدولة تفعل ذلك بالملوك الأحياء فلا يبعد على رجالها أن يفعلوه بالملوك الأموات ربما في قبورهم من جواهر ودرر وقد ذكرت الأنباء في إثبات ذلك أن اللورد كرتار فون اهدى الى ابنة ملك الانجليز عقداً مصرياً قديماً له قيمة عظيمة وانها لما علنت يوفاته وان بموضة من القبر عضته نعت من عنتها ذلك العقد خرواً من انتقام توت عنخ آمون الذي نسبت اليه يومئذ وفاة اللورد .

(٥) يريد بالشموس الغاربيينا : ملوك الفراغة وغرفهم : مدافنهم .

(٦) المحاجر : ما يحجمه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر أقيال اليمن وهي أحواض أي مكان يحجمه كل واحد منهم .

(٧) العمار : التحتة : وهو ايضاً الزبحان يزبن مجلس الشراب واستعماله هنا على الاطلاق إذ لا يليق أن يكون مقيداً بتزيين هذا المجلس . التحايا : جمع تحية والرفات كل ما تكثر وبلي .

وقبراً كاد من حسن وطيب يُضيءُ حجارة ويضوع طينا<sup>(١)</sup>  
'يخال لروعة التاريخ قُدتْ جنادله العلا من (طورسينا)<sup>(٢)</sup>  
وكان نزيله بالملك يدعى فصار يلقب الكنز الثمين<sup>(٣)</sup>  
وقوما هاتفين به ولكن كما كان الأوائل يهتفونا<sup>(٤)</sup>  
فثم جلالة قرّت ورامت على مر القرون الأرمينا<sup>(٥)</sup>  
جلال الملك أيام وتمضي ولا يمضي جلال الخالدينا<sup>(٦)</sup>  
وقولا للنزول قدوم سعد وحيا الله مقدمك اليمينا<sup>(٧)</sup>  
سلام يوم وارتك المنايا بوادها ويوم ظهرت فينا<sup>(٨)</sup>  
خرجت من القبور خروج عيسى عليك جلالة في العالمينا<sup>(٩)</sup>  
يحوب البرق باسمك كلّ سهل ويخترق البخار به الحزونا<sup>(١٠)</sup>

(١) يضيوع : يتحرك وينتشر أي كادت حجارته تضيء حسناً وكادت تنتشر رائحته الطيبة الذكية .

(٢) الروعة : المسحة من الجبال . والجنادل جمع جندل وهو الحجارة وطورسينا هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى .

(٣) النزول : الضيف .

(٤) هاتفين به : أي بالملك الذي هو نزول القبر وليكن هتافكما كانوا يهتفون له أيام حياته .

(٥) فثم : فهناك . والجلالة : عظم القدر ورامت ، أقامت والقرون الأربعون : هي التي مضت منذ عهد توت عنخ آمون .

(٦) أي أن الجلال الصحيح ما خلد به صاحبه في التاريخ أما جلال الملك فلا بقاء له .

(٧) اليمين : المبارك وهو من اليمن .

(٨) وارتك : اخفقتك .

(٩) خروج عيسى : أي كما خرج عيسى من القبر على رأي النصارى وصاحب الديوان لا يعتقد ذلك وإنما ينظر فيه إلى رأيهم .

(١٠) يحوب : يقطع والبرق اسم منقول من معناه الأصلي للتغراف ، والبخار : اسم منقول كذلك للزبور أو هو من باب تسمية الشيء باسم المؤثر فيه . والحزون : جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض .

وأقسمُ كنتَ في (لوزان) سُغلا وكنتَ عجيبةَ المتفاوضينا<sup>(١)</sup>  
 أتعلم أنهم صلفوا وتساهوا وصدوا الباب عنا وموصدين؟<sup>(٢)</sup>  
 ولو كنا نجر هناك سيفا وجدنا عندهم عطفًا ولينا<sup>(٣)</sup>  
 سيقضي (كرزن) بالأمر عنا وحاجات (الكثافة) ما تُقضيها<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

تعال اليوم خبرنا أكانت نوالك سناتِ نوم أم سفينا؟<sup>(٥)</sup>  
 وماذا جبتَ من ظلمات ليل بعيدِ الصبح يُنفي المدْجيتا؟<sup>(٦)</sup>  
 وهل تبقى النفوس إذا أقامت هياكلها وتبلى إلت بلينا؟  
 وما تلك القباب وأين كانت وكيف أضل حافرها القرونا؟<sup>(٧)</sup>  
 ممردة البناء تحال برجا ببطن الأرض محطوطا دفينا<sup>(٨)</sup>

---

(١) لوزان : إحدى مدن سويسرة وقد عرفت بمؤتمر الدول الذي اجتمع بها للنظر فيما بينهن من الخلاف ولتقرير الصلح بين الترك واليونان وقد وافق اجتماع ظهور قبر الملك توت عنخ آمون ومعرفة ما فيه .

(٢) صلفوا : تمدحوا بما ليس فيهم وادعوا فوق ذلك اعجاباً وتكبراً . وصدوا الباب عنا ، منعه عنا أي لم يفتحوه لنا وموصدين من أوصد الباب ، أغلقه .

(٣) أي لو كانت لنا قوة من السلاح لعاملونا باللين والمودة لأنهم يدارون الإتياء ويمالئوهم .

(٤) كرزن : وزير انجليزي مشهور كان هو مندوب انجلترا في مؤتمر لوزان ، والكثافة ، مصر .

(٥) تعال اليوم ... الخ ، الخطاب لتوت عنخ آمون . نوالك ، بعدك ، والسنات ، جمع سنة بكسر السين وهي النعاس .

(٦) ينفي : يزل والمدلجون الذين يسرون من أول الليل .

(٧) وما تلك القباب ... الخ ، أي وخبرنا ما تلك القباب جمع قبة وهي ما ظهر من أبيية المقبرة الفخمة . والقرون : جمع قرن وهو مائة عام .

(٨) ممردة البناء : مملسته .

تغطى بالاثاث فكان قصرا وبالصور العتاق فكان زونا (١)  
 حملت العرش فيه فهل ترجى وتأمل دولة في الغابرينا ؟ (٢)  
 وهل تلقى المهيمن فوق عرش ويلقاه الملا مُترجلينا ؟ (٣)  
 وما بال الطعم...ام بكاد يقدي كما تركته أيدي الصانعينا (٤)  
 ولم تك أمس تصبر عنه يوما فكيف صبرت أحقابا مثينا (٥)  
 لقد كان الذي حذر الاوالي وخاف بنو زمانك أن يكونا (٦)  
 يحب المرء نبش أخيه حيا وينبشه ولو في الهالكينا  
 سلّات من الحفائر قبل يوم يسل من التراب الهامدينا (٧)  
 فإن تك عند بعث فيه شك فإن وراءه البعث اليقيننا (٨)  
 ولو لم يعصموك لكان خيرا كفى بالموت معتصا حصينا (٩)

(١) تغطى ، اي ان هذا البناء تغطى ... الخ والاثاث ، متاع البيت . وللصور جمع صورة يريد بها الرسوم التي تحاكي صور الاشياء . والعتاق ، جمع عتيق وهو القديم من التجيب من الخيل والجارح من الطير . والزون ، موضع تجمع فيه الاصنام .  
 (٢) في الغابرين ، في الباقين وفي القرآن الكريم « فأنجينا وأهله الا امرأته كانت من الغابرين » ويكون ايضا بمعنى الماضين فمن الكلمات التي تستعمل للأضداد .  
 (٣) للمهيمن ، من اسماء الله تعالى . والمترجلون ، الذين ينزلون عن ركائبهم ويشون على أرجلهم .  
 (٤) ما بال الطعام ، ما حاله . ويقدي من قدي الطعام أي طاب طعمه ورائحته .  
 (٥) الاخقاب ، جمع حقب بضم الحاء وهو الدهر . والمئين جمع مائة .  
 (٦) لقد كان ، أي لقد حصل الذي حذر الاوالي . والاوالي جمع أول ، والمعنى انه ما كنت تخافونه وتحذرون وقوعه من نبش قبوركم قد حصل ولم تمنعه مبالغتكم في الوقاية منه .  
 (٧) سلّات ، اخرجت منها برقى . الحفائر ، جمع حفيرة واليوم الذي يسل فيه الهامدين من التراب هو يوم القيامة .  
 (٨) فإن تك عند بعث ... الخ : أي فان تكن الآن تشك في هذا البعث الذي خرجت به من قبرك فلا محالة سيأتي البعث الذي لا تشك فيه وهو يوم القيامة .  
 (٩) يعصموك ، ينعوك من المكروه : أي أو انهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لمسا اصابك مكروه ، لان الموت يمنع الاذى ان يصل اليك .



يُضَرُّ أَخُو الْحَيَاةِ وَلَيْسَ شَيْءٌ بِضَائِرِهِ إِذَا صَحَبَ الْمُنُونَا

\* \* \*

زَمان الفرد يا ( فرعون ) ولى ووالث دوله المتجبرينا .<sup>(١)</sup>  
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعيمة نازلينا  
( فؤاد ) أجل بالدستور دنيا وأشرف منك بالاسلام ديننا<sup>(٢)</sup>  
وأهدى في بناء الملك جدأ وأجود والدأ في الحسينينا  
بنى ( الدار ) التي لا عز إلا على جنباتها للمالكينا<sup>(٣)</sup>  
ولا استغلال إلا في ذراها لتبوع ولا للتابعينا<sup>(٤)</sup>  
تري الأحزاب ما لم يدخلوها على جد الحوادث لاعيننا  
وإن 'فقدت فأمر القوم فوضى . وإن وليته أيدي ( الراشدينا )<sup>(٥)</sup>  
إذا سارت به أيدي شمالا أتت أيدي فسن به يميننا  
فعجل يا ( ابن اسماعيل ) عجل وهات النور واهد الحائرينا  
هو المصباح فأت به وأخرج من الكهف السواد الغافلينا<sup>(٦)</sup>

---

(١) زَمان الفرد . أي زمان حكم الفرد . ودالت انقلبت من حال الى -ال- والمتجبرون ،  
المتكبرون .

(٢) فؤاد ، هو ملك مصر احمد فؤاد الاول .

(٣) بنى الدار ، هي دار النيابة التي يجتمع بها نواب الامة . والجنبات ، النواحي .

(٤) الذرا ، الملجأ .

(٥) الراشدون ، هم الخلفاء الاربعه بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) الكهف ، ما ينقر في الجبل كالبيت . والسواد ، عامة الناس .

ملايين تجر الجهل قيماً وتسحب بالقليل المطلقينا<sup>(١)</sup>  
(فدار) به البصائر فهو (عيسى) وفك براحتيه المتعدينا<sup>(٢)</sup>  
ومن ير دونه حقاً فلني أراه وحده الحق المبين<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

---

(١) وتسحب ... الخ : يضم التاء أي ويسحبها أشخاص قليلون هم الذين اطلقوا من ذلك القييد .  
(٢) فدار به : أي بالدستور . والبصائر : العقول ، جمع بصيرة . فهو عيسى أي فهو كعيسى في مداراة اصحاب العلل التي لا تبرأ .  
(٣) الحق المبين ، الواضح .

### الثعلب والديك

برز الثعلب يوما      في شعار الواعظينا  
فحشى في الأرض يهدي      ويسب الماكرينا  
ويقول الحمد لله      العالمينا  
يا عباد الله توبوا      فهو كهف التائبينا  
وازهدا في الطير إن العيش عيش الزاهدين  
واطلبوا الديك يؤذّن      لصلاة الصبح فينا  
فاتى الديك رسولٌ      من إمام الناسكينا  
عرض الأمر عليه      وهو يرجو أن يلينا  
فأجاب الديك عذرا      يا أضل المهتدين  
بلغ الثعلب عني      عن جدودي الصالحينا  
عن ذوي التيجان من      دخل البطن اللعينا  
أنهم قالوا وخير القو      ل قول العارفين  
« غطىء من ظن يوما      أن للثعلب ديناً »

### سليمان والهدد

وقف الهدد في با	ب سليمان بذلك
قال يا مولاي كن لي	عيشتي صارت ممله
مت من حبسة بر	أحدثت في الصدر غله
لا مياه النيل ترويه	ولا أمواه دجله
واذا دامت قليلا	قتلتني شر قتله

\* \* \*

فأشار السيد العا	لي إلى من كان حوله
قد جنى الهدد ذنباً	وأتى في اللؤم كفعله
تلك نار الاثم في الصد	ر وذوي الشكوى تعله
ما أرى الحبة إلا	سُرقت من بيت نملة
إن للظالم صدراً	يشتكى من غير عله

# الأحمدزي أبو شادي

حياته .  
مختار من آثاره

بقلم  
عبد العزيز الدسوقي



## تمهيد

المعاني الانسانية الكبيرة تنمو كلما مرت الايام ، وتزكو كلما احتشدت التجارب ، وتزداد تألقا وبريقا كلما وقفت البشرية 'تستروح' نسيات من تجاربها الانسانية العميقة ...

ولا شك ان « احمد زكي ابو شادي » شخصية انسانية كبيرة .. وقد يختلف الناس في شعره وأدبه ودراساته المتعددة، ولكن الجميع — فيما اظن — يجمعون على انسانيته الكبيرة ..

وهذا في رأيي هو الذي ضمن لأدبه وشعره البقاء ، فمن معين انسانيته كان يمنح هذا الشعر وذلك الأدب ، ويدافع من حبه الغزير للإنسانية كان يكافح ويكتب ويشقى .

وذلك ما اسعدني ان اتناول بالدراسة شعر هذا الرائد ؛ على الرغم من شعوري بمشقة هذه المهمة .. فالرجل متعدد الجوانب خصب النفس والعقل والانتاج .

فهو شاعر له تجارب كثيرة في الشعر، ومحاولات متعددة للتجديد وتطوير

مفاهيمنا الشعرية وله شر تمثيلي الى جانب شعره الغنائي ، وأوبراته الأربع كانت تجربة بكرا في حفل شعرنا العربي الحديث وهو مع هذا طبيب متخصص صقلته دراساته الطبية وأمدته بكثير من الدقة وقوة الملاحظة وعمق التحليل ولذلك اتجه الى دراسات متعددة من النحالة والدجاجة والأبحاث الزراعية . وهو ناقد غزير الثقافة ، مرهف الحس مصقول العبارة ، ذكي اللحمة له المام واسع بمذاهب الأدب عند الغربيين ، ولذلك يمتاز نقده بالدقة والانصاف ، وهذا جانب يحتاج الى دراسة متأنية فهو خير جوانب ابي شادي .

وللرجل جولات كثيرة في الترجمة والتصوف والدراسات العلمية والدينية ..

ولذلك فمن العسير ان نتكشّف كل هذه الجوانب في شخصية ابي شادي المركبة .

وشعره صدى لكل هذه المعاني والانطباعات ، وهو تسجيل بارع لاحداث حياته الثقيلة المضطربة وظروف نفسه ، ونبضات وجدانه .

ولذلك سأحاول جهد طاقتي اطلاق الانوار على شخصيته وظروف حياته وبيئته السياسية والاجتماعية وسأقف عند كل شيء أسهم في تكوين مزاجه الثقافي والفني ، حتى نتمكن من تفسير شعره على ضوء هذه الاشياء ، لنرى تطوره وتجديده .

وسنحاول في هذه الدراسة تتبّع الخطّ البياني لشعره ، مع الوقوف عند صورته الشعرية والخيوط الفنية التي 'تكوّن' هذه الصور ، وسنعرض بالتفصيل والتحليل - ما استطعنا - لتجديده في الشكل والمضمون والتجارب الجديدة التي حاول ان يبشر بها ، ويمارسها في فنه ، وسنختار بعد هذه الدراسة قصائد من شعره تبين شاعريته ومكانته من شعرنا العربي الحديث . وأرجو ان



اكون قد وفقت في ابراز بغض الجوانب المضيئة حياة هذا الشاعر ، ومن  
تسجيل بعض انغامه العذبة، لتكون تحية للشاعر المجاهد الذي عاش حياة  
شقية شديدة مكافحة ، وظل يحمل بين جوانحه شوقاً طاغياً للمعرفة، ويرسل  
في كل الظروف اشعاعات من فكره وفنه مها ادلهمت حياته ولفتها سحب  
الظلام .. وقد فارق دنيانا من غير ان يحظى بأي تقدير يذكر ، وكأنه كان  
يرثي نفسه عندما قال :

أسفا أعود الى السما	ء كما أتيت بنبع فني
لم ألق في دنيا الأنا	م سوى المهازل والتجني

رحمه الله رحمة واسعة .

## سيرة

( ١٨٩٢ - ١٩٥٥ )

( ١٨٩٢ - ١٩١٢ ) • ولد الشاعر في اليوم التاسع من فبراير ١٨٩٢ بحبي الخنفي أحد أحياء مدينة القاهرة ، والتحق وهو في الرابعة من عمره بمدرسة الهياثم بالحنفي . وعندما ناهز العام السابع دخل مدرسة عابدين الابتدائية .

• انتقل بعد ذلك الى المدرسة التوفيقية بشبرا حيث أتم تعليمه الثانوي ثم انتقل الى كلية الطب ومكث بها عاما واحداً وتركها بعد ان وقع له اضخم حادث في حياته وهو فشله في حبه الاول .

• ويحدثنا ابو شادي انه اخرج في هذه الفترة ديوانه الاول « انداء الفجر » في عام ١٩١٠<sup>(١)</sup> وساهم في تحرير جريدة (الظاهر) اليومية ( والامام ) الاسبوعية ، وكان يصدرهما والده المحامي الجهير محمد ابو شادي — كما أشرف على اخراج مجلة « حدائق الظاهر » وهي مجلة قصصية مدرسية .

\* \* \*

---

(١) لنا رأي خاص في هذه المسألة يمكن الرجوع اليه في كتابنا — جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث ص ١٧٦ وما بعدها .

( ١٩١٢ - ١٩٢٢ ) أصيب في اول عام ١٩١٢ بأزمة عاطفية حادة عندما تزوجت فتاة احلامه من رجل آخر وكانت ربيبة والده تعيش معه ، ولقد اصابه هذا الحادث باضطراب نفسي عميق ترك على أثره كلية الطب وأرسله والده الى اليونان ليعالج . ثم عاد وارسله الى إنجلترا ليتعلم هناك بعيداً عن مسرح المأساة ، فسافر سنة ١٩١٢ الى لندن ودرس الطب حتى عام ١٩١٥ ، وتخصص في علمي الامراض الباطنية والجرايم ، ونال شهادة الشرف في علم البكتريولوجيا من مستشفى « سانت جورج » إحدى مدارس جامعة لندن .

● عمل فترة من الوقت مساعدا بالمعمل البكتريولوجي بلندن .

● اهتم بدراسة النحالة واسهم في تأسيس معهد النحل الدولي سنة ١٩١٩ ومجلة عالم النحل بالإنجلترا .

● اهتم في هذه المرحلة - الى جانب دراساته العلمية - بالادب والشعر فوقف على التيارات الادبية التي كانت تضطرم في هذه الايام وتذوق كثيراً من الشعر الانجليزي ، وفي هذه المرحلة ايضاً تكون مزاجه الثقافي والفني واكتسب من دراسته العلمية نظرة نافذة عميقة ساعدته على تفهيم كثير من اسرار الحياة .

● ( ١٩٢٢ - ١٩٤٦ ) عاد من إنجلترا الى القاهرة في عام ١٩٢٢ مع زوجته الانجليزية التي كان قد تزوجها في اثناء مقامه بالإنجلترا ، وقد عين طبيباً بكتريولوجياً سنة ١٩٢٣ وظل فترة طويلة في الوظيفة ينتقل بين القاهرة والسويس وبورسعيد والاسكندرية وعمل في هذه الفترة مديراً لمعمل الحكومة البكتريولوجي في السويس والاسكندرية . ثم عين وكيلاً لكلية الطب بالاسكندرية .

● عمل على انشاء جمعية ابولو الشعرية في القاهرة سنة ١٩٣٢ وقد اصدر

لها مجلة شعرية باسم « ابلو » في سبتمبر سنة ١٩٣٢ ، وقد احدثت هذه المجلة نهضة شعرية ، ودفعت الى عالم النور شعراء كثيرين صاروا فيما بعد من أئمة شعرنا الحديث .

● ولعل هذه المرحلة من اخصب مراحل الشاعر ففيها أصدر معظم دواوينه الشعرية : - زينب (سنة ١٩٢٤) ومصريات ( سنة ١٩٢٤ ) وأنين (مايو سنة ١٩٢٥ ) وشعر الوجدان (سنة ١٩٢٥) وموسوعته الشعرية الضخمة الشفق الباكي ( سنة ١٩٢٥ ) ومختارات من وحي العام ( ديسمبر ١٩٢٨ ) وأشعة وظلال ( سنة ١٩٣١ ) والشعلة (ديسمبر سنة ١٩٣٢ ) وأغاني ابي شادي (سنة ١٩٣٣) وأطياف الربيع (سنة ١٩٣٣) والينبوع (يناير سنة ١٩٣٤) والكائن الثاني ( سنة ١٩٣٥ ) . وقد شعر في هذه الفترة بقسوة الحياة واضطهاد الناس وجحودهم ، فصمت فترة عن قول الشعر حتى عام ١٩٤٢ حيث اصدر في يناير من هذا العام ديوانه « عودة الراعي » وهو آخر ديوان اصدره في الوطن .

\* \* \*

( ١٩٤٦ - ١٩٥٥ ) هذه مرحلة جديدة من مراحل الشاعر فقد قرر الهجرة من وطنه الى امريكا وأعد كل شيء للهجرة ؛ وفي هذه الاثناء ماتت قرينته وام أولاده ، ومع ذلك هاجر حزينا ملتاعا في ١٤ ابريل سنة ١٩٤٦ الى نيويورك وقد مارس في هذه الفترة الواثنا مختلفة من النشاط فاشتغل استاذاً للادب العربي بمعهد آسيا في نيويورك وانشأ رابطة ادبية في المهجر سماها رابطة « منيرفا » وعمل سكرتيراً لها وحرر في كثير من الصحف والمجلات التي تصدر في المهجر ومنها : السائح والهدى واصلاح ونهضة العرب ، كما عمل في الاذاعة الامريكية « صوت امريكا » .

واصدر في المهجر ديوانه الشعري « من، النساء » عام ١٩٤٦ .

● قال شعراً كثيراً في المهجر وقد جمع أربعة دواوين مخطوطة توجد عند الاستاذ رضوان ابراهيم ، وهي : « من أناشيد الحياة » « والانسان الجديد » « وايزيس » « والنيروز الحر » وقد نظم الشعر بالانجليزية وله ثلاثة دواوين طبع منها اثنين هما « اغاني العدم » « واغاني السرور والحزن » . وقد نشر في نيويورك ، والدواوين الثالث لا يزال مخطوطاً هو « اغاني الحب » .

\* \* \*

● كتب الرجل في حياته طائفة من القصص الشعرية منها « قصة عبده بك » وقصة « مها » : وله أربع اوبرات شعرية كتبها جميعاً في عام ١٩٢٧ وهي بالترتيب : « احسان » « اردشير وحياة النفوس » « الزباء » زنوبيا ملكة تدمر » « الآلهة » .

● كتب قصائد قومية مطولة منها « مفخرة رشيد » « وطن الفراعنة » « نكبة نقارين » « سعد » .

● ترجم رواية العاصفة لشكسبير فثرا في سنة ١٩٢٩ .

● كتب في فنون شتى فله في النقد « مسرح الادب » جزاءن و « قضايا الشعر المعاصر » « وشعراء العرب المعاصرون » نشر رضوان ابراهيم وله كتب في الاسلام مثل « عظمة الاسلام » وله انتاج مخطوط في مختلف الفنون في الشعر والدراسات الادبية والاسلامية .

---

● استعنا في هذه الالامة بنسبته بكتابتنا « جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث طبع القاهرة سنة ١٩٦٠ » وكتاب « نظرات نقدية في شعر ابي شادي - المطبعة السلفية سنة ١٩٢٥ - وكتاب شعر الوجدان لجامع محمد صبحي سنة ١٩٢٥ - ومقدمة كتاب « شعراء العرب المعاصرين » نشر رضوان ابراهيم وكتاب رائد الشعر الجديد - لمحمد عبد المنعم خفاجي ، راستعنا بكثير من الرسائل التي يمت بها الشاعر الى اصدقائه ومقالاته في المجلات الادبية مثل البعثة الكويتية وغيرها .

## بيئة أبي شادي الخاصة :

ولد أحمد زكي أبو شادي في بيئة أدبية وطنية ، فولده محمد « بك » أبو شادي كان مرموقاً في المجتمع المصري . في الحمامة كان نجماً لامعاً وكان نقيباً للمحامين ، وفي الصحافة شق طريقه بجريدته اليومية ( الظاهر ) ومجلته الأسبوعية « الامام » حتى صار ملء السمع والبصر ، وكان خطيباً بارعاً نافذ العبارة ، مؤثر البيان ، حتى لقد كان سعد زغلول يقول في خطبه : « هذه على مذهب استاذنا أبي شادي » .

وفي منزله بسراي القبة بالقاهرة كان له صالون أدبي يجتمع فيه القادة والوطنيون والأدباء والشعراء وقد خلّص محمد أبو شادي الأساليب الأدبية من الصنعة وأشاع في الصحافة الادبية اسلوباً متشعباً بذوق العصر مشوق الديباجة سلس العبارة ، وكان الرجل شاعراً أيضاً وله ديوان لم يطبع بعد ووالدة الشاعر هي السيدة أمينة نجيب وهي شاعرة رقيقة مرهفة ، وخاله مصطفى نجيب شاعر مرموق وكان زميلاً لمصطفى كامل في الكفاح .

في هذه البيئة الادبية الوطنية شبّ أبو شادي وترعرع وتلقى الوراثة الاولى في حياته واختان في هذه المرحلة كثيراً من التجارب والانطباعات التي أفاد منها فيما بعد .

وسنقف — ونحن بصدد بيئة الشاعر الخاصة — عند حادثين هامين كانت لهما أثر بعيد في حياته ، وظل هذا الاثر يلزمه ويطبع تصرفاته مدى الحياة .

١ — أما الحادث الاول فهو انفصال والده عن والدته .

وقد أثر هذا الحادث في نفس الشاعر تأثيراً عميقاً وأصابه منذ غضارة الصبا بحزن كثيف وقلق لازمه طويلاً وأفقدته في كثير من الاحيان الامان

والتكثيف مع المجتمع ، وهذا هو الاسى الذي كان يشير إليه دائماً دون أن يفصح عنه ، فعندما حاول أن يكتب حياته لمجلة « الحرية » بالعراق سنة ١٩٣٥ قال<sup>(١)</sup> : « وقد كان والدي - رحمه الله عليها - على جانب عظيم من العناية بي والمحبة لي ، ومع ذلك فقد شابت نشأتي أحزانٌ عائلية كثيرة لا تزال تساورني كآبتها ، وإن كنت بطبعي من يقدرُ نعمة الحياة غالباً » ولعل أول هذه الأحزان التي يشير إليها أبو شادي ، هو الانفصال العائلي الذي أفقده الهناء وبذر في نفسه بذور القلق والاضطراب النفسي .

٢ - وقد ترتب على الحادث الأول حادث آخر أفدح وأعمق ، فعندما غادرت والدته المنزل حلّت محلها زوجة أخرى لوالده وفي هذا الحو الجديد افتقد الشاعر الهناء المالي والحنان ، فهتت نفسه إلى حنان جديد يعوضه عن أحزان نفسه وظماً روحه ، وقد التمس هذا الحنان عند ربيبة والده وهي فتاة صغيرة قريبة زوجة أبيه فأحبّها الحبّ كله ، وملأت عليه أقطار نفسه وأفعمت قلبه حناناً وحبّاً وسلاماً ؛ ونسى في هذا الطور مأساة حياته ، وأزهرت أغصان آماله اليباسة ، وغرّد أعذب الألحان لهذا الحبّ الوليد .

ولكن الأقدار تبيّضت به مرة ثانية فأفقدته حبّه الأول ، وعملت زوجة أبيه على أن يتم زواج الفتاة التي ارتبط بحبها ، رجل آخر ، وتم فعلاً عرسها في منزل قريب من منزل الشاعر .

وقد حدثني أحد أقاربه أذ كان يشهد في منزله مصرع حبه وغروب آماله . واننيار أحلامه ، وكانت موسيقى العرس تتسلل إليه في وحدته فنثّر في نفسه شجنًا ( أي شجن ) ، وقد صور الشاعر هذا الجو بقصيدته

---

(١) نظرات نقدية في شعر أبي شادي - الطبعة السلفية سنة ١٩٢٥ ص ٧-٨

« عرس المأتم » المنشورة في ديوانه « زينب » ص ١٣ ، وفيها يَصُدَّرُ عن  
نفسٍ حزينةٍ مُلتاعةٍ فِدَحَتَهَا الكارثةُ ؛ واشاعت فيها الحُرَابُ والدمارُ ،  
وهي وثيقة نفسية هامة يشرح فيها هذا الحب الأول ؛ يقول منها .

عذبة أنتِ في الخفاء وفي الجلم ر . وفي الهجر يا أغاني الظلام<sup>(١)</sup>

ومنها :

يا حياقي وبا منارة لي كيف أنسيت أشواق الأحلام

ومنها :

ألم النور في دعاب إذا ما أقبل الفجر من رسول الغرام

ومنها :

كيف أنسيت يا ربيبة عمري وكيف أنسيت في غرور- هيامي

ومنها :

إيه يا « زين » آفل من شبابي إيه يا نجم قاتل من ظلامي

ويختتمها بقوله :

إفرحي العمر واسعدي دون قربي واذكري في الغداة معنى أوامي

وأنا المذنب الغفور وحبي دمة منك سوف تروى عظامي

ولا شك ان هذه المقطوعة تصور مرحلة من مراحل الشاعر النفسية  
والشعرية ، فهي من بواكير مقطوعاته وأوائل محاولاته وهي من الناحية  
الفنية دون مستوى شعره ، ولكنها مع ذلك تنقل بصدق لوحة من حياة  
الشاعر ، وتمطينا تفاصيل غرامه العائر فهي من هذه الناحية وثيقة هامة .

وهكذا تحطمت آماله ، وتمزق حبه الاول ، وقد تمزقت نفسه بعد هذه  
الصدمة الفادحة وأصيب باضطراب نفسي أثار على صحته وأوشك ان يودي

---

(١) زينب : فحات من شعر الفناء ص ١٣ المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٩٢٤ .



بحياته ، وقد حاول والده ان يخفف عنه أثر هذه الكارثة فأرسله في رحلة الى تركيا واليونان ليعالج ويسلو .

ثم قرر نهائيا - بعد ثورة الاصدقاء - ان يبعده بصورة حاسمة عن مسرح الكارثة فأرسله في سنة ١٩١٢ الى انجلترا ليتعلم الطب هناك ؛ وهو قرار حكيم لأنه ابعده فعلا عن مثيرات احزانه وللأسف كان بيت والده من تلك المثيرات ، ففيه زوجة غير أمه أفقدته أمته وهناءه العائلي ، وأفقدته حبه الاول .. ولم يحاول أحد من اصدقاء ابي شادي أو تلاميذه أن يفسر لنا هذه الوقائع في حياته او يرد إليها ظروف قلقة واضطرابه فيما بعد ولكن الشاعر ظل يشير الى هذه الاصوات في نثره ، ويصورها في شعره في انفصال حاد يدل على مدى اثرها عليه ومدى ما تركت في نفسه من مرارة وألم ... فعندما استقر في انجلترا عقب المأساة صور غروب آماله بقصيدته « لفتات الغريب<sup>(١)</sup> » ومنها يقول :

ألا في سبيل الحب والأمل الغالي عذابي عذابَ النفي في الجبل الخالي  
شريداً وحيداً للطبيعة موئلي أكفكف دمعي في أشعة آصالي  
وأندب عمري قد تولى أعزّه ولم يبق غيرُ الذكر والمثل العالي  
كأنني لما لاقيت من فرط شوقي خلقت لأعطي الدهر حكمة أجيال  
فبينتُ صبيباً في رجولة ناظم على الدين والدنيا على الشرف البالي

ونحن نعتقد ان الشاعر لم ينقم على الدين ولا على الشر ، وانما دفعه الى هذا القول لإحساسه بفداحة الكارثة التي اطاحت بصوابه ودفعته الى الثورة في الحاح . ولكن الذي لا شك فيه انه نقم على الدنيا وظل نالها عليها مدى حياته ، وإن أخفى هذه النقمة في بعض الاحيان خلف إطار من الثقافة

---

(١) المصدر السابق ص ١٥

والتفاؤل وهو بتمرد بعنف على من كانوا سببا في تدمير حبه وهنائه العائلي  
ويسميه العصبة الدساسة يقول :

.. أأحرم من شمس واحب هائنا      وحولي ضباب العيش لا الأمل الحالي  
فيا عصبة شئت فنائي واسرفت      ستحيا على رغم الدسائس افضالي  
ويذكرني قومي ويعرفني الهوى      فتنقم لي العليساء والزمن التالي

وهو لا ينسى ان يوجه عتباً حزيناً الى أهله فيقول :

جُزيتُ على طهري بتغريب مهجتي      وأوذيت من أجل الوفاء ومن آلي  
وقد قطع على نفسه عهدا ان يظل وفيا لهذا الحب في حياته وفي مماته .  
سأحيا وأفنى فيك أصدق عاشق      أصاب به الزلزالُ قدوة أبطال

ونحن نشهد انه لم يحنث بالعهد فقد ظل يقدس هذا الحب طوال عمره ،  
وظل أثرُ إخفاقه في هذا الحب يورق حياته ، بل لقد اصابه باضطراب عميق  
ووسمَ معظَمَ تصرفاته ، وصادر أمنه وحرمة من نعمة التكيف مع نفسه  
ومع المجتمع وهذه هي مأساة حياته التي يمكن ان نفسر على ضوءها كثيرا من  
شعره بل ومن تصرفاته واحداث غمره .

#### منابع ثقافته :

من العسير أن نحدد في وضوح منابع أي شادي الثقافية ، فيقد عياش في  
جو أدبي تختلط فيه التيارات الأدبية ، وتتلاطم النظرات الفنية ، ويستخدم  
النقاش بين جيلين من المفكرين والأدباء ، جيل محافظ يدعو إلى المحافظة على  
القديم والتراث العربي ، وجيل ثائر يسخر من المحافظين ويدعو في عنف إلى  
الحضارة الغربية ، واحتذاء تراثها الثقافي .

وكان بين هذين الجيلين أدباء ومفكرين تهفو نفوسهم إلى الجديد ،  
ويتطلعون في شوق إلى الحياة المتطورة الغنية بالثقافة المتفتحة على كل المذاهب  
الأدبية ، ولكن دون أن نقطع صلتنا بتراثنا العربي العريق ، وكان والد أبي  
شادي من هذا الطراز ، وكانت تحتدم في صالونه الأدبي المناقشات المختلفة  
بين أدباء وشعراء من مختلف الاتجاهات .

ومن هذا النبع استقى أحمد زكي أبو شادي لهذا يمكن أن نقول ان أبا  
شادي تأثر بوالده تأثراً كبيراً وتأثر بخاله مصطفى نجيب وأمه أمينة نجيب  
وتأثر بجو صالون والده الأدبي ، وبمن تعرف فيه من الشعراء والأدباء ، ولكنه  
كان في أوائل حياته متردداً بين القديم والجديد لم يستقر على حال ، ولكن  
أحداث حياته أثارت فيه تطلعاً حاداً إلى الثورة على كل شيء ونمت فيه هذه  
البذرة ونهبت تطلعه إلى التوسع في الدراسة الأدبية ولذلك تبدلت نظرتة في  
الشعر عندما عثر بالصدفة على كراسة صغيرة بالانجليزية تضمنت محاضرة  
للاستاذ « برادلي » استاذ الشعر بجامعة اكسفورد كان قد ألقاها في الجامعة في  
عام ١٩٠١ وعنوانها « الشعر لاجل الشعر » فاطلع عليها وكان ذلك في سنة  
١٩٠٩ وقد أغرته هذه المحاضرة - كما يحدثنا<sup>(١)</sup> - بالتدرج « في الاطلاع  
على الأدب الانجليزي وشعر الإنجليز خاصة لا سيما وأن قصة « مملت »  
لشكسبير كانت من موضوعات تعليمه بالمدرسة وقتئذ ، فكنت أحياناً  
أقارن بين تفننهم موضوعاً وصياغة وتصويراً وبين جمود معظم شعرائنا  
وعبادتهم للألفاظ الرفانة وحبهم للتقليد الأعمى فكان يتولاني اليأس أحياناً  
من قابلية بيتنا لتطور الشعر العربي نحو الأصلح والأكمل » .

ويبدو أن نشأته المحافظة هي التي كانت تدفعه إلى اليأس من قابلية البيئة

---

(١) نظرات نقدية في شعر أبي شادي ص ٨ .

محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني ، وكان هؤلاء الشبان من الطبقة الوسطى التي بدأت - بعد ثورة عام ١٩١٩ - تحسّ بذاتها إحساساً حاداً ، فأحدثوا في حياتنا الأدبية بحكم ظروفهم النفسية وثقافتهم مجرى وسيعاً في أدبنا المعاصر ، وأثّاروا كثيراً من الغبار وأشعلوا عدّة معارك أدبية حامية الوطيس كان ابو شادي يتابعها في شغف وإعجاب وهو نّاء عن وطنه وبعد ان عاد إليه ، فتأثر بهم بلا ريب . وقد اعترف لنا في شعره بأثر هذا الثلاث في الحياة الأدبية بقوله تعليقاً على شعر شكري (١) :

أبدأُ رافقُ شعرك الإنشادُ وتشوق فتنته النّهى فيُعَادُ  
أسستَ مملكة يصون ذمارها ( المازني ) اخوك ( والعقاد )  
ولسوف يحترم الزمان مآلها وتسير خلف لوائها الأحفاد  
دينٌ بعثت له ولو علمت به من قبل لاحتفلت به الأجداد

والتجاوب بين ظروف ابي شادي النفسية والاجتماعية وبين جماعة التجديد هذه، هي التي جعلته يتأثر بهم ويسير في تيارهم وفي المجرى الأدبي الذي خطوه في حياتنا المعاصرة .

وإن كان هذا لا ينفي أنه تأثر بغيرهم من الشعراء والأدباء فقد تأثر بخليل مطران واحمد محرم وشوقي وحافظ ، بل كان يتأثر ويتجاوب مع زملائه وتلاميذه من أمثال ناجي وأبي القاسم الشابي والصيرفي .

ولذلك فنحن لا نغفل إلى ان « خليل مطران » هو استاذ أبي شادي الوحيد وهو الذي قاده الى منابع التجديد كما يعترف هو بذلك ، ونعد ذلك من قبيل المجاملات التي كانت تدفعه اليها ظروفه وظروف المجتمع القاسية ،

---

(١) احمد زكي ابو شادي - اثن ورثن ( المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٥ ) ص ٢٣ .

العربية لتنطور الشعر ولكن ظروف حياته القاسية هي التي كانت تدفعه إلى التمرّد وتنبّه فيه شوقه الحاد إلى التغيير ولذلك عندما ذهب إلى إنجلترا سنة ١٩١٢ يدرس الطب راح يعبّ في شوق ونهم من الثقافة الإنجليزية والأدب الإنجليزي وشعر الإنجليز بوجه خاص ، ودفعته وراثته الأدبية إلى دراسة الأدبيات وإن كنا نرجح أن عاملاً آخر دفعه إلى هذه الدراسة هو إحساسه بالفراغ النفسي ، فكان ينشد السواي والرياضة في الأدب والشعر ويحدثنا هو عن ميله الأدبي رغم دراسته العلمية بقوله<sup>(١)</sup> : « إن ميلي إلى الأدبيات يرجع إلى عوامل وراثية وإلى استماعي بالأدبيات كرياضة ذهنية تقسم بين شواغلي ومتاعبي الكثيرة وإني أقدر أن عليّ واجبات ككأديب بظيّر ما عليّ من الواجبات كرجل علم وأحسب أنني أفهم شيئاً عن وحدة الحياة وأشعر أن الفارق بين الأدبيات والعلميات فارق وهمي » .

تلك هي النظرة التي اكتسبها أبو شادي من دراساته العلمية الطبية فدفعته إلى الملاءمة بين مزاجه العلمي ومزاجه الأدبي في نسق فني بديع ، ففي الوقت الذي كان يصاحب آثار « ولز » و « ارنولد بنيت » من الأدباء ، كان الجو العاطفي والروح الوجداني اللذين يسيطران على حياته يدفعانه إلى أن يعميش في شعر الشعراء الإنجليز من أمثال « وردز ورث » و « شيلي » و « كيتس » فكان يجد في أنغامهم الحزينة الرومانسية صدى روحه الظامئة للهيبة .

وبذلك تأثر تأثراً كبيراً بالثقافة الإنجليزية والشعراء الإنجليز بصفة خاصة ، على أن هذه الفترة التي كان فيها غارقاً في الشعر الإنجليزي كان وطنه « مصر » يشهد حركة تجديد واسعة متأثرة هي الأخرى بالثقافة الإنجليزية ؛ وكان يحمل لواء « جماعة التجديد » هذه ، الشاعر عبد الرحمن شكري وعباس

---

(١) راجع كتابنا : جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

ولقد اعترف هو نفسه بأثر بعض الشعراء والأدباء من أدبه وشعره بقوله<sup>(١)</sup> :  
« ادين في الروح الأدبية العامة إلى مدرسة الظاهر الصحفية منذ ١٩٠٥  
وقد شملت من أعلام الأدب: أحمد شوقي ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي  
وخليل مطران ومحمد لطفي جمعة وعبد الفتاح بهيم وتوفيق رفعت وكثيرين  
غيرهم » .

فكل هذه الاعترافات كانت تدعو إليها ملائسات خاصة وليست من  
قبيل الدراسة الأدبية الدقيقة ، ولسنا نقصد أن ننفي أثر مطران في أبي  
شادي فلا شك انه أنثر فيه هو الآخر أثراً كبيراً ولكننا ننفي ان يكون أبنا  
شادي رجع الصدى لأدب مطران<sup>(٢)</sup> ، فقد كان الرجل موسوعة شعرية تلمح  
فيه آثار كل من اتصلوا به أو قرأ لهم ولكن الظروف السياسية والاجتماعية  
والنفسية هي التي حددت له فيما بعد اتجاهه الذي سار فيه هو وزملاؤه من  
جاعة أبولو، وسنقف عند هذه الظروف .

---

(١) جاعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث ص ١٥٣ .  
(٢) راجع تفصيل ذلك في كتابي : جاعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث .

## عصره

نحن بحاجة ماسة إلى دراسة العصر الذي نشأ في ظلاله شاعرنا « احمد زكي ابو شادي » وتحديد التيارات السياسية والاجتماعية والفكرية التي كانت تصطبغ آنذاك والوقوف على معالم النزعات التجديدية في الأدب بعامة ، وفي الشعر بوجه خاص ... لأن هذه الدراسة تمهد لنا ملامح « البيئة العامة » التي تكوّن الشاعر فيها ، وأثرت في قيمة الشعرية ، واثرت - أيضاً - في نظراته الفنية والفكرية ، بل ومن هذه البيئة استمد كثيراً من صورته الشعرية .

### الناحية السياسية والاجتماعية

عندما بدأ أبو شادي يدرك الحياة بدأت تطرق أذنيه صيحات عالية تهز الجمود وتدعو إلى التحرر السياسي والاجتماعي والفكري .

كان الزعيم الوطني الشاب ( مصطفى كامل ) يترنم بالتحرر والاستقلال ، ويخطب ويكتب مندداً بالاستعمار الإنجليزي في حدة وعنف وكان مصطفى نجيب خال الشاعر يسهم في هذا الكفاح .

وكان قاسم أمين يدعو الى تحرير مجتمعا من الاوهام ويطالب بتحرير المرأة وتعليمها .

ومحمد عبده كان هو الآخر يدعو الى تخلص مجتمعا من الخرافة والشعوذة وينادي بأن ننظر في ديننا بروح متحررة صافية .

وشبت في هذه الظروف تيارات مختلفة تدعو كلها الى التطور والتقدم .

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت طبقة جديدة في المجتمع المصري تتطلع إلى قمة الحياة طبقة الفلاحين وانباء البلد الحقيقيين ، وقاد هؤلاء سعد زغلول ونشبت ثورة سنة ١٩١٩ الثورة المصرية المعروفة التي هزت الضمير واشعلت النفوس ، وبدأنا على اثرها ندخل في دور جديد .

فبعد الثورة نمت الطبقة الوسطى وطالبت بحقوقها واخذت قسطاً من هذه الحقوق .

وتمتعت البلاد بمجلس نيابي افتتح في ١٥ مارس ( آذار ) سنة ١٩٢٤ ، وفاز سعد زغلول وصحبه في هذا المجلس بأغلبية ساحقة ، وقد كان محمد ابر شادي — والد شاعرة احمد زكي ابي شادي — من بين اعضاء هذا المجلس .

ولكن البلاد لم تنعم طويلا بهذا الجو الذي اشاعته ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد دب اليأس الى نفوس قادة الثورة وشغلته المناورات السياسية والخلافات عن قيم الثورة واهدافها ، ورفعت في غضون ذلك اصوات أخرى ساهمت في خلق جو كئيب معتم ، من هذه الظروف مقتل السردار الانجليزي — في مصر — «السير لي ستاك»<sup>(١)</sup> في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، فقد طاش صواب

---

(١) راجع في هذا كتابنا جماعة ايلول واثرا في الشعر الحديث ص ٢٥٨ وما به ها ؛ وراجع ؛ عبد الرحمن الرافعي : في اعقاب الثورة ج ١ ط ١ ص ١١٥ ، ١١٦ .



الانجليز وقاموا بأعمال ارهابية عانية طعنت استقلال مصر في الصميم .  
ووقعت انقلابات دستورية كثيرة في الوطن فقد جاءت وزارة زيور  
وفنذت سياسة الانجليز وحكمت البلاد حكماً دكتاتورياً قاسياً ، واهدرت كل  
القيم والعت الدستور .

ومات في هذه الائة ، الزعيم سعد زغلول في عام ١٩٢٧ .

وتفرق انصاره وانشغلوا بالمناورات السياسية والحزبية عن الكفاح الوطني  
السليم ، وكان القصر يستفيد من هذه الخلافات فائدة كبيرة في تنفيذ مآربه  
واغراضه ، وظهرت على مسرح الحياة السياسية أقلية من السياسيين اجتهدت  
ان ترضي رغبات القصر في سبيل مآرب شخصية . وعلى طول الطريق ، طريق  
الكفاح ، كانت تتكاثف سحب الظلام وتمطل الحياة النيابية .

عطلها محمد محمود مرات عديدة واطلقت على سياسته « سياسة اليد الحديدية » .  
وحكم اسماعيل صدقي الشعب فترات عديدة كان يسوم فيها الشعب الخسف  
والهوان ويعطل الحياة النيابية ويقضي بسياسته الباطشة الطاغية على ائمن ما  
وصلنا اليه من قيم رفيعة وظلت الحياة السياسية في الاقليم المصري تحتدم  
بهذه التيارات السياسية حتى قامت الحرب العالمية الثانية ...

هذه هي الظروف السياسية والاجتماعية التي نشأ في ظلها ابو شادي  
وجيله من الشعراء فأصابتهم بخيبة امـل كبيرة ، ولم يستطيعوا ان يحققوا  
احلامهم وما يحتدم في نفوسهم من امال جاشئة ... كانت الحياة السياسية  
تخفق بدخانها الكثيف احلامهم ، وتشد آمالهم ، وتحز في نفوسهم ، وهنا  
شعروا بالغربة والحنين الى الطبيعة والهروب من واقع الحياة الى داخل نفوسهم  
المرهفة الحزينة يتأملونها في حزن والم ، حتى اطلقوا في حياتنا الادبية تياراً  
رومانسياً ازدهر على يد ابي شادي وصحبه من امثال ابراهيم ناجي وحسن

كامل الصيرفي وعلي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل ومحمد عبد المعطي الهمشري  
ومحمود ابو الوفا وغيرهم من الشعراء .

### التيارات الفكرية والادبية

ولم تكن التيارات الفكرية والادبية بنأى - هي الاخرى - عن هذا الصراع فقد كانت تتأثر به وتؤثر فيه ، وكانت تختلط هذه النزعات الادبية والتيارات الفنية ، بالسياسة والدين والمجتمع . ولا شك ان هذه الفترة شهدت نهضة ادبية كبيرة ، وتألق فيها مفكرون احرار ارسوا كثيراً من تقاليدنا الادبية والفكرية ، ولكن الظروف السياسية والاجتماعية كانت عميقة اثرت في كل هذه الاشياء تأثيراً كبيراً ... في هذه الفترة ظهر الدكتور طه حسين بأفكاره المتقدمة في تحرير مناهج الدراسة الادبية من التقاليد والأصول الثابتة ، ودخل من اجل هذا في معارك طاحنة مع المحافظين ، ونحّب ان نشير بوجه خاص الى المرحوم مصطفى صادق الرافعي الذي وقف لهؤلاء جميعاً بالمرصاد ودخل المعركة « تحت راية القرآن » .

ونحن لا يهمننا من كل هذه الرثبة الفكرية والتيارات الادبية إلا ما كان خاصاً بالشعر ففي هذه الاثناء ظهرت « جماعة التجديد » في شعرنا المعاصر « وكان على رأس هذه الجماعة عبد الرحمن شكري وعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازني .

وكان التيار السائد قبلهم هو التيار الشعري - الذي يمكن ان نسميه - تيار البعث الذي اثر في الثورة العربية وتأثر بها وانطلق بعدها في قوة على يد الشاعر الفارس « محمود سامي البارودي » وواصل هذا التيار مسراه في حياتنا الادبية وتألفت اسماء كثيرة حملت لواءه منهم الشاعر الجهر « احمد شوقي » « وحافظ ابراهيم » « ومحمد عبد المطلب » « واحمد محرم » وغيرهم .

كان هذا التيار متغلغلا في حياتنا الأدبية وكان ابنائنا أصحاب الطاقات الشعرية الضخمة التي كانت تشجعي بموسيقاها الشعرية النفوس والألباب .

أحس شعراء التجديد نفوسهم - بعد ثورة سنة ١٩١٩ احساساً حاداً فبدأوا يثيرون على هذا التيار ثورة عارمة ، وواصلوا ثورتهم - في اصرار عابس. متجههم - بكل الأساليب ، وكانوا متأثرين بالأدب الانجليزي مستفيدين من قراءاتهم الشعرية والنقدية ، فعرفوا الناقد « ولم هازليت » وهو كما يقول الأستاذ عباس محمود العقاد « امام هذه المدرسة كلها في النقد لأنه هو الذي هداها الى معاني الشعر والفنون واغراض الكتابة <sup>(١)</sup> » كما عرفوا الشعراء والكتاب « كارليل » « وجون ستيوارت ميل » « وشيلي » « وبيرون » « ووردز روث » « وبرونسج » « وتينسون » « وامرسون » « ولونجفلو » « ويو » « وويتا » « وهاردي » وغيرهم من الأدباء والشعراء الذين غلبوا على الفكر الانجليزي والامريكي في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر .

وقد سددت نقدااتهم ، هذه الدراسات المختلفة في الادب الأوروبي والادب العربي وساعدتهم على احداث تيار قوي عارم هز عرش شعراء التقليد هذا عنيفاً ولقت انظار الجيل الذي يليهم الى تجديداتهم ... وكان من حصيلة هذا الصراع مجموعة دراسات نقدية تناولتها كتب المازني والعقاد ومقدمات دواوينهم . على ان اهم هذه الاشياء كتاب نقدي اصدره العقاد والمازني في عام ١٩٢١ هاجما فيه كثيراً من أعلام الشعر والادب في مصر بل وهاجم فيه المازني زميله « عبد الرحمن شكري » وقد رجع فيما بعد عن هذا الهجوم وندم عليه ندما كبيراً ، ردهه في الصحف والمجلات في مقالات متعاقبة من الزمان .

لم تستطع هذه الحركة الجديدة ان تخفت انعام حركة البعث بل ضلت

---

(١) العقاد ، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ص ١٩١ .

هذه تستأثر بالاعجاب والنفوذ، لاسباب كثيرة لا مجال هنا لتفصيلها<sup>(١)</sup>. وقد اشتغل اعلام حركة التجديد بالسياسة وساهموا في تياراتها المصطخبة وانزوى عبد الرحمن شكري بعيداً عن المجتمع ينتج في صمت دون ان يثير حوله الغبار.

ولكن نحب ان نقرر ان هذا الصراع الناشب بين جماعتي البعث والتجديد أثر تياراً جديداً يمكن ان نسميه « تيار ابولو » وكان على رأس هذا التيار شاعرنا الطيب « أحمد زكي ابو شادي » .

ولا بد ان نذكر في هذا المجال شاعراً كبيراً كان يعيش على الحيات الى جانب كل هذه التيارات المتصارعة المتطاحنة ، هو الشاعر المجدد « خليل مطران » فقد لاذ به الجيل الجديد من ابناء « أبولو » ووجدوا في كنفه أمناً لنفوسهم وتشجيعاً وحنواً، وان كنا نعتقد ان هذا الشاعر الكبير لم يستطع - في هذه الظروف - قيادة تيار التجديد في شعرنا المعاصر<sup>(٢)</sup> ، ولكنه على كل حال اثر في شعراء أبولو ، ومنهم ابو شادي.

---

(١) راجع ذلك في كتابنا جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث .

## نمط الشعر الفني

في هذه البيئة الخاصة والعامة نشأ الشاعر « احمد زكي ابو شادي » وقد تأثر لكل هذه الاحداث وتلك الظروف تأثراً قوياً عميقاً ، وتكونت خيوط شاعريته من كل هذه المعاني المتشابهة .

وقد كان كزملانه الشعراء الذين نشأوا في هذه الفترة ، من حياتنا السياسية المضطربة القلقة ، كان يشعر بالفارق بين احلامه وطموحه ، وبين واقع الحياة ، ولهذا أصيب بداء العصر كما كانوا يسمونه في الآداب الأوروبية ، وغتت هذا الاتجاه عنده ظروفه الخاصة ، فقد نشأ في بيئة خاصة منفصلة ، وقد أصيب بصدمة قاسية وهو على اعتاب الحياة طري العود ، فأخفق في حبه الأول ، لهذا اتجه في شعره هذا الاتجاه الوجداني الذاتي ، وقد طبع هذا الاتجاه معظم شعره وان كان قد حاول في حياته عدة محاولات جديدة في الشعر سنقف عندها بعد ذلك .

وقد جاءت معظم محاولاته الاولى من هذا الشعر الغنائي الحزين الذي يشع شكاته ، ويحاول ان ينفذ عن نفسه - من خلاله - مكنه الخاصة والعامة .

وقد عاد الى الوطن في عام ١٩٢٢ وغاص في الدوامة القاسية موظفا في الحكومة ينتقل بين القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والسويس .. وكان يتطلع الى لوحة المستقبل فيراها غائمة يحلها ضباب كثيف وكان يشهد بنفسه سهام المعارك الأدبية تزحم الأفق الادبي وتدمي وتصمي ، فعاد الى داخل نفسه يتأملها ويصدر عنها ؛ والمتأمل بواكيره الاولى في « انداء الفجر »<sup>(١)</sup> « وزينب » « وأنين ورنين » يجدها كلها غالبا لوحات ذاتية وجدانية تفيض بالشجن وتصور احزان نفس منهارة خيم عليها الفناء ، فكل صورة توحى بالحزن والالم ، فالقطة التي يراها قطة يتيمة يتأملها ويربط بين يتيمها ويتم روحه في حرقاة لاذعة تلفح النفوس ، ويحدثها عن مأساة حياته وكيف فقد حبه الاول وفقد الحنان في بيته :

ومنها<sup>(٢)</sup> :

جلست قربي كأن قربي عزاء احساسك اليتيم  
فقدت أمًا وما فقدنا لكن في عزلي افتقاد  
كأنني ناكل شبابي وسائد الصمت من حداد

ويبدو ان ابا شادي كان يصدر عن عقله الكامن ، فانفصال والدته عن والده كان بمثابة فقدتها في احساسه ، ولهذا يربط بين نفسه وبين القطة اليتيمة التي فقدت امها ، وان كان عقله الواعي يبرر ذلك بقوله انني لم افقد امي ولكنني في عزلة تشبه فقدتها ... وشبابه الشاكل يوحى له بمعاني الحساد الصامت .

---

(١) نحن نشك في ان الطبعة الاولى من هذا الديوان كانت سنة ١٩١٠ . فلم اعثر على هذه الطبعة وقد فصلت هذه القضية في كتابي « جماعه ابولو واثرها في الشعر الحديث » ص ١٧٦ وما بعدها .

(٢) انداء الفجر الطبعة الثانية سنة ١٩٣٤ ص ٧١ .

وقد ظهرت في شعره ملامح الشعر الرومانسي من حنين الى الطبيعة وهروب الى احضانها وخلع احساسه عليها والفناء فيها وفي قصيدته «وحي المطر<sup>(١)</sup>» يقول :

انا ظامىء والكل حولي ظامىء      فتقطري يا سحب كيف حننت  
هذي الفصون تناولت ما خصها      ولبثت في ظمئي لوحيك انت

ومنها :

وانا الوحيد فأين ابن حبيبي      حتى ترد جوى وتطفئ ناراً

وكل انغماسه في ديوانه « زينب » ذاتية تصور عثار جوه ، وبؤسه في حبه وديوانه « اتين ورنين » الذي صدر هو الآخر في عام ١٩٢٥ كان أنات شجيرة ملتاعة . لا تفارق ذكريات غرامه الاول خياله :

من غرامي تعلم الشعراء      فهوام صدى وشعري الغناء  
كل بيت أنشدته كان من قلد      بي جمالاً توده الحسناء  
يخطر الفن والصبابة فيه      خطوة التنيه لم يفته الوفاء  
لفتة منك ثم يتبعها الوح      بي فتأتي القصيدة المعصاء

ومن الحق ان نذكر ان ابا شادي لم يقتصر على هذه المعاني الوجدانية ، بل اختلط في نفسه الوجدان الجماعي بالوجدان الفردي فتغنى آلام قومه واخوانهم ، وحفل شعره مع هذا بكثير من القيم الوطنية والقومية ، وعندما هدأت نوازع نفسه اخذت روحه العلمية تموه بالكثير من الآراء والافكار فأخذ يتجه اتجاهات متعددة في المااني والافكار والأخيلة ، وحفل شعره بالنور والظلال ، واللفقات العلمية الذكية ، والتأملات الصوفية ، ولعل اصدق

---

(١) المصدر نفسه ٧١ .

مثال لهذا كله موسوعته الضخمة « الشفق الباكي » وقد صدر كما كتب على الديوان سنة ١٩٢٧ ، وهو اول ديوان في اللغة العربية - على ما أظن - تبلغ صفحاته ألفاً وثلاثمائة وستة وثلاثين ( ١٣٣٦ صفحة ) وهو يجمع بين دفتيه كل المستويات الشعرية لأبي شادي ويعكس كثيراً من آرائه ونظراته في الحياة والحب والوطنية والقومية والسلام ، ويمكن ان نقرأ في هذا الديوان روح العصر الذي عاش فيه ابو شادي وجيله من الشعراء ، بل لقد سجل بين دفتيه الخلاف بينه وبين شعراء التقليد كما يفصلها الاستاذ حسن الجداوي ناشر الكتاب .

#### آراؤه في التجديد ومهمة الشاعر ...

تكوّنت للشاعر عبر حياته مجموعة من الآراء في الشعر والتجديد لا بد أن نشير إليها فهو يرى « أن الشعر تعبير الحنان بين الحواس والطبيعة هو لغة الجاذبية وان تنوّع بيّانها هو أوحدي الأصل في المنشأ والغاية وصفاً وغزلاً ومداعبة ورناء وعظماً وقصصاً وتخيلاً وفلسفة وتصويراً فإن مبعثه التفاعل بين الحواس ومؤثرات الطبيعة وغايته العزاء والاحتفاء بهذه الطبيعة <sup>(١)</sup> » .

وهو يرى ان الشاعر رسول قومه فلا بد أن ينزل إلى مستواهم وأن يكون بيانه من بيانهم ومهما تأنّقت في تعبيره وجمّح في خياله فيجب ألا يرتفع صوته فوق مستوى آذانهم ومداركهم <sup>(٢)</sup> . وقد لخّص عقيدته في نهاية ديوان الشفق الباكي ويمكن ان نستخلص منها المبادئ التالية :

١ - بث فكرة التعاون الأدبي واحتضان المواهب الناشئة والأخذ بيدها

---

(١) الشفق الباكي ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .



٢ - الشاعر عنده موسيقي حساس بعيد النظر قوي التعبير مطبوع  
يتأثر مزاجه بثقافته وبيئته وعالمه تأثيراً عظيماً فيلهمه كل ذلك ما يلهمه من  
إسعاد لنوعه في أوصافه وأخيلته وأحلامه وحينئذ يكون الشعر محاولة  
لانسجام الحياة .

٣ - الفن عنده هو البلاغة الرمزية الجميلة التي تفسح أمامك مجال التأمل  
وتنتقلك إلى جو النفوس العبقرية حيث ترى في الدقائق المعظام ، وفي الحرية  
الألوهة ، وفي أبسط الإشارات أكبر الذكريات .

٤ - وقد نادى ببث الروح الخلقية المتفائلة ، واستيعاب العلم وإخضاع  
الشعر له ويحدنا ان شعر العلم صار جزءاً من عاطفته وإيمانه ، وانه أول من  
بشّر به ونظمه وهو في رأيه يتفق مع ثقافة الجيل .

٥ - دعا إلى الشعر الجديد بكل أنواعه : الشعر الحر والشعر المرسل  
ونادى بتنوع الأوزان والابتداع فيها ، والتصرف في القافية ، ودعا إلى  
الشعر المنشور<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وهذه النظرات والآراء تسبح في مجالات متعددة وتختلط فيها مجموعة من  
المذاهب والاتجاهات ولعلنا نذكر أن ظروف حياته القلقة المضطربة جعلته  
غير قادر على التركيز الفني وتحديد اتجاه واحد يسير عليه ، فقد ابهذه  
الصورة القلقة المترددة بين مختلف الآراء والاتجاهات وان كان يغلب عليه  
بصفة عامة الميل إلى التجديد والابتكار .

---

(١) راجع الشفي الباكبي صفحات ١١٨٥ - ١٢٠٧ - ١٢٤٠ .

## تجديده من الناحية التطبيقية

ساهمت ثقافة ابي شادي العلمية ودراساته المذاهب الادبية ابان إقامته في  
المجلترة في تكوين آرائه في الشعر والادب والحياة بالاضافة الى تأثير التيارات  
الادبية في البيئة العربية التي عاش في ظلها ، واحداث حياته وظروفه  
النفسية . .

ولكن هل تأثر شعره بهذه الافكار . وهل انفك فعلا من قيد الجمود  
والتقليد ؟

والجواب : نعم بطبيعة الحال . فقد حاول الشاعر جاهدا في شعره القيام  
بتجارب كثيرة في التجديد ولا يمكن ان نستوعبها في عمق مثل هذه الدراسة  
المختصرة ، ولكن حسبنا الاشارة إليها والامام بأطرافها .

## القصة وفن الأوبرا

من هذه التجارب التي حاول ان يرفدها ابو شادي الشعر العربي ، الشعر  
القصصي ، وقد كتب قصتين هما : — قصة «عبدك بك» وهي قصة اجتماعية شعرية  
تعرض مهازل الزواج في مصر ونشرت في سنة ١٩٢٦ .

والقصة الثانية « مها » وقد نشرت في هذا العام ايضاً .

وحاول ان يقيم فن الاوبرا في شعرنا العربي الحديث ، وقد كتب في عام  
١٩٢٧ عدة اوبرات تلحينية منها : ١ — « احسان مأساة مصرية تلحينية »  
٢ — « أردشير وحياة النفوس » قصة غرامية تلحينية « ٣ — « الالهة :  
أوبرا رمزية ذات ثلاثة فصول » ٤ — « الزباء أو زنوبيا ملكة تدمر :  
أوبرا تاريخية كبرى ذات أربعة فصول » .

وقد عشت في هذه الاوبرات والقصص وخرجت برأي فيها وهي أنها لا تمثل طاقة ابي شادي الشعرية فالرجل بطبيعته شاعر غنائي يتحدث عن اشواق روحه وظمأ قلبه ولهذا لم يكتب هذه المحاولات البقاء وقوبلت في حينها بعاصفة من النقد المدام العنيف ولكنها على كل حال محاولة لاكتشاف ورادة فن جديد، فله فضل الرواد منها تكن قيمة تلك المحاولات ، وقد درس هذه الأوبرات صديقنا الاديب الاستاذ ابراهيم حمادة في رسالته لدبلوم المعهد العالي للفنون المسرحية بالقاهرة سنة ١٩٥٦ ونرجو ان يتساح لهذه الدراسة الظهور الى عالم النور ، كما أشار اليها بصورة عامة استاذنا الدكتور محمد مندور في كتابه الشعر المصري بعد شوقي الحلقة الثانية .

### محاولات أخرى

وابو شادي متطلع دائماً الى التجديد فقد حاول في شعره الغنائي ان يجد .

فنوع في القافية فتارة هي مزدوجة وتارة مثلثة وتارة مربعة وهكذا .  
وكتب الشعر الحر والشعر المرسل ، وملأ اشعاره بالرموز الاسطورية والاشارات التاريخية واستلهم التراث اليوناني والتراث الديني والصوفي .  
وأشاع شعر العلم والتأمل وكتب كثيراً من القصائد في هذا الباب ودوانه الكائن الثاني ، حافل بهذه الصور العلمية والتأملية .

كما حاول مزج البحور في القصيدة الواحدة ، وتنويع الأوزان .  
وقد نسج على نظام الموشحات شعراً كثيراً نذكر منه قصيدة « نعمة من الشعر »<sup>(١)</sup> كتبها على هذا النسق :

---

١ ( ) احمد زكي ابو شادي - اثني روتين ص ٥٣

١ - دلال الغواني لقلبي أسرُ  
ووجدني وذلي دفين الأثرُ  
فكيف الرجاءُ  
وفيم الشفاءُ  
ومالي دواء  
واين المفرُ

٢ - عيون سبتني ولحظ سحرُ  
وحسنُ دعائي لقتلي ومَرُ  
فهذا الكميُّ  
وذاك القويُّ  
ودمعي السخيُّ  
ولا من شكر

٣ - أخاف المجال وأخشى الحفر  
وأهوى ضعيفا قسا ما ائتمر  
عزيز المنال  
جسيم الملل  
ربيب الجمال  
كثير الخطرُ

الى آخر هذه المقطوعة التي تتكون - على طريقة الموشحات - من ثمانية اقفال وثمانية أبيات والقفل مكون من جزء واحد وتلتزم كل الاقفال بحرا واحدا هو المتقارب ورويا واحدا هو الراء الساكنة .

اما البيت فهو مكون من اربعة اجزاء كما نرى ولم يلتزم الشاعر في الابيات قافية واحدة - وان التزم نصف وزن المتدارك - كما التزم في الجزء الاخير من الابيات الراء الساكنة .

\* \* \*

ونحن لانستطيع - لضيق المجال - ان نستشهد لكل التجديدات التي ادخلها  
ابو شادي ، فحسبنا هذه الاشارات .

ولكننا بعد هذا نقرر ان كل هذه التجديدات هي الاخرى لم يكتب لها  
البقاء ، وانما الذي يمكن ان نعتبره جديدا في شعر ابي شادي كله هو تلك  
الزعة الوجدانية المتدفقة وما استلعبها من تعبيرات رمزية عن وجدانه  
الفردى واشواق روحه ، وهذه الجولة التطبيقية تقودنا الى تخطيط لشعر ابي  
شادي كله سواء اكان في الوطن ام في المهجر لنقرر في النهاية القيمة الحقيقية  
لشعره .

## أغراض شعره

لا بد لنا - ونحن ندرس الشاعر الطبيب « احمد زكي ابو شادي » - أن نتناول شعره كله كوحدة ونضع له حدوداً تبين معالمه وتبرز قسائمه ، فهو موسوعة شعرية خصبة ، وحياته موسوعة من التجارب الانسانية الكبيرة ، والنضال والكفاح . وعندي ان حياته وتجاربه ونضاله في سبيل الانسانية اعمق واغزر من كل انتاجه الفني بل حياته كما يصفها هو ، هي قصيدته العصماء التي ستظل خالدة تطاول الزمان ، وتهزم الفناء :

فقصيدتي الكبرى حياتي ملؤها نغمى وملء دموعها أبياتي<sup>(١)</sup>

ولذلك يجب على من يتناول شعره ان يعيش في جوه ويتعاطف معه ويصادقه ويحاول ان يتفهم نظراته في نقد شعره ، وهو يرى ان الناقد ملازم بالنظرة الكاملة حتى يؤمن بما سماه ابو شادي « التبادل » وهو تعويض الكل للجزء وكذلك تعويض الجزء للكل<sup>(٢)</sup> » بمعنى انه يجب نقد الاثر الفني

---

(١) احمد زكي ابو شادي : اطياف الربيع ص ٤٠

(٢) الشفق الباكي ص ١١٩٩ وما بعدها

( القصيدة مثلاً ) كوحدة لا تتجزأ بحيث يوجه النقد الى جوهرها وليها، فتارة يكون هذا الجوهر صغيراً شبيهاً بالصورة الدقيقة وتكون بقية القصيدة كإطار وحاشية لهذا الجوهر وقد يكون ذلك إطاراً ضخماً ولكنه متناسب من وجهة التأثير مع الصورة فبدل أن يفسد جمال الصورة تراه يوجه الالتفات اليها ، ومرة أخرى ترى الصورة ذاتها كبيرة والإطار صغيراً فتشغلك روح هذه الصورة وتكونينها عن الالتفات لحواشيتها ففي الحالة الأولى يعوض الجزء عن الكل ، وفي الحالة الثانية يعوض الكل عن الجزء .

هذه هي نظرية التبادل التي آمن بها أبي شادي وقد وضعته في اعتباري وأنا اتناول شعره بالتحليل والعرض ، بل لقد آمنت أننا يجب أن نضيف حياته وتجاربه الكثيرة الى شعره وننظر الى الجميع كوحدة فنية لا تتجزأ حتى يبيء حكماً عليه في النهاية عادلاً .

لهذا سأحاول أن أقسم شعره الى تيارات أربعة :

١ - التيار الوصفى ٢ - التيار الوطني والقومي ٣ - التيار العلمي والفلسفي ٤ - التيار الوجداني... وهذا التقسيم بطبيعة الحال ليس حدوداً فاصلة حاسمة في شعره ، ولكنها معالم عامة تعيننا على الدراسة ، فقد تتداخل هذه التيارات في الأثر الواحد .. ولكنها على كل تيارات بارزة يجمعها البحر الكبير .. شعره ..

التيار الوصفى :

وهذا التيار بارز في شعر أبي شادي ، فوصفه يتسم بروح جديد ، فهو وصف تصويري يثق ويمعق ولا يكتفي بمظاهر المراثيات بل يحل فيها ويفوص إلى أعماقها... وأحياناً يخلع أحاسيسه عن الطبيعة، ومشاهد الحياة، ويمتزج بالمظاهر الكونية، وقد كثرت في أصافه الألفاظ الجديدة الخلاقة، والتعابير الرشيدة

الموحية ، كالأشعة ، والظلال ، والخريف الحزين ، والعشب الوندان ، والطلل الباكي ، والطير الحزين .. وهو في كل اوصافه يحاول ان يمزج بين احزانه الخاصة واحزان الطبيعة : - قفي قصيدته « اوراق الخريف » يقول لها : -

هل كان نثرٌك غير إيدانٍ بعمرٍ قد تقضى  
هل كنتِ إلّا رمزَ أحلامٍ تُفَضِّنُ اليومَ نفُضا  
مصفرة شأن الممات بجمرة تحكي النجيع.

التيار الوطني والقومي :

وهذا التيار في شعر أبي شادي قليل ولكنه مع ذلك سجل كثير من احداثنا القومية والوطنية بل كان يحس في وقت مبكر احساساً محددا بالامة العربية وتضامنها والروابط العميقة التي توحد مشاعرها واهدافها .

التيار العلمي والفلسفي :

وهذا التيار يمكن ان نطلق عليه تيار التأمل .. التأمل بالمعنى العام .. حتى نستطيع ان ندخل تحت هذا التيار ، الشعر العلمي والفلسفي والصوفي .

ولا شك ان دراسات ابي شادي العلمية والطبية ادهفت نفسه وأمدته بكثير من المعاني المبتكرة والتأملات العميقة ، وقد امتاز شعره العلمي بنضارة وخصوصية كان يفتقدها عادة امثال هذا الشعر ، وكانت تقوده تأملاته الى الحيرة والتساؤل فكان يصيح احياناً :

ما الخلقُ ما هذه الدنيا ومنشؤها ما الفكر ما الجوهر الباقي وما المدم ؟  
مسائل هي للأحقاب باقية كما سيبقي الردى والشك والألم



وقد ادخل في شعرنا المعاصر كثيراً من التعبيرات العلمية والمعاني الفلسفية والتأملات الصوفية واطلقها في رشاقة ورهافة حس وتستطيع ان تقف على ذلك من قصائده « ضمير الخالق » و « الأيمان » « واشعة الظلام » « والسعادة » « والمجهر » « والدنيا » « والرؤيا » « والشكوك » وهي جميعاً في موسوعته الشعرية « الشفق الباكي » وديوانه « الكائن الثاني » ذورة شعره العلمي .

التيار الوجداني:

وقد أبدع أبو شادي في هذا التيار ابداعاً كبيراً ، بل يكاد شعره يتسم بهذا الميسم الوجداني فظروف حياته واحداث وجدانه قصت عليه ان يتدرج مع الشعراء الرومانسيين في ادبنا العربي المعاصر يتغنون ألهمهم ويصورون تجاربهم الذاتية تصويراً منفصلاً حزيناً .

وقد صدر ابو شادي عن نفسه القلقلة ووجدانه الحزين ، وصور تجاربه في الحب والفشل والحنان، وقد جمع محمد صبحي من شعر ابي شادي مجموعة خاصة سماها « شعر الوجدان » وهي تمثل شعره الوجداني اصدق تمثيل ، وظل الرجل يكتب هذا النوع من الشعر حتى في مهجره في امريكا وقد تنوعت تجاربه الوجدانية تنوعاً كثيراً ، وكان أحياناً يمزج بين الحب وبين مجموعة من الخواطر العلمية ، وأحياناً أخرى يستعرض صورة عارية لامرأة كما في قصيدته « الشلال » .

ولكي تكتمل الصورة الواضحة لشعر ابي شادي ، يجب ان نشير هنا مرة ثانية الى شعره الموضوعي، ويشتمل على شعره القصصي وشعره المسرحي ومطولاته الشعرية او ملاحمه ان جاز لنا ان نسميها ملاحم، لقد ساهم الرجل في هذه المجالات مساهمة تدرجه في صفوف الرواد لهذه الانواع من التعبير مهما كانت قيمة هذه الاعمال من الناحية الفنية .

## القيمة الحقيقية لشعر ابي شادي

لكي ندرك في سهولة ويسر قيمة ابي شادي الشعرية لا بد ان نبرز تجديده بصورة واضحة محددة ، ثم نذكر بعد ذلك العيوب التي اصابته شعره حتى يتكشف القارىء مكان الشاعر من شعرنا الحديث .

اما تجديده فيمكن ابرازها في هذه النقاط :

أولا : مزجه بين لغة الشعر ولغة العلم في انفعال وجداني وخصوصية .

ثانيا : محاولاته الكثيرة للتجديد، فقد نظم الشعر المرسل والشعر الحر الذي يلتزم بحرا واحداً ويتحرر من العروض التقليدي ( راجع قصيدة الفنان ) ص ٥١٥ و « منون الفيلسوف » ص ٦٢٠ ، من الشفق الباكي .

ثالثا : حاول تنويع البحور في القصيدة الواحدة وكذلك نوع في القوافي و اضاف بعض الأوزان الجديدة ( راجع قصيدة يا أمل ص ٨١٩ من الشفق الباكي ) واستخدم مجازىء البحور بصورة جميلة ، واعتمد على تفعيلات لا تخضع لقواعد العروض .

رابعا : ادخل على شعرنا المعاصر كثيرا من المترجمات الشعرية ، وامتلأ قاموسه الشعري بالفاظ:النور،والظلال،والاضواء،والاشعة - وقد سماه خليل مطران شاعر النور والظلال - وحفلت دواوينه بالاساطير الاغريقية والانماء الاعجمية التي استخدمها في غير تهييب ، وطوع اللغة العربية لأغراض العلم واهداف الانسانية والاساليب الجديدة. وفي قصائده «المهر» « والهيكل » «والطبيب ومتاعبه » نلمح هذه الوثبات الذهنية المتفوقة .

خامساً : يمكن ان نقرر ان ابا شادي تميز بالطلاقة الفنية وحرية تناول ،  
وهذه الميزة التي قادته الى السهولة واليسر وعدم التهيب ، فكتب  
كثيراً ولذلك يعد من الشعراء المكثرين .

أما عيوبه فتقودنا اليها هذه الميزة الاخيرة وهي الإكثار وعدم التهيب .

وأول هذه العيوب ، في رأيي ، هي عدم احتضان تجاربه ، وهذا عيب عام  
يحتاج الى دراسة مستأنية في عملية الخلق الشعري نفسها ، وكيف كان يدع  
ابو شادي قصائده . ولكنني من مصاحبي الطويلة لشعر ابي شادي احسست  
خلو معظم شعره من التركيز الفني ، وبخيل . الى ان الرجل بسبب ظروفه النفسية  
غير العادية واضطراب اعصابه فقد القدرة على التركيز ، ولهذا كان يطلق  
لخواطره العنان ويعبر عن تجاربه بسرعة ولا يعود اليها بالثقيف والتهذيب ،  
ويبدو لي ان الرجل فقد في رحلة الحياة المضنية ، الاحساس المرهف الذي  
يدرك النسب الدقيقة والعلاقات الخفية بين الالفاظ والمعاني ، وهذا العيب  
هو الذي اصاب بعض تراكيبه الشعرية بالقلق ، وجعل بعض الفاظه تبدو  
مستوفزة او ذائبة . وافقد بعض قصائده روح الشعر .. هذا الروح الخفي  
العميق الذي يسرى في القصيد ويكسبه التأثير في النفوس والقلوب ..

ولكن مع ذلك نجد في شعر ابي شادي كثيراً من التجارب الناضجة  
الجميلة الموحية التي تضمن لشعره الخلود .

أحمد زكي ابو شادي رائد تيار أبولو

وبعد . فقد آن لنا ان نقرر ان القيمة الحقيقية لابي شادي في أنه فائد تيار  
جديد في شعرنا العربي المعاصر .

لقد قاد البارودي تيار البحث .. وقد شكري والعقاد والمازني تيار التجديد . وقاد احمد زكي أبو شادي تيار أبولو .

فالرجل بحكم ثقافته الواسعة وظروف حياته وانتاجه الطويل يمثل طوراً من اطوار تيار ابولو وهو الذي بلور التيار في عام ١٩٣٢ وانشأ جمعية ابولو الشعرية واصدر لها مجلة شعرية ( سبتمبر سنة ١٩٣٢ - ديسمبر سنة ١٩٣٤ ) غنى على صفحاتها كثيراً من الشعراء في مصر وفي كل اجزاء الامة العربية ، في المهجر .. لقد انفق من ماله ووقته وجهده الكثير على النهضة الشعرية ، واشاع كثيراً من قيمته النقدية وسدد خطوات كثير من الشعراء واتاح لهم ان يأخذوا حظهم من الشهرة والمجد . ويكفي ان نذكر ان من هذا التيار شعراء امثال علي محمود طه وابراهيم ناجي وحسن كامل الصيرفي وصالح جودت وابو القاسم الشابي ومحمود حسن اسماعيل ومحمد عبد المعطي الهمشري وجيلة العلالي وغيرهم من الشعراء الذين تألقوا في سماء شعرنا العربي الحديث .

ومن الجحود ان ينكر أحد أن أباشادي ساهم بقسط كبير في زيادة هذا التيار وأسدى هؤلاء الشعراء الكثير .

ملاحح تيار أبولو :

وما دمنّا قد وصلنا الى تيار أبولو فلا بد ان نقف عنده بعض الشيء، حتى نتبين ملامحه . لقد كانت الحياة الادبية تستخدم بتبارين كبيرين : تيار البحث، الذي يمثله البارودي، والذي امتد في شوقي وحافظ وعبد المطلب .. وتيار التجديد الذي يصارع التيار الاول في عنف وضراوة ويشر بقمم جديدة تتلاءم مع ثقافته واتجاهاته . وكان على رأس هذا التيار العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري .. وكان هذان التياران يستأثران بالمجد الادبي ونباهة الذكر .

وكانت ظروف المجتمع المصري مضطربة قاسية يلفها رداء اسود وتنعقد في سمائها سحب كثيفة معتمة. في هذه الظروف كان يتفتح جيل ثالث من الشبان ، هو جيل أبولو .. رأوا أنفسهم ظلالاً حائرة ضالة ، وأحسوا الضياع والهزيمة والأسى فانعزلوا وتشاءموا وحنوا إلى الموت وراحوا يتأملون الحياة ويتساءلون عن المصير ، وهربوا إلى احضان الطبيعة ، ولادوا بأحضان المرأة ، وراحوا يصفون كل هذه المعاني في شعرهم ، وقد ملأوا الحياة الأدبية عطراً منعشاً عميقاً ، وحدثوا تياراً جديداً ، وظهرت دعوتهم الجديدة واضحة قوية .

فهم يدعون إلى الوحدة العضوية ويدعون إلى التحرر البياني والطلاقة والفنية واستقلال الشخصية الأدبية والابتداع والابتكار، والبعد عن الأغراض والمناسبات التي استنفذت معظم الشعر العربي. دعوا إلى كل هذا وحققوه في نتاجهم الشعري ، فخرج إلى الحياة يحمل هذه الطلاقة الفنية والتحرر البياني ويمتزج بالوجدان العميق ، ويتسم بالجرأة في طرُقِ الموضوعات الغربية ، ويتناول الأشياء البسيطة المألوفة بروح إنساني وقلب مفعم بالفن فيحيلها إلى تجارب شعرية غزيرة الرؤى عميقة الأحلام ، لها قيمة الظواهر العلوية ، والروائع الكونية ، وامتلاً شعرهم بالاطياف والظلال والأشعة والألوان والانغام والحنان المزاهر ، وهمس الأودية السحرية ، واتسعت مضامينهم لشعر الوجدان وشعر الطبيعة والشعر الصوفي وشعر العلم ، وتحررت قلوبهم من الجمود .

ويعتينا هنا أن نشير إلى وضوح النزعة العاطفية في شعرهم ، والحنين الدائم إلى مواطن الذكريات والمبالغة في تصوير التجربة الذاتية ، ووصف الهواجس الداخلية ونبضات الوجدان في أسلوب حار ينبض بالحياة ؛ ويبدو أن هذا الطابع الرومانسي لم يستنفد كل ما في نفوسهم من حزن والم وحنين وطموح مضطهد ، فلجأوا إلى التعبير الرمزي يشعلون به ما في نفوسهم من

مناطق مظلمة ويسهبون غورها ليوحوا للقارئ بما يعتمل فيها عن طريق الرمز ونقل العدوى .

وظلام الحياة السياسية وقسوتها ورتابة الآلام هي التي أصابتهم بهذا الملل فراحوا يلتمسون في الالهام الرمزي شيئاً ينفضون به عن انفسهم غبار هذا الداء الوبيل ، وتحولت الألفاظ عندهم الى شيء جديد له لون ومذاق. ويمكن ان نشير الى قصيدة « بحر الساء » لابي شادي « والاشواق النائمة » للشابي ، الذي يستخدم في هذه القصيدة كثيرأمن التعبيرات الرمزية ، فهو فؤاد ضائع ظامئ الى رحيق الوجود، وهو عطريرف في الفجر الموشج بالاحلام، يشرب الضوء ، وهو اوراق ذابلة وضباب من الشذا ، وسحاب من الرؤى ، وهو في النهاية تراب ينحدر الى صميم الوادي ، وجميع الفاظه في هذه القصيدة رقيقة موحية وكأنها مفسولة في نهر أثري شفاف ، فالاماني تغرق في الدمع والانشيد يأكل اللهب مسراتها، والورود نموت في قبضة الاشواك، والضياء يمانق العالم والضوء يشرب، الى آخر هذه التعبيرات التي تسبح في جو رمزي مُمُوح .

\* \* \*

هذه هي ملامح سرية لتبار أبولو ولا شك ان « احمد زكي ابو شادي » بثقافته الواسعة ، وتجاربه العميقة ، وحياته الحافلة الحصة المنتجة ، وروحه المتسامح ونزعة التعاونية الخيرة ، قد أثمر في شعراء أبولو ووجههم الى المنابع الثقافية الجديدة .

واذا كان البارودي قد قاد حركة البعث في شعرنا المعاصر ، والمازني والعقاد وشكري قد قادوا حركة التجديد، فان أبا شادي قد قاد تيار أبولو . وهو بهذا كفيل بأن يدخل تاريخنا الادبي كرائد من رواد الشعر الحديث .

نمازج من شِعره





ستكون خطتنا في المختارات الشعرية التي ننتخبها من شعر أبي شادي متمشية مع مراحل عمره ومع خطته هو في اصدار دواوينه ، بمعنى ان اختيارنا للقصائد سيتم حسب صدور الدواوين كما قرر هو ، حتى يتمكن القارئ من الوقوف على المستويات الشعرية المختلفة التي كان عليها الشاعر ، وحتى يدرك في سهولة ويسر تطوره الشعري ويلمح مكانه من شعرنا الحديث .

وقد نحتاج إلى اللقاء بعض الأضواء الكاشفة على هذه المختارات - ان احتاجت الى ذلك - لتكون بمثابة إطار يبرز قسما الص الشعرية ويؤمى إلى دالاتها العميقة .

وأول هذه المختارات ستكون من ديوان « انداء النجر » الذي يقول ابو شادي انه صدر في عام ١٩١٠ ولن تغلب رأينا في تاريخ صدور هذا الديوان .

وقد تميز شعر ابي شادي في هذه المرحلة بنزعة العاطفية الحزينة وهروبه إلى عالم الطبيعة يبشها أحزان نفسه ، ويصدر عن عاطفته الملتبحة المتفجرة .

### القطعة اليتيمة (١)

جلستُ قربي كأن قربي	عزاءَ احساسك اليتيم
وكم تأملتُ في حُنُوتِي	عليك في صمتك الأليم
فقدتُ أمًا وما فقدنا	لكنَّ في عزلي افتقادُ
كأنني ناكِلُ شبايِي	وسائد الصمت من حدادُ
احببت في وحدتي عزاء	مُنذُ لم أنله من الجمالُ
قد أسرفَ الحسنُ كبرياءُ	أو برَّه بشبه المحالُ
فلتغنمي انت من حناني	ما شئت يا طفلة الغرامُ
فالجب جانٍ وأيُّ جانٍ	والحبُّ كم يَتَمَّ الأنامُ

\* \* \*

والمقطوعة صادقة النبرة ، جياشة بالمعاني الحزينة ، وان ظهرت عليها دلائل الضعف اللغوي والقلق في التراكيب ، ولكنها تعطينا صورة واضحة عن المرارة التي رسبت في اعماق الشاعر من ظروف حياته واخفاقه في حبه الأول ، بل يشير صراحة الى 'يتمه ووازن بين يتم القطعة وبينه ، فهو يتيم في حبه . مات حبه الأول وخلِّف له جروحاً عميقة في قلبه ، وانفصال والده عن والدته سبب له 'يتماً آخر يحسه في عزلته رغم انه لم يفقد أمه بالموت ، وإنما هي في احساسه مفقودة .

---

(١) انداء الفجر ص ٧١ ( طبعة ثانية سنة ١٩٣٤ ) .

ويشعر ابو شادي شعوراً حاداً بمأساة حياته ، ويضنيه التفكير المتواصل ، ويرهق نفسه الحساسة الشاعرة فيلجأ الى مظاهر الطبيعة يمزج فيها ويخلع عليها أحاسيسه ومشاعره ؛ والقصيدة التالية تصور هذه المعاني :

### وحي المطر<sup>(١)</sup>

أنا ظاميءٌ، والكلُّ حَوَليَ ظامىٌ      فتقطري يا سحبُ كيف حننتِ  
هذي الغصونُ تناولتُ ما خصها      ولبثتُ في ظمئي لوجيكِ انتِ  
تساقطُ القطراتُ من يدِ زهرةٍ      لِيَدِ لأُخْرِى والجَميعُ سَكَرى  
وأنا الوحيدُ فأين أين حبيبتى      حتى تردَّ جَوَىً وتُطْفِئَ ناراً  
هَلَاً بعثتِ إلى دفينِ شعورها      برسالةِ الحبِّ الوفيِّ الباكي  
فلعلها تأتي وتُنثرُ عطفها      كالقطرِ فوق الزهرِ والأشواك

فالشاعر يحسَّ يجذب روحه وظمأ لا ينتهي فيهتف بالسحب ان تهطل  
أمطاراً تطفيء ناره وهو يشعر بالوحشة بين هذا الجو الغائم المطير ، فيربط بين  
هذا الجو وجو نفسه الغائم الموحش .

\*\*\*

وهناك أبيات تصور تأملاته بعنوان :

### الساعة<sup>(٢)</sup>

نَمْنًا جميعاً وأنتِ يقظانه      وقد غَفَلْنَا ولستِ غفلانَه  
بَلْ كلنا فيه روحُ غفلته      كَفَيْلُوفٍ يعافُ إنسانَه  
كم دقة منكِ جدُّ منذرة      فما انتفعنا ودمتِ لهفانَه  
وهي تأملات يمزج فيها الشاعرُ بين مشاهدته الحسية للساعة وافكاره ،  
وتقوده هذه التأملات الى التفلسف والحكمة .

(١) أنداء الفجر ص ٧١ (٢) المصدر السابق ص ٦٨ .

وفي ديوان « زينب » الذي صدر في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، نرى شاعرنا لا يزال واقعاً تحت تأثير الصدمة الأولى - رغم سفره الى إنجلترا وتجارب الكثيره ، ودراساته المتعددة في هذه الأثناء - فيكاد يكون هذا الديوان مقطوعات ذاتية عاطفية وقف معظمه على تجربة حبه الأول. ولا بد أن نختار هنا قصيدتين اشرنا اليهما في القسم الأول عندما كنا ندرس حياة الشاعر وشعره لأنهما من معالم شعره في هذه المرحلة . اما القصيدة الأولى فهي :

### عرس الماتم (١)

عذبة أنت في الحفاء وفي الجبه	رر وفي الهجر يا أغاني الظلام
بلغني العاشق الأمين على العدم	رر شقاء لقلبه المستهام
وارقائي أدمعي فحسني عزاء	ان يسر الحبيب من إسلامي
ويزفّ الجمال جنّة قلبي	ضاحكاً من فؤادي المترامي
زاعماً انني به غير أهل	وكذا يرتضي أمير خصامي
يا حياي ! ويا منارة لبني	كيف أنسيت أشوق الأحلام
كيف أنسيت يا غرامي ولوعي	هازناً من تقلب الأيام ؟
ألثمّ النور في دُعاب إذا ما	أقبل الفجر من رسول الغرام
واخال الأزهار في روض ببق	تتسامى لحسنك البسام
ويحيي الأصيل ينشر تبراً	هو للشعر من نبالك رامي
ويحيي المساء بالوحي صدقا	من أغاريد فتحت في منامي
كيف أنسيت يا ربيبة عمري	كيف أنسيت - في غرور - هيامي
هل قضى الحب من غذاء لروحي	غير مرآك أو أبى لي مدامي ؟

(١) احمد زكي ابو شادي : زينب ص ١٣ ( طبعة سنة ١٩٢٤ .

إيه يا « زين » آفل من شباي إيه يا نجيم قاتل من ظلامي  
 افرحي العمر واسعدي دون قربي واذكري في الغداة معنى أوامي  
 وأنا المذنب الغفور وحسي دمة منك سوف تروي عظامي

\* \* \*

أما القصيدة الثاية فتمثل فترة من عذابه عندما اقتضته ظروف حياته  
 ان يهاجر من وطنه للمرة الاولى الى إنجلترا وفيها يمزج بين آلامه وظروف  
 غربته وحبه ، وهي :

#### لغقات الغريب<sup>(١)</sup>

عذابي عذاب النفي في الجبل الحاي	ألا في سبيل الحب والأمل العالي
اكفكف دمعي في اشعة آصال <sup>(٢)</sup>	شريداً وحيداً للطبيعة موئلي
ولم يبق غير الذكر والمثل العالي	وأندب عمري قد تولّى أعزّه
خلقت لأعطي الدهر حكمة أجيال	كأنني لما لاقيت من فرط شقوتي
وأوذيت من أجل الوفاء ومن آل	جُزيت على طهري بتغريب مهجتي
على الدين والدنيا على الشرف البالي	فبنت صبيّاً في رجولة ناقم
ويحملني رفقا إلى الحرم العالي	يحن إلى البحر يخفق مآؤه
إلى أمة من خلقها كل إجلال	إلى دولة في أرضها العلم ثابت
شفائي من داء بقلبي قتال	إلى الوطن المحيي الموات فلم يصب
وحولي ضباب العيش لا الأمل الحاي	أحرم من شمس وأحسب هائنا
ستحيا على رغم الدسائس أفضالي	فيا عصابة شامت فنائي واسرفت

(١) المصدر السابق ص ١٥ . (٢) جمع أصيل .

ويذكرني قومي ويعرفني الهوى  
عرفتم لصوصَ حبٍّ والحبُّ لم يكنْ  
ويا شمسِ جناتِ النعيمِ لحاطري  
سلوتِ فؤادي في غرامكِ طائما  
سأحيا وأفنى فيكِ اصدق عاشق  
وقد تنصف الأيامِ نفسي وهمي  
وألثمُ ثغراً ساغَ لي منك 'بخله'  
فتنقم لي العلياءُ والزمنُ السَّالي  
غفوراً ولم تشجيه نكبةُ أمثالي  
حجبت ولكنْ ما سناك لإغفالِ  
وما كان عبدٌ في غرامكِ بالسَّالي  
أصابَ به الزلزالُ قُدوةَ أبطالِ  
فأدفن أحزاني وأطرح أنفالي  
كلثمُ البخيل الدُّرَّ في كف لآلٍ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وظلت ذكريات حبه الأول نابضة قوية . وقد كتب في هذا الديوان قصيدة عن :

#### ذكرى الحب الأول<sup>(٢)</sup>

سلامَ لقاءٍ بعد 'فرقة' اعوام  
تقلبُ الدنيا بحربٍ وثورة  
فيا منزع الوحي الذي ذقتُ حلوه  
أخاف على نفسي اللقاء كعابدي  
فحسي من الأيامِ وجدي ولوعتي  
رحلتُ رحيل الورْدِ قبل اوانه  
وقبلَ شوق من فؤاد الفتى الظامي  
وما زلتِ سُلطاناً عليه بأحكامِ  
صبياءِ حَفَظتِ الدهر مطلعَ إلهامي  
يخافُ دقَّ الفجرِ والمشرق الدامي<sup>(٣)</sup>  
صلاحي حزينَ العمر 'توجع' أنغامي  
الى المغرب القاصي ضحيةً أسقامي<sup>(٤)</sup>

(١) بائع اللؤلؤ . (٢) زينب ص ٢٢ .

(٣) صورة شروق الشمس في احساس الشاعر دامية لانها تثير احزانه ، وتنكأ جروحہ .

(٤) اشارة الى رحيله الى الجزائر سنة ١٩١٢ بعد صدمته الأولى التي اسبغت بالهرج .

وَمِثْلِي مِنَ الْحَبِّ الزَّكِيِّ سَلَافَةٌ  
فَكَتْتُ عَلَى الذِّكْرِ شَجِيًّا وَهَائِبًا  
إِذَا خَفَقَ الرُّطْبُ النَّسِيمَ حَسْبَتُهُ  
فِيَا ( زَيْنَ ) إِحْلَامِي وَيَا مَهْدَ نَعْمَتِي  
وَسِيَانِ جُدْتُ الْيَوْمَ عَفْوًا وَقُوَّةً  
فَمَنْكَ عَرَفْتُ الشَّعْرَ وَالْحَسْنَ وَالْهُوَى  
أَعِيشْ كَعِيشِ النَّحْلِ نَفْعًا لِّغَيْرِهِ  
تَبْتُ مِنَ الْآلَامِ أَعَذَّبَ آلَامِي  
كَلَامُ أَزْهَارٍ وَرَاصِدِ أَجْرَامِ  
رَسُولُ الْهُوَى الْبَاكِي الْغَفُورُ لَا تَامِي  
أُنْسَاكَ وَالنَّعْمَى رَهِيْنَةُ إِحْلَامِي  
أَوْ أَزْدَدْتُ تَيْبًا عُدَّ شَاهِدُ إِجْرَامِي  
وَمَنْ حَقَّكَ الْبَاقِي الْجَلَالُ وَأَعْظَامِي  
وَأَعَشَّقْتُ شَهْدَا أَنْتَ مَظْهَرُ السَّامِي

\* \* \*

... لم تستطع أحزان' الشاعر الخاصة - وإن استبدت به - أن تنسيه  
وطنه وقومه فأسهم بشعره في تسجيل كثير من أحداث بلاده ووقف عند  
معالمها وأبطالها ودوانه ' مصريات ' الصادر في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٤ يجمع  
بين دفتيه مجموعة من القصائد والمقطوعات الوطنية والقومية .

وله قصيدة وجهها الى الشاعر الكبير احمد شوقي نلح فيها مدى غرامه  
بوطنه وحبه لشعر شوقي الذي خلده . وهذه القصيدة بعنوان :

الى امير الشعر : احمد شوقي بك<sup>(١)</sup>

( في عيد ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٣ )

اليومُ يَوْمُكَ انْ قَبْلَتْ دَعَاها وَنَظَمْتَ مِنْ غُورِ الْبَيَانِ مَنَاهَا  
مَصْرَ الْتِي لَمْ تَلْقَ مِنْ شِعْرَائِها بِرَّأْ كَبْرُكَ مَا أَضَاعَ هَوَاهَا  
فَوَهَبَتْهَا النَّصْحَ الثَّمِينَ فَلَانْدَا وَنَشَرْتَ فِي سَيَرِ الْجَلَالِ شَذَاهَا  
وَمَدَحَتْهَا مَدْحَ الثَّقِيِّ لَدِينِها وَعَبَدْتَ نَضْرَتَهَا وَطَيْبَ ثَرَاهَا

(١) مصريات ص ٤٤ .

لولاك لم تعرف مناجمُ حسنِها  
فإذا ذُكرتَ فانت أولُ فائز  
وبنى لها الآدابُ شاعرة الذرى  
وأقام بالأخلاق آية شعره  
وإذا وثبت ملياً لندائها  
ومن استخار المجد من تاريخها  
فتشير من هم الشيوخ كتابها  
وترد عن أنس الوجود وجومها  
وعن التلال السافرات وجوهها  
إلا عليك فانت كاشفُ سرها  
انت الذي تشتاق كلُّ يتيمة  
انت الذي وشى الرياض خياله  
انت الذي وهب الطبيعة شعره  
أنت الذي وفقى فريد جماله  
فإذا مشيت تلفتت أرهاها  
وهوت بنات الشمس من عليها  
سبحان من خلق البلاغة آية  
أنسى وجديت فانت صاحب دولة  
وقف (ابن هانيء) حاجباً لكنوزها  
فأعد (لمصر) كل ما استجمعه

أبدأ ، ولا شعر العلى لولاها  
ذَكَى بِشَعْلَتِهِ فَحُومُ دَجَاهَا  
فَكَانَ بِذَكَائِهِ أَغْنَاهَا  
وَبِخَالِدَاتِ الْوَعْظِ مَا قَوَاهَا  
فَلَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يُعَزُّ نَدَاهَا  
عَلِمَا يَلُوحُ بِهِ لِمَنْ وَالَاهَا  
وَمِنَ الشَّبَابِ مُوَاجِهِينَ عِدَاهَا  
فَتَعَانِقُ «النَّيْلَ» الْمُقْبِلَ فَاهَا  
السَّائِرَاتِ حَلِيَّهَا وَغْنَاهَا  
لِلنَّاهِيْنَ وَشَارِحُ مَعْنَاهَا  
فِي الْحَسَنِ إِنْ يُغْفَرُ بِهَا وَبَرَاهَا  
وَأَدَامَ بَهْجَتَهَا وَهَزْ رُبَاهَا  
فَبَدَتْ يُثْبِلُ شِعْرَهُ مَرَاهَا  
غَزَلًا وَرَقْصًا فِي نَسِيبِ سَنَاهَا  
وَحَنَّتْ رُؤُوسًا قَدَّرَتْ مَوْلَاهَا  
شَغَفًا تَقْبَلُ مِنْ يُعْدُّ أَبَاهَا  
مِنْ آيِ قُدْرَتِهِ ، وَمَنْ سَوَاهَا  
يَجْنُودَهَا وَبَنُودَهَا وَعِلَاهَا  
وَجُنَّا (المعري) مُؤَمَّنًا بِحِجَاهَا  
مِنْ وَحْيِ جَنْبِهَا وَنَفْعِ هَوَاهَا<sup>(١)</sup>

★ ★ ★

(١) القصيدة طويلة وهذه الأبيات مقتطفة منها .



وأثبت الشاعر مقدرة مبكرة في الشعر الوصفي، وتختلف أوصافه كما قلنا عن الوصف التقليدي فأوصافه عميقة تتغلغل إلى داخل الموصوف وتصوره تصويراً دقيقاً حتى تحس وتراه وتحل فيه وسنختار من ديوانه «اثنين ورتين»<sup>(١)</sup> الصادر في عام ١٩٢٥ قصيدة وجهها إلى صديقه الشاعر خليل مطران تذكراً لزيارته له في (حلاوان) ، وهي قصيدة طويلة بلغت مائة وثمانية أبيات. التزم فيها الشاعر قافية واحدة ، وهي تدل على قدرة الشاعر البيانية ودقته في الوصف التحليلي ، وعمق احساسه بمظاهر الطبيعة وتبعمها في الضحى الضاحك وفي الفجر الساكن ، وعند الأصيل وفي الغروب وفي المساء عندما يزحف الظلام على الكون وتكاد تحس معه قطرات الندى وهي تتساقط على الأوراق ، وتشعر بهجة لمولد الشمس . وفي القصيدة صور زاهية للتغزل السامق تنعكس على ثماره اشعة الشمس ، ولأشجار الكافور وهي تتأيل ، وعندما يصل الشاعر إلى الأصيل تحس معه بالوحشة والغربة ، فقد خلع الغرام عليه صفة العاشق ودلال المعشوق ، ومن خلال الأشعة الصفراء يرقب الشاعر النيل وقد تحولت مياهه إلى ذهب ، تحرس شاطئيه آلاف النخلات وكأنها جيش من اعوانه . ويرسم لنا صورة دقيقة موجية للمساء . وهذه هي القصيدة بأكملها فهي من روائع الشعر الوصفي في شعرنا المعاصر :

#### الحريف في حلاوان<sup>(٢)</sup>

هذا الجمال وذاك سحر بيانه	فاشرب كؤوس الحسن من احسانه
وتلقُ إلهام الطبيعة شارحاً	سر الوجود يشف عن قرآنه
حلو من العيش اللذيذ سناؤه	لا غرو ان يهْدَى إلى «حُلوانه»
بلد به خلع الربيع خريفه	وأقام صداً على أفنانه

(١) اثنين ورتين ص ٢٧ وما بعدها ( طبعة سنة ١٩٢٥ ) .  
(٢) يشير إلى حلاوان وهي ضاحية بجوار القاهرة تمتاز بهوائها الجاف وهي من اجل مصحات الشرق.

من نفح « آذار » ومن « نيسانه »  
والشهب' والاقار من سكانه  
واحشها ران' على جدرانها  
واللطف والإناس من اعيانه  
وطهارة سطعت على ريمانه  
كالهيكل المعتر من أوثانه  
والناسكون الى رؤوس رعانه<sup>(١)</sup>  
مستكرمين البز من غفرانه

يسقيك إكسیر الحياة هواؤه  
الشمس قد تخذته عاصمة لها  
رصدوا به<sup>(٢)</sup> وهج الكواكب خلصة  
يختاره الاعيان خير مثابة  
شافت' به حق الحجارة رونقا  
لو كانت في عصر مضى لرأيت  
يفيد' الحجاج الى عيون سهوله  
متباركين ولائمين ترابه

\* \* \*

نقيم الصلاة لروعة من شأنه  
في الوعظ يفصح منتهى كتمان  
وكان اصل الغيب في أكفانه  
اضاعف هذا الجود من اخذانه  
سيرا توارى التبر' خلف حسانه  
وهوائه يضحكن من إنسانيه  
ويحمن' حق الطير في ألحانه  
حق بهم' الصبح في ركبانه  
وجميعهم للدهر من ولدانه  
في بره الثاني وفي عدوانه  
ويحول' معتزاً بلع سنانه

بتكر معي للفجر قبل أوانيه  
غلب السكون هدى عليه كأنما  
وكان فهم الغيب رهن سكونه  
قم حينه قبل القوات وان يعد  
انظر الى الدر' الرقيق من الندى  
انظر تغزل مائيه ونباته  
يهتز' حتى الصخر من طرب لها  
انظر فاهي غير غفلة حارس  
ركبوا الأثير من السنين ألوفها  
من كل بسام الشعاع موفق  
يهدي من الطب' العتيق مواته

(١) اشارة الى المرصد الحكومي الموجود بجوان.

(٢) المراد قمة الجبل .

وتقود عسكره ( ذكاء<sup>(١)</sup> ) كأنها « جندرك<sup>(٢)</sup> » فارسة<sup>(٣)</sup> على فرسانه

\* \* \*

هجم الصباح فكان أول هارب  
واهتز من زمر النخيل طويلها  
وتمايل « الكافور » شكر معوض  
وأدار زهر<sup>(١)</sup> ( الياسمين ) كؤوسه  
نثرت لآلئه الزكية مثلها  
ومن الورود النار<sup>(٢)</sup> فوق خدوده  
وتنازعت صور الوجود فبعضها  
تشب الحياة به فلو حيا الحيَا  
سكرى به الدنيا وأبلغ سكرها  
البلبل المحكي<sup>(٣)</sup> ينشد شعره  
لو حارل الشعراء<sup>(٤)</sup> أبلغ وصفهم  
ومن الأشعة ما تدفق بلسما  
ومن المنازل للشموس منازل  
هي وقفة تشفي الفؤاد ونظرة

\* \* \*

خل<sup>(١)</sup> الضحى الضحك في تبيانها يلهو ويلعب في مدى ميدانه

(١) الشمس

(٢) اسم حجر شرقية بيضاء اللون

(٣) المراد في استاره وأجنان جمع جَنَّان وهو الثوب والليل

ويذيب كل مذهب ومفضض  
ويرش نوار السماء بنوره  
ويحول الكبريت فضوراً حلاً  
وتعال ترتقب الاصيل فإن  
خلع الغرام عليه صفرة عاشق  
قف وارقب الغز التلال يزينها  
قف وارقب النيل السعيد تحاله  
عبث الاصيل به فحول فضة  
وكان آلاف النخيل تحده  
وإذا قدمت الى « الغدير » حبيته  
غشى الحرير به فصفق فوقه

من قُصر عبيده ومن قضائه  
وسحابها الرضاء في بستانه  
من سحر طلعتة ولمع دهانه  
أصل الغروب فجاء في عنوانه  
ودلال معشوق وصفو أمانه  
تنويق هذا النور من الوانه  
من زئبق للسعد في ميزانه  
وسط اللجين<sup>(١)</sup> به على عقبان  
من شاطئ الجيش من أعوانه  
والنيل ساعده أحب بنانه  
(صفصافه) وزهت معاطف بانه

\* \* \*

يا للغروب ، ونظرة لمكانه  
آن الاوان فأني لم تقف  
وتقي من التحنات قبلة نوره  
حتى اذا خلعت عليه ردامها  
وأشار بالتوديع حارس خدرها  
ولطالما كان الوداع بقبلة  
لم يرض فرعون لباب غروبها

أهدت لنا الأشجان من اشجانه  
أسفاً وشوقاً منه عند أوانه  
وتغص بالآلام من نيرانه  
لم يخش عاشقها على هجرانه  
فتريده قبلاً على نكرانه  
أشهى وابدع من وداع لسانه  
هرميته إلا حيلة لقرانه

---

(١) الفضة

هل كان ذاك الحذر إلا عرشه  
 هل موقف ذو وحشة وجلالة  
 تحتال بينها موردة السنى  
 غابت ومن كل المشاعر هاتف  
 وعلى السماء رداؤها متشبع  
 ما بين مرجان وقان من دم  
 تحذت من الاشكال كل مروع  
 وكأنما القمر المجد وراءها  
 كم خصها فرعون من ملكوته

\* \* \*

وأتى المساء يحفل متتابع  
 زحفت له فرق تعلمت الوغى  
 تقناده الثارات وهو مُسَائِلٌ  
 وله المصاييح العداد تملقت  
 هجم الهجوم المستميت لأجله  
 إلا حقيقاً من غصون روعت  
 وتحجبت منه الشמוש بدورها  
 وثبت كتائبه فلما أنصفت  
 بسمت له الاملاك بين خائل  
 وأضافه الليل الطروب وسره  
 ما بين واسع حلمه وسخائه  
 وكذا البقاء يطيب من حدائقه  
 لا المال يغنيه بفقر حوره

ملأ الفضاء بخيله ودخاينه  
 طول الوجود على مدى ازمانه  
 «ابن الذي الهرمان من بنيانه»  
 بسلاسل وزهت بأيدي جانه  
 من دون صوت معلن لطفانه  
 فحدا بها حاد الى خذلانه  
 وتستر العشاق في إيوانه  
 شهداءها ترك الهوى لغبانه  
 وقضت طهارته على شيطانه  
 والحب لم يُفطر على عصيانه  
 وسير نسمة وعزف قيانته  
 فالمرء متعة قلبه وعيانه  
 او يستتم به على نقصانه

لو ذاق نشوانُ سعادةِ عمره      فالحسنُ فيأض على نشوانه  
متع شعورك بالحياة فلما      للحي أنسُ جلَّ عن جُئانه

\* \* \*

(مطرانُ) لو نزعت اليك بدائعي      فالشعر نزع الى مطرانه  
اهديتها وبكل لفظٍ مُنبرٍ      لمواظفي وهوى الى أمّانه  
وجعلتها تذكّار وحيك زائري      فأجز لها الإكرام من عرفانه

\* \* \*

واستحصد الشاعر وتنوعت شاعريته وبدأ يستجيب لقراءاته العلمية والأدبية ، ويستنزل من تجاربه في هذا الباب صوراً كثيرة يطوعها للغة الشعر . ومن القصائد العلمية ، أو بمعنى أدق التي تدور حول معان علمية ، قصيدة ناجي فيها « الميكروسكوب » وسماه : « المجهر » رفيقي الكشف» وفي ( الشفق الباكي ) الذي صدر سنة ١٩٢٥ مجموعة من القصائد المتنوعة في مختلف الأغراض والاتجاهات وهذا الديوان — كما اشرنا من قبل — موسوعة شعرية تقفنا على مستويات شتى للشاعر وتعطينا صورة صادقة لشاعريته . ولذلك سنبث عنده بعض الشيء نختار منه بعض القصائد التي تبين لنا ملامح الشاعر ونضججه :

#### المجهر : رفيقي الكشف<sup>(١)</sup>

صَحْبَتُكَ عُمْراً في وفاءٍ ومثمة      فكنتَ لِفَنَتِي ملئهما ولِأفكاري  
فكم من بيان لاح لي منك مُرِشداً      وكُم من معانٍ قد وهبتَ وأسرارِ  
ويُذهِلُ قوماً ان يحسُّكَ شاعرٌ      وما عرفوا فني الدقيق واشعاري

---

(١) الشفق الباكي ص ٣٥٦ .

ففي كل مرّة أيّ لي سؤال ومبحث  
أرى فيك سر العيش والموت مُعلّناً  
ويا ربّ خيطٍ عند جُرثومِ قوّة  
وأخر قد عدّوه بُوساً وشقوة  
فمثلك أستاذٍ لآلِي وخاطري  
ولست جماداً من نحاسٍ وجمع  
إذا قلت كان القول للعقل حجة  
وإن لم تبع حيرت فكراً منقباً

وللغيب نزع الحنين وأوطاري  
مراراً ، وآلام الوجود بتكرار  
تناولت منه الوحي والأمل الساري  
دعاني إلى فحص التعاسة والعار  
وأكبر فنانٍ يُخصّ بالكباري  
من العدسات الهاشكات لأستار  
ولولا كما اعتز الطبيب والداري<sup>(١)</sup>  
وحيناً بمحض الصمت تقص عن واري<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

فيا قوم صفحاً لا تميموا الذي يرى  
وسيانٍ جاءت من صخور كئيبة  
وسياتٍ من شلال نهر 'ممرّ'ٍ  
فذا عالم فيه الفنون 'مشاعة'  
واقراً شق من حقائق مثلها

وينظم ما يلقَى بدائعٍ للقاري  
أو الطوب الزاهي بضاحكٍ أزهار  
أو المجرى الهادي<sup>(٣)</sup> البخيل على الزاري<sup>(٤)</sup>  
وما حيلتي ان كنت اعشق اسفاري  
أصوغ من الآثار أروع آثار

\* \* \*

وفي هذه القصيدة تنجلي نزعة الشاعر العلمية فهو يستلهم « المجر » ويرى  
من خلاله الكائنات والتجارب ، ويرى فيه سر العيش والموت ، ومن خلاله  
يلجح آلام البشرية ويفحص التعاسة والعار ، والجديد في شعر أبي شادي العلمي  
انه ينبض بالوجدان وتحس من خلاله انفعال الشاعر وصدق تجربته .

- 
- (١) الداري : العلم ، والمراد الاشارة الى نفع المجرى في شتى المباحث العلمية .  
(٢) التبع الباطني المفسد ، يقال ورى التبع جوفه أي افسده واكله .  
(٣) أي الهادي، وكذلك بمعنى المرشد . (٤) الزاري : المحقر لشان المجرى .

## أقصى الظنون (١)

وهذه القصيدة من شعر التأمل الذي برع فيه أبو شادي ، فتأملاته  
الفلسفية وأفكاره العلمية التي يستقيها من تجاربه وقراءاته المتعددة كان يصوغها  
صياغة شعرية جميلة موحية ، تخلو من الجفاف ونضوب الماء الذي يصاحب  
هذا اللون من الشعر عند بعض الشعراء ... يقول :

وأقصى الظنون وجودي أصله العدم	ومن عجيب وجودي ليس ينعدم
في ذمة الصامت الماضي البعيد وما	'تحفي العصور' هُدًى هيهات يُغتم
مرّت ملايينها لحجاً كثنائية	وخلقت حيرة كبرى لمن فهموا
ما الخلق ما هذه الدنيا ومنشؤها	ما الفكر؟ ما الجوهر الباقي وما العدم؟
مسائل هي للأحقاب باقية	كما سيبقى الردى والشك والام
أجل فرض لها وهم وأيسره	وهم ، وقد يستوي الدماء والعلم
قنعت من نشأة الدنيا بصورتها	في الذهن كالحلم لولا أنها حلم
وثرّت آنفاً على عقلي وضيعته	بين الظنون التي قد عاقها القلم
وما أبحث سوى تخليد ما نطقت	به الشاعر عن وحي له كليم
أحس أني قرين الوجود وهل	يُغنى الوجود قريناً ليس ينصم
وما حيائي أليست بعضه وبها	من رسمه صور شتى لمن رسموا
من الشعاع ومن هذا الهواء ومن	موج الاثر جرى فيها هوى ودّم

(١) الشفق الباكي ص ٣٠٠ وما بعدها



اذا تأملتُ فالامواج تسعفني  
 كلي شمسٌ من الذرات تربطها  
 عوامل الكون تزجها وتجذبها  
 تمتدُ في مثل قواقِنٍ لعلِّي  
 يكاد يقسم وجداني بأن له  
 جم المناجاة لا يمضيه مستمعٌ  
 فليس ترشده الا مداركه  
 وليس يزعبه موتٌ وليس له  
 وان تغنيتُ فالامواج لي نعمٌ  
 بالعالم الاكبر الاسباب والنظمُ  
 وأعلها بينا ينحلّ يلتئم  
 ويمشق النور ما تهدي ويقسم  
 في الكون ملكاً رحيباً كلّه خَدَمُ  
 لصوت نجواه حتى الصخر والأجم  
 وليس تلهيه أضغاث الألى زعوا  
 غير الحنين لاشباه له علموا

\* \* \*

وهي تجربة شعورية عميقة عاناها كل الذين حاولوا ان يبعثوا في كنه  
 هذا الوجود ما أصله ؟ كيف نشأ أهو قديم ؟ أم محدث ؟ ومن اي السنين  
 بدأ ، وقد حشد الشاعر كثيراً من الالفاظ الجديدة على قاموس الشعر كالجوهر  
 الباقي وموج الاثير ، وانغام الامواج والالتئام والماضي الصامت ، وغيرها من  
 الالفاظ الجديدة ذات الدلالات العميقة ، بالإضافة الى ما فيها من لفئات  
 ذكية تدل على معرفة ابي شادي بكثير من نظريات العلم والفلسفة .

#### عيد العمال<sup>(١)</sup>

اخترقوا عيد الربيع العبيدا  
 وهزأتموا بالامس وهو مُستَحَرٌّ  
 اليوم قدرُ الناس قدرُ كفاية  
 ولبستموا زهر الفخار نضيدا  
 لجهودكم ومقيدٌ تقبيدا  
 واليوم لن يطل الزمان عبدا

(١) الشفق الباكي ص : ٨٤ وما بعدها .

انتم بنو الشرف العظيم بنفعمكم  
 التُّربُ أنتم من بعثتم تـبره  
 والارض انتم من نثرتم فحمها  
 والحقل انتم من خلقتم نبـنه  
 والبحر انتم من قهرتم بأسه  
 والجو انتم من فتحتم ملكه  
 كم تسبقون الشمس في إسعادكم  
 ومن العجائب ان يَمُصَّ اجوركم  
 كل المسائر حظها في عيدكم  
 لا بدع إن رقص الجمال مغردا  
 في حفلة التـعيد اهبج أنسها  
 ويندوق من راوي الهناء محررا

للناس تبـنـون الوجود جديدا  
 يختال ما بين الورى معبودا  
 فأنازل بل أحيا البلاد السودا  
 فأغاث محروما ورد شهيدا  
 ولكم ترد عاتيا وعنيـدا  
 ففدا بحالا للحياة مديدا  
 للناس سعيـا مجديـا وجهودا  
 مَن "تبدعون له البدائع جودا  
 حتى يزيد على المدى توكيدا  
 واختار من نعم الحياة نشيدا  
 ان يسكر الشهم الفقير قيودا  
 نجبا ويلتمس الاخاء سعودا

\*\*\*

هذه نظرات متحرر متقدمة ، سبق بها الشاعر كثيرا من الشعراء الذين  
 كانوا يتسكعون في الدروب المطروقة ، وبذلك اضاف الى تراثنا الشعري قيا  
 جديدة غير مسبوقة ، فهذه القصيدة كتبها الشاعر في اول مايو وسماها عيد  
 العمال ، وفيها يمزج الربيع بعيد العمال ، والشاعر يحس احساسا ذكيا بالمشكلة  
 التي يعانيها هؤلاء القوم الذين يبنون بسواعدهم ويقهرون البحار ويكتشفون  
 البخار ويكدون ويكدحون ويحولون الصحارى الى جنات ، ويدرك ادراكا  
 واعيا اصل مشكلتهم فيدعومهم الى تحطيم قيودهم العنيدة ، ليتحرروا من  
 رقهم البغيض ويعيشوا في رحاب السعادة والهناء<sup>(١)</sup> .

---

(١) هذا الكلام قاله الشاعر عام ١٩٢٥ تقريبا.

... وعلى الرغم من اتجاهات الشاعر العلمية ودقة ملاحظته تجده مولعاً بالطبيعة يستلهمها في كل مكان. وصوره عن فتاة الريف تحليل بارع للطبيعة في ريف الإقليم المصري وزرعه ومياهه وأشجاره .

#### فتاة الريف<sup>(١)</sup>

غَنِيَّ وغني يا فتاة الريف غني الطبيعة سرُّ كل طريفِ  
واستقبلي الفنان يرقب شَيْقاً<sup>(٢)</sup> مرآك يستوحيه للتأليف  
وتسابقني والشمس شَطَر مزارع تلقاك بين تبسم ورفيفِ  
نشرت أعزُّ حليَّها وكنوزها وبدائع الآيات والتصنيف  
ودعي الحمايم تابعاتك بعدما جاملتين- يصغتن شكر شغوف  
ويزدن من ترحيب كل مؤمل عطفاً وكل شفاعنة لوقوف  
في ألطف اللسان بين تطلع لحنانك الوافي وبين وجيف  
يصطادها العادي ، وانت لخوفها أَمْنٌ أَصِفَ اليه بر مضيف  
غنيت بحسبك عن غذاء وارتضت لك صُحبةً عن مزهر ووريف<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

الارض والابقار' والنحل' الذي حيئت عابدة' لكل لطيف  
ومَوْجُ' النبات النضير موشحا بالزهر في طرفٍ من التفويف  
وفريدة' الاشجار جنب قناتها تدعوك فاستمعي لصوت حفيف

(١) الشفق الباكي ص ٣٥٣ .

(٢) مشتقاً .

(٣) ظليل ناشر .

وتفشي ان شئت ظلا حانيا  
ومنور اللبن الحليب إخاله  
والماء كالأكسير شاق بحيرة  
والنيل يلتئم راحتك مداعبا  
والقرية السمراء صاح (إوزها)  
ونقية الأزهار تعرض عشقها  
لا تنهريها واسمحي بدعابة  
ومن الأيام مسبح في غيطه  
والنحل تجذبها إليك جواذب  
وأراك في عين الاديب فاشتبه  
او حظ أعجم قاده دوردورج<sup>(٢)</sup>  
واذا جمعت القطن هش إليك لا  
طوفي واعطي للملاحة حقها  
للفن تدفعه ظلال اللوف  
من راحتك شراب كل عفيف  
كالتاج مزدانا برأس شريف  
ويقبل القدمين في تشريف  
طربا وأذن (ديكها) للفيف  
في غير ما خجل ولا تسويف  
تحيي ففي تمنيفها تعنيفي  
بين الطيور شبة التعزيف  
للشهد والانعاش والتثيف  
حظي لدى الطنبور<sup>(١)</sup> والشادوف  
جدلان قريك يا حياة الريف  
يشكو فراق اللوز شبه أسيف  
في بعث اموات ومنح قطوف

والشاعر لا يفتأ يردد مع هذه الانغام ، امانيه واحلامه ويرسم مذهبه  
في قصيدته :

### مذهبي<sup>(٣)</sup>

إذا أنا قضيت الحياة مجاهداً كدودا فما في الناس إلا المجاهد  
وما أنا من يلقى مع النوم حظه ولو ساد في الأحياء غاف وراقداً

(١) آلة تستعمل لرفع المياه في ريف الانليم المصري .

(٢) الدورج آلة يستعملها الفلاح لدرس المحصول ، يجره ثوران .

(٣) الشفق الباكي ص ٧٧٨ وما بعدها .

تأملت في الماضي السحيق بخاطري  
وأثرت احتفاء الشقاوة معلنها  
وما احتمجت عني تجارب يبيتي  
وكل الذي فيها من اللؤم والامس  
أرى الدهر للأجيال خير مؤدب  
تسير بنا الدنيا الى الحسن والعلى  
فأحسب بمثلي ان يزيد جمالها  
ولا خير في نشر الشكوك فإنها  
أرى الحق كل الحق رهن تفاؤل  
وما احتقرت نفسي عوامل قوة  
ولكنني لم أرضها محض غاية  
اعيش لنوعي لا لنفسي وحدها  
وآبى خنوعاً في نفاق وذلة  
أبث جمال الحب في الناس هائلاً  
وغيري يرى ان ينشر النقص حكمة  
وما الشعر الا ان يكون هداية  
ولا خير في شعر يبت ضغينة  
له واجب كالأنبياء تطلعا  
ليكشف جمال الكون للناس صاعداً  
وما عابه الوصف الصحيح لعالمهم  
فيخلق بالتكرار دنيا جديدة  
يعمر إخاء الناس فيها ولا يرى

وفي المقبل النائي كأني شاهد  
رجاء لهذا الكون يلقاه عابد  
ولا سنن الدنيا كما أنا واجد  
ولكنني في القبح واللؤم زاهد  
وليس سوى السامي المكمل سائد  
وان كان في الوعر الطريق مفسد  
بياناً وتحبيذاً فذلك خالداً  
'تحجب' آمال العلل وتباعد  
وما كان في ليل التشاؤم ماجد  
من المال والذكرى وان ذم فاقد  
فمن يرضها قصداً فغان وبائد  
صدوقاً أميناً ليس يتشبه واجد  
وإن كنت من ضحى فما أنا فاقد  
فذلك دين للسعادة قائد  
كأن مآل الناس صيداً وصائد  
فترفع أحلام وينعش جامد  
وسخطاً كأن الشعر للخير جاد  
الى غاية الإنسان إن زل كائد  
بألباهم ان ارهقهم شائد  
ولكن به الأولى العلى والمحامد  
على مر أجيال لها الحسن رائد  
أقارب فيها للورى وأبعد

\* \* \*

فهو يرسم صورة صادقة لنفسه وما يعتمل في داخلها من طموح وآماله  
ويصور كفاحه ودأبه وتجاربه في الحياة ومعرفته لادق خفايا النفس الانسانية  
ويوحى بالتفاؤل والقوة .  
وهو مؤمن بالوطن إيماناً عميقاً ولكن لا يتنافى هذا الإيمان في نفسه مع  
إيمانه بالانسانية .

### الوطنية والانسانية<sup>(١)</sup>

أجذب الخلق في التقديس أوطان	وليس يجذبهم كونٌ ودَيَّان
(الله) في الكون هذا، وهو صورته	فكيف تملو على الديان اوطان
أليست الناس أسمى ما يمله	إبداعه ، فعلام الناس قد هانوا؟
تنابذوا ونسوا ما نوعهم ومَصَوِّا	كلٌ بسخرية الاقدار فرحان
يَبْأَوْنَ بِرّاً بدُنْيَاكُمْ تَبَرُّهُمْ	وجمعهم في انقسام الطيش غفلان
أجل بتقديسنا الاوطان لو عرفت	عقولنا أنها ربح وخسران
فيها الوفاء ولكن عن انانية	أما الوفاء المكلّى فهو إيمان
بحيث نلقى بني الإنسان اخوتنا	برغم بينٍ وخلفٍ أيكنا كانوا
هذا هو الدينُ عندي لا حماقتنا	كأنما هذه الاوطان أضغاث
وإنّي الرّجلُ الحاني على وطني	فانه صورتي الكبرى ووجدان
وافتيده بروحي من محبته	فإن قلبي بهذا الحب ملآن
لكن غاية احلامي - وان بُعدت -	ان يشمل الارض باسم الحب سلطان
وأن أغالب ما يوحى الضلال به	للناس ، حيث جموع الناس عيان
عقيدة لست أدري كيف يُصغِرُها	من يدّعي أنه سام وإنسان

\* \* \*

(١) الشفق الباكي ص ٨٢٤ .

وفي هذا الديوان بجمرة من القصائد المتنوعة تعال معي نعيش فيها ، ونخلي  
بين القارئ وبين ما فيها من أفكار ومعان تنفذ إلى نفسه وتغعم وجدانه .

### قبلة الجمال<sup>(١)</sup>

يا سُمائي يا سُنائي	يا إله الشعراء !
يا سِقامي يا دَوائي	يا همومي ورجائي !
أنتِ رَحْمائي وربِّي	في صلاتي ودعائي !
أنتِ رَبيحائي وروحِي	لم تجزأ في التناهي
تجذبين الحسنَ جَذْباً	يا ملاذاً للضياءِ
قُربُكَ المعشوقِ قُربُ	لأفانين الهناءِ
والنوى شبهُ امتحانِ	لثباتي ووفائي
فإذا كل مطيعٌ	وصبورٌ في عنائي
لست عَيرانَ فلاني	أنت يا نَعْمى شقائي
كل ما عَفو اليك	لا يُساويني بدائي
مَاليءُ ذُرّاتِ جسمي	فانضُ فَيضُ الإناءِ
لِيتني متُّ بنارِ	منك في يوم اللقاءِ
كفَرّاشٍ في جنونِ	حول نور الكهرباءِ
ليتني أفنيت عمري	فبكيت في رثائي

\* \* \*

---

(١) الشغف الباكى ص ٧٩٩ .

## الشاعر المجنون<sup>(١)</sup>

دَعَوْهُ شَقِيّ الفكر لكنهم سَمِعُوا  
يَرَى الكون بالروح التي من صميمها  
ويا ربّما أُوحي إليه بأنّه  
وشاهدَ أطوار الحياة جميعها  
فما ذنبه إنْ يَكشف السّتر باحثاً  
ذَرَوْهُ يَقْل شقّ النّشيد وإنْ يكن  
فكمْ يُبصر الضّمدان في العيش  
وخلاو الذي لا تشتهون فعندكم  
فقد يُمسّحُ الإنسان من كفّ "مُخلق  
وينشر أيّ الحكمة الأبله" الذي  
كأنّ له بين الكواكب جولةً  
فلا تَبخسوه الحقّ إن شعاعه

فما الشاعر المجنون إلا المنعمُ  
تألف هذا الكون والفكر والدّمُ  
رأى الكون من بدء الخليقة يُنظمُ  
فمنها الهدى الصافي، ومنها المحرّمُ  
ويرسمُ لنا الشرّ الذي هو أعظمُ  
بأفراحه حزنٌ خفيٌّ وماتمُ  
تألف طير الغاب شادٍ وابكمُ  
شهيّ من الشعر الذي هو أفخمُ  
ويُنظم تيجانَ الجلالة مُعَدِمُ  
يُترجم عن سرّ الوجود ويحكمُ !  
وليس له غيرَ الاثير معلّمُ  
قويٌّ وكمْ بين الأشعة مُظْلِمُ

## المعلوم ( او الشاعر الغريب<sup>(٢)</sup> )

عابُوا عليّ الشعرَ حتى أنهم  
ما الشعرُ لي إلا الشعور وجوّلي  
فيه خواطر مهجتي وسعادتي  
فيه عيش بحاضر وبغابر

لم يدركوا فيه كيّانَ حياتي  
في عالم الاحياء لا الاموات  
وشقاوتي وعواطفني وصفاتي  
وأترجم الماضي وروحي الآتي

(١) الشفق الباكي ص ٨٧٢ .

(٢) الشفق الباكي ص ٩٢١ .



وأخصُّ بالدمر الذي . هو خالدهُ  
وليَهزأوا ولينقدوا وليعلموا  
ما شِدَّتْهَا لَتَكُونِ حِلْيَةً بَيْنِي  
وأنا الذي يحيا لنوعي<sup>(١)</sup> والذي  
ان يحلوا أدبي فإني خالق  
يقى هوى النقاد مثل جسومهم  
فليهنأوا بخداع كلِّ ملقى  
وليُعرضوا عما يُنمق خاطري  
وتجاربى وتأملى وسياحتى  
فأحيل ما ألقاه لحناً سائفاً  
لغتي هي الحسُّ الاصيل وغيرُها  
وعقيدتي بنتُ (الحقيقة) وحدها  
وأنا كذلك دائماً مرآتها  
فاذا أبى الجهل العنيد محبتي

ما نَقَمْتَهُ لسجعه آياتي  
أَنْتِ أَقِيمِ الخلدَ في ابياتي  
بل كي تصونَ على الدوام شَتاتي  
يابى حياةَ شأنها كوفاة  
من سوفَ يُقرنُ حبَّهم بصلاحي  
ويميشُ لي ادبٌ لغير فوات  
نظماً من الأوهام والآفات  
من صدقِ احساس وفكر عاتٍ  
في الكون غير مقيد بلفسات  
لِتَهافتِ الابواب والمُهجَاتِ  
رغم البهارج ميتُ الكلمات  
وليَّ « الطبيعة » دائماً مرآتي  
فأجلُ حالات لها حالاتي  
فكفائي من عطف الجمال حياتي

#### ظلي<sup>(٢)</sup>

« أيتها الزنجي قل لي  
أنت يا ظلي خليلي  
في ظلام الليل تخفى

كيف قد أصبحت ظلي  
هل يطيق الصمت خلي  
في مجال النور تجلي

(١) النوع الانساني .

(٢) الشفق الباكي ص ٢٧٦ .

لا تُراعي أيّ فضلٍ	لا يسأ ثوب سواد
سائراً قربي وقبلي	ماشياً إثمى وحيناً
انت مثلي انت مثلي	قال أطفال صغار
انت طوراً غيرُ شكلي	أنت حيناً رمزُ شكلي
هازناً أنا بفعلٍ	خادماً أنا توافي
بين ترحالٍ وحيلٍ	حارساً يأبى فراقٍ
يا لبعض المستقلِّ	ظننك الصوفيّ بَعْضِي
مرهقاً قد مسَّ عقلي	فأبى إلا صموتاً
من صياحي ريع أهلي	فانتهرت الظل حتى
بين اشفاق وعدلٍ	بينما الفجرُ مطلٌ
فتنة الاضواء حوّلي	ثم وافي الصبح يُهدي
باحَ بالسُرِّ الأجلِ	حاملاً أسنى جوابٍ
وانتهت أضغاث ليلي	فانقضى حلمي ولومي
كان ظليّ بدءَ شُعليّ	ضاحكاً منها ولكن

#### عظمة النفس (١)

حظُّ الحلال ولا فقْدانُ آمالي	لا في الزهور ولا في ملبسي البالي
ولستُ أنشدُها في وهم جُهالٍ	في قوة النفس والإيمان لي عُدَدٌ
آبَى الخنوعَ وآبَى زهوَ مختالٍ	أنا الزعيمُ لنفسِي وهي في دعة
ولا بتسخيرِ أحلامٍ وآجالٍ	ديني التعاون لا أرضى بمملكةٍ

(١) الشفق الباكي ص ٨٢٦ .

ولو شعرت بأني من جبارة  
حسبي جلالٌ لفني استعزُّ به  
وخاطمي ظن لي صلفاً بمعتقدتي  
وثارة ظن بي ضعفاً لأن له  
فقلتُ : حسبكُ وهما، انني رَجُلٌ  
لي عزة المخلص الوافي لدمتي  
ولن أقتيد غيري في متابعتي  
لما حَفَلْتُُ بتهليل وإجلال  
وأن يعيش بياني ذخراً لأجيالٍ  
وكلُّ ما غاب خلقي وعن بلي  
حققد الحسود لإخوان واخوال  
لي في العلاء شعورُ الصديق لالغالي<sup>(١)</sup>  
ولي اعتدادُ العلي بالعقل لا المال  
فكيف أطلبُ تقيدي بأغلال ؟

\* \* \*

#### الشاعر الانساني<sup>(٢)</sup>

لا أرى غيره قهنا بعرشٍ  
هو يبني مع الطبيعة ملكا  
ليس يكفي للشعر فناً تلاه  
كلُّ شعر سواه لحن ضئيلٌ  
لنظم يعيش في الاجيالِ  
حياة غنية الأجيالِ  
فهو روح النبوة المتعالي  
وشعاع يموتُ طي الليالي

\* \* \*

(١) المراد المبالغ .

(٢) الشفق الباكي ص ٨٢٣

## عيد الربيع<sup>(١)</sup>

الربيع لا القلم	شاعر له الكلم
من نظيمه عجا	الرواة قد نظموا
واقتران فتنه	للبدائع الحكم
خالق يحدد ما	قد اضاعه الهرم!
فالشتاء دولته	وفلسوله انهموا
والزهور في أمل	كالقلوب تبسم
والربيع سيدها	يستثيره الكرم
تنتهي مواعده	وهي حولنا عم
في احمرار برده	ثائر ومضطرم
في اصفرار وجنته	عاشق ومتهم
في بياض فضته	طاهر ومحتشم
في سنى تالقه	السلام والسلام
والحسان في ضحكك	لا يفوته النغم
من بديع جوهره	لجواهره قيم

\* \* \*

والقراش لاعبة	وكانها نسيم
فاقتبست نعمتها	كم لطائر نعيم
والخيال يسعفني	والعيان والشيم
والطبيعة اثقلت	جلالها القسم
عيدها اقباله	كالطيب يتسم

(١) الشفق الباكي ص ٨٤١ ( باختصار ) .

## المجد الشخصي وعظمة الفن<sup>(١)</sup>

حسبي شعارَ المجد ان يُصنعي الورى  
ما الزهو من طلبي ولا هو عزتي  
يُزجي بيانَ الصدق في نبضاته  
قالَ الصديق وقد أطال بمدحني  
أعطيتَ تاجا للفريض 'مجنو'هرا  
فضحكت ثم أجبته متعجبا  
والشاعر الفنتي ليس لنفسه  
والعرشَ والتاجَ الصحيح لدولة  
والمبدعين التابعين وإن سموا  
لو أن من زعموا الإمارة أنصفوا  
فجميعهم رهنُ الزوال جلاهم  
إني الشكور إذا أذعت عقيدتي  
أما الغرور ومجده وسمائه  
لعماطفي ويُجَدِّدا إنشادي  
ولكنْ أُعزُّ بما يسرُّ فؤادي  
وَمِدُّ لي قَلَمٌ وسيلٌ مِدَادِ  
« أقسمت أنك بالعظام غادي  
فكَلِّزْهُ فوق جبينك الوقاد ! »  
أعلمت أن التاجَ كالأقيادِ  
لكن لِمُلكٍ بالمفاخر بادي  
الفنُ سيدُها على الآباد  
ليسوا سوى القواد والأجناد  
أفدارهم لتعاونوا بودادِ  
والفن لا الأفراد للإخلاقِ  
ومرحتُ كي يصنعي الورى لمرادي  
فوساوسُ لم تقترن بجهاد

## الفردوس<sup>(٢)</sup>

الحادُ آيةُ ما ترى والخورُ  
أشرقن في شفق الغروب فودعت  
وخطرُن في بهض القلائس بينا  
حكمت لهن مباسمٌ وبخورُ  
شمسُ النهار ، فنورهنُ النورُ  
بُسُطُ الجنان الباسمات تمورُ

(١) الشفق الباكي ص ٨١٦ .

(٢) الشفق الباكي ص ٨٦١ .

وضحيكُنَّ في نغمٍ على نغمٍ كما  
 وكأنما هو من سرور خالص  
 ووُثِنَ منها في قيود<sup>(١)</sup> حرّة  
 خطراتهن خواطر منظومة  
 متكسراتٍ في النظارة والصبا  
 وترى الزهورَ يضمن أنامل<sup>١</sup>  
 ونكاد تفتّح للجمال براعم  
 جدّيتُ لهن نواظر وعواطف<sup>٢</sup>  
 وتصدّد المساء القريرُ بنظره  
 يجذب شطر هواه في فضية  
 فيرشن كما 'توش' أشعة<sup>٣</sup>  
 وإذا الحشائش لاثّمت عن مئى  
 وترى عيون العاشقين مُقيرة<sup>٤</sup>  
 وأتى أوان الشاي اذ مُدّت له  
 فإذا بحظّي ان اجاور دولة  
 عرضت عليّ من الطعام ألذه  
 فلبثت بين مدامة ودعابة  
 حتى حبّنتي إذ غوت تفاسحة<sup>٥</sup>  
 فأخذتها وإذا بيحلمي زائل<sup>٦</sup>  
 وصحوت من عيش الخلود كأنني  
 فبكيت في دمع اليراع عواطفي

نثرَ التحية زنبق منشور  
 أو للنفوس سلافة وعطور  
 وثباً حكاة الليل المأسور  
 وملاحاة ورشاقة وحبور  
 مثل الأشعة حسنُها مكسور  
 قبّل الغرام تصونهن ثغور  
 شغفاً ومسجد للجمال زهور  
 وكذا الفراش حيالهن يدور  
 وكأنه أمل الشباب يفور  
 بمساروته مدامع وسرور  
 للكهرباء أضائها البَلُور  
 أقدامهن... والبنات فخور  
 ما غيرهن بحسبها منظور  
 'نخب' الموائد برّها مشكور  
 للحسن يعبد سحرها المسحور  
 وألذ ما أهدي هوى موفور  
 وأنا شجيّ ثارة وصبور  
 وبها الجمال على الهوى مزور  
 بعد المذاق ومطمحي مقبور  
 مَيّت وفي حلم الغرام نشور  
 وجرت بتذكّار الخلود سطور

(١) يشير الشاعر الى الاساور وغيرها من الحلي .

بِسَامَةِ بِدَامِصٍ مِنْ نَعْمَةٍ يُكْتَنُّ فِيهَا الْمَدْمَعُ الْمَصْدُورُ  
وكذلك الفردوس في أحلامنا وهم وغاية ما احتواه غرور  
ملاحظة : وقعت سهواً بعض الاغلاط المطبعية في هذه القصيدة ، نرجو القاري تصحيحها  
رهي :

صفحة	سطر	خطباً	صواب
٢٠٧	١	وبُحُورُ	وبُحُورُ
٢٠٨	١	منشورُ	منشورُ
»	١٢	والبنات	والبنات
»	١٩	مقبور	مقبور
»	٢٠	عش	عش

### المرأة

أنظر ضحايا الهوى	في نار هذا الشفق
تشعبت هكذا	بكل قلب خفق
وانظر هموم الوري	كشعلة تحرق
تسريت منهُمُو	بين الأمى والارق
وسطرت لوعة	بصفحة للغسق
وانظر معاني الصبا	فيما زها واتسق
من كل لون له	انقاس روض عبق
لولا زوال له	في الليل مثا لفرق
لذاك يبدو على	رؤع كثير اقلق
فيه حياة كما	فيه مات صدق
فلم يجب لهفتي	هذا الحبيب الارق
لكنه قد رنا	في بسمه تسق
الى السماء التي	فيها الاسى والحرق
فاشرقت ثانيا	مرآتها في ألق
وأحجلت خاطري	وظال عمر الشفق

## أشعة الظلام (١)

أتصدفُ عني في ظلام شقاوتي      وتحسبُ أنني في الظلام حقيرُ  
ولو فيكَ حلمٌ لانتبهتَ موقفاً      الى النور في داجٍ عليه ثور  
سبيلكَ عني... لي كرامةُ مؤمن      بطهرٍ ضميرٍ ماعداه ضميرُ  
وهل كان عدلاً والظلام يحفني      نقورُك. هل يميزي الشفاءَ نقورُ  
فيا طالما صاحبتَ رغمتَ دُجنَّةٍ      اشعة اعجازي (٢) وفاتكَ نورُ  
تصاحبُ احلامي فتوقظ خاطري      ومثلك غافٍ في الضياء حسيرُ  
فلي في الفضاء الرحب من كل نقطة      نوافذ بالوحي الكريم تسيرُ  
تشع بلا حدٍ وتخرق حاجبا      وتشعل فكرياً بالضياء يفورُ  
'بموجة' لكن قصيرٌ دلالها      فتلعبُ كالطفل الصغير يدورُ  
وترقصُ رقصَ الحاذقات حية      ولكن لمثلي تُستباح ستورُ  
فلا تغتبر من مظهر الحظ والغنى      فكم قتل العقل الحصيف غرور

\* \* \*

وتدفقت شاعرية أبي شادي وانطلق كالسيل الجارف يهدر ويهدر...  
وكان يقول الشعر في كل شيء في يسر وسهولة، وكان انجابه الفياض وخصوبته  
وتدفقه بالشعر تسبب له نقداً كثيراً. وكان الشاعر يعجب من هذا ويقول انه  
متجدد دائماً يرى كل شيء ويحس كل شيء احساساً عميقاً. وله قصيدة تدور  
حول هذا المعنى وهي :

(١) الشفق الباكي .

(٢) يشير الى اشعة « مليون » المنتشرة في الفضاء وهي اقوى الاشعة نفوذاً .



## التجدد (١)

من كان يشعر دائماً بشعوري في الليل أو في الفجر أو في النور  
 ويصاحب الأجرام في حركاتها ويجوز عيش الناس كالمسحور  
 وجد التجدد دائماً إلماً له في النفس أو في العالم المعمور  
 ورأى الحياة بما 'تجدد دائماً' أسمى من الافصاح والتعبير  
 'توحي وتوحي دائماً فإذا الذي أوحته بعض' جديدها المقدور  
 لو أنصف الشعراء ما قنعوا بما خلقوه من شعر ومن تصوير  
 كم في الحياة مجدّد لا ينتهي ولكم حقيق وهو غير حقيق  
 لاموا شوب عواطفي وتحيل وتدفعني بالشعر ملء شعوري  
 وأنا الحجلو أماً ما أنا ناظر من كل موج بالغ التأثير  
 فيهنني هذا ولكني الذي مها أجسدت أحس بالتقصير  
 وأكاد أوقن أن من هو لاني إما ضرير أو شبيه ضرير  
 إنا بكون كل شعر بلا حصر وكم من عاجز مغرور  
 قد أفجم الانسان حين تجاوب امواج هذا الماء ملء خير  
 وأبئت صمتي فاللمات متى وفي سيقني ديون حديشي المنشور  
 ما أعجب إليكم الذين استعدوا خرس القدير كيكمل مقبور

\* \* \*

وقد قال الشعر فعلا في كل شيء  
 فبينما ترى له قصيدة في :

(١) الينوع (ديسمبر سنة ١٩٣٣) ص ١٨ .

### غليون الشاعر<sup>(١)</sup>

يا حبيبي ان ما تهديه اسمى من هديته  
كله لي ذكريات وانشيد شجيه  
حبذا الغليون من رمز الى الروح النديه  
دائمُ التفتح بأحلام الى نفسي الشقيه  
روحك السمحة عندي من معاني الأبدية  
كل ما تهدي وما تنشد نجوى قدسيه

\* \* \*

أشعل الغليون من ناري وحيدا في الظلام  
ناظرا نحو سماء في ضرام كضرامي  
خبأتها غير لمسع في نجوم كابتسامي  
حرمة الدنيا اطلت من ثقوب في الغمام  
كل ما فيها جميل هو قلب في اضطرام  
وكان الخالق الفنان يشقى بالتسامي

\* \* \*

يا حبيبي هذه امواج نفس في الهواء  
كل ما يبدو دخان حينما يخفى الرجاء

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٠ ، ٩ وقد اهداها للشاعر ابراهيم ناجي .

كلّ انفاس مناجاةً وكم ضاع الدعاء  
هي دنيا كل ما فيها غباءً في غباء  
آه لو تدرك ما يعني بنوها الشعراء  
آه لو تفهم من دقائق قلبي ما اشاء

\* \* \*

أنت يا من كله عطف على وجدي الأليم  
أنت يا من يخلق الرحمة ان ملّ الرحيم  
أنا في ناري كما قدرت امضي وأهيم  
وهي لم تحب ولن القى سوى وهم النعيم  
محرقاً نفسي كهذا النجم في الليل البهيم

\* \* \*

تراء يأسى لمأساة فلسطين في قصيدته :

#### فلسطين الشائرة<sup>(١)</sup>

تَقَصَّفُ يراعي واصمّت الآن يافهي      لقد آن عهدُ الحرّ يكتبُ بالدم  
علامَ صياحِ الناسِ حينَ كلامهم      هباءً إذا الأسيافُ لم تتكلم  
وان لم يَدَوِ الحقُّ من كلِّ مدفع      وان لم يُغْنِ الموتُ في كلِّ مأتم  
حرام علينا ان ننسادي بيقظة      إذا كانت الأرواح ارواح نوّم  
وثائرة في نخوة العرب أمنت      بعزتها بالرغم من كل أعجمي

---

(١) ينبوع ص ٤٩ .

مشت للردى<sup>(١)</sup> في جحفل من شيوخها وشبانها في وحدة لم تنقسم

\* \* \*

فلسطين يا دار النبوة هكذا تصوير جنان' الخلد دار جهنم  
تخذت من النار المطهرة الحمى حليفك في يوم البلاء المحتم  
فعلمتنا معنى الكرامة والعلو وكيف العلى رغم الشقاء المحتم

### قيشاري<sup>(٢)</sup>

قد حطم الدهر قيشاري فما تركت	أحداثه' غير فرد بين أوتاري
فيا فؤادي تشجع ولتذب نغما	فيه الوداع لدنيا الحرب والشار
عشت المرجى لفنٍ فلتمت مثلاً	للفن ما دمت في الحالين قيشاري
وربما آهة ارسلتها ولها	تفردت بحياة بين أشعاري
يا خافقا بمعان كلها شجن	هون عليك وبُحْ حرا بأسراري
فيهم التكتّم' والأيام قد نفدت	وما بقاياك الا بعض آثار
كأن صدري غدا لحدأ اخمنه	ذكرى السنين واحلامي وأوطاري

### الصبا الدائم<sup>(٣)</sup>

جرت السنون كأنني ما شمتها	تجري فلم أرح سنين صبا
فإذا عشقت عشقت من روح الصبا	فلقد تعلق بالجمال تهايا
ما شاب قلبي في ربيع محبة	لا ينتهي حق اتهمت خطايا
روح تفيض على الزمان صبا	فاذا الجمال محاصر بهوايا

---

(١) كان هذا في عام ١٩٣٣ .

(٢) الشعلة ص ١١١ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤ .

## التعبير الرمزي والعاطفة

ولا بد أن نشير - ونحن نعيش في مختارات الشاعر - أن الطابع الذي غلب على شعره هو الطابع الوجداني ، ولعل ظروف حياته واحداث عمره كان لها أكبر الأثر في تلوين شعره بهذا اللون ، وشاعت في شعره أيضاً تعبيرات رمزية اقتضتها هذه الظروف والأحداث ، وسنختار نموذجاً من هذا الشعر الرمزي ونحلله ثم نترك للقارئ ان يتذوق وحده ما يصادف في هذه المختارات من هذا اللون ... والقصيدة - او المقطوعة - هي « بحر السماء » يقول فيها:

### بحر السماء

هتفتُ بي الأضواء فاستيقظتُ من  
ونظرتُ في أفق السماء فلم أجد  
السحب تجري في اصطخاب الموج لا  
بأديتها فتلفتت لكنه  
لا تستقر هنية وتسير في  
وكأنما الزمن العجيب يسوقها  
تخشى سياط الدهر يجري خلفها  
وتغيبُ في بحر السماء كما مضى

نومي على قلق من الأضواء  
إلا حديث الموج والدأماء  
ترضى بهداة لحظة لندائي  
كتلقت الأطياف للشعراء  
لهف كوثب الموج فوق الماء  
كلخيل في ركض وطول عناء  
فالدهر قاسم دائماً ومرائي  
حللي وأنفامي ووحى رجائي



فهذه المقطوعة استخدم الشاعر فيها التعبير الرمزي ليصف حالة من حالاته النفسية في لحظة من اللحظات . فهو لا يريد تشبيه : السماء والسحب

تجري فيها ، بالبحر ، ولا يريد ان يشبه الزمان وهو يدفع السحب بالخلل ، ولا يريد ان يشبه جري السحب بوثب الموج فوق الماء . لا يريد الشاعر - فبا نظن - مجرد التشبيه وإنما يريد ان يحسم لنا حالته النفسية في تلك اللحظة وهو يشهد السماء ملبدة بالغيوم والسحب تجري فيها ، ويوحى للقارئ بإحساسه وينقل إليه عدوى هذا الاحساس ، ونشهد ان الشاعر قد حاول استخدام الايقاع اللفظي الذي تَشْبِهُهُ مثل كلمات « الأضواء » « قلق من الأضواء » « الموج والدأماء » « اصطخاب الموج » « افق السماء » « تلفت الأطياف » « سباط الدهر » في تصوير الجو الذي يريد أن يصل إليه ، كما حمل هذه الألفاظ دلالات جديدة : فالأضواء وهي لونٌ يُرى تهتف بالشاعر؛ والسحب تجري في اصطخاب الموج وتَتَلَفَّتْ ، والزمن وهو معنى اعتباري يتجسد عند الشاعر ويجري خلف لسحب ، بل ويسوقها ، والدهر يلهبها بالسياط فتفر مذعورة امامه .

وهنا يسفر الشاعر عن حالته النفسية التي يرغب في نقل عدواها الى النفوس والإيحاء بها عن طريق الرمز فيقول :

وتغيب في بحر السماء كما مضى . حلمي وأنفامي ووحى رجائي

ولا شك ان هذا الابهام الرمزي قد ساعد الشاعر على خلق الجو النفسي الذي يريد أن يوحي به ، فنحن ندرك بعد هذا - عن طريق الإيحاء والرمز ، لا عن طريق التقرير - ان أبا شادي يريد ان يصور احساسه بضياح أحلامه وآماله ورجائه ، وما يصادف في الحياة من عقبات قاسية وعناء وألم ، ونكاد نحس هذا الاحساس نفسه لانه جسمه واتخذ من مظاهر الطبيعة والفاظ اللغة رموزاً نقلت عدواه الى نفوسنا .

أما وجدانه الفردي وتجربته الذاتية وغرامه العاثر فقد ظل يدور حولها

طوال عمره ويسجلها في شعره وقد تغيرت حياته واصطلحت عليها أحداث كثيرة ولكنه ظل وفيًا لهذه المعاني يسجلها في كل فرصة ، ويقف عندها في كل مناسبة ، وعندما يعيش بين الطبيعة يمزج تجربته الذاتية بمظاهرها المختلفة ويخلع على الكائنات احساسه ، ففي جوار البحر يقف مروعا يبدو الأفق امام ناظره كشيء أغبر ، والشمس تحرق والسحب جمعا بجور يتصاعد من بحرة سحرية عجيبة ، والوجود يكتئب . تعال معي نستمع الى قصيدته :

### يوم مروع<sup>(١)</sup>

يلوح الافق أغبر . في دخان	وهذي الشمس 'تُحرق' إذ تغيب
كانت السحب جمعا بـحور	ببحرة لها سحر عجيب
يضيق الافق في قلبي ونفسي	وما يُغني المنى الافق الفسيح
إذا اكتاب الوجود فإن نفسي	تئن وكل محمود قبيح
اهاتيك الصخور لها شخوص	سوى البادي على تلك الصخور ؟
أفيها من قديم العهد روح	تراث للشعور وللضمير ؟
لقد مضت القرون وتلك سكرى	على موج الحوادث والقرون
وهذا البحر أهون ما تلاقي	فما موج سوى موج السنين
أهذا اليوم من أهل الشتاء	وقد اوفى دخيل في الربيع
وما جدوى السؤال وذاك يومي	يصد عن الإجابة كالروع

★ ★ ★

وظلت لهفته الى الحب دائمة متجددة وله قصيدة بعنوان :

(١) الينبوع ص ٣ .

## الاهفة الخالدة (١)

يقول فيها :

من لهفي قلق يدرم وجوع	في القرب أم في البعد يغمر مهجتي
قبلاً وقلبي هائمٌ ومَرُوعٌ	مالي أراك كأننا لم نجتمعُ
هذا اللقاء وأني المخدوعُ	أرئو اليك كأنما الدنيا أبتُ
كون يحارب به النهى ويضيعُ	أرئو اليك كأنني أرئو الى
يرئو الى الأم الحنون رضيعُ	أرئو وأرئو ثم أرئو مثلما
شمل الوجود أشعةً ودموع	أرئو وهذا الصمت يشملني كما
أنا وحدي المتكلم المسروعُ	ويحارُ حسنك من سكوتي بينا
لا ينتهي وكأنه المطبوعُ	أواه من لهفي ومن حرقى الذي
فلذا الشفاء محرمٌ ممنوع	عاجلتُ كل وسيلة أشفى بها
تتساويان وقلبي المصدوعُ	وإذا نعيمي ان أراك وحرقتي
وإذا جمالك وحده الينبوعُ	وإذا بي الصادي الذي لا يرتوي
فهواي - مها ينعم - المفجوعُ	إننا ربينا في الشقاء وفي الهوى
والذكريات تحوطينا وتروعُ	وكأننا نصفؤبأتم حبنا

\* \* \*

ولا تفارقه كأبته وهو يستروح النسمات على شاطئ البحر في الاسكندرية  
فيروح يتفلسف ويتأمل الحياة والاحياء والموج المضطرب والرمل. وتقوده

(١) المصدر السابق ص ٥ .



هذه التأمّلات وتداعي الخواطر الى صور كثيرة تنبض بالحرارة وتفيض بالصدق وقصيدته التي تمثل هذه المعاني هي :

### رثاء الجمال<sup>(١)</sup>

انشد رثاءَ الأماني أيها الفاني  
دنيا حواليه يبنّيها ويهدمُها  
اترك تفاؤلك المعبودَ آوثةً  
انظر إلى الحسن في اعجازهِ صوراً  
كأنما هي انفاس نرددها  
منّ هذه الغادة الهيفاء ساحرةً  
تمشي وفي لونها الخري ما سمحت  
تري الحياة تناهت في تطلّعها  
لا يستقر قرار من تحطّرها  
من هذه غير رمز للحياة حوّتْ  
أنا الذي أتقاني في مواهبها  
كأنما الخالقُ الرسّامُ صوّرها  
فصار يعيدها الخلاق في لهفٍ  
اهذه سوف يطويها ألفناءُ كما

واندب مآل الجمال الضاحك الهاني  
كالوج يدم ما يبنّيه في آت  
وانظر مصارعَ أطيافٍ وألوانٍ  
لا تنتهي وعجيبٌ كلها فاني  
ملء الحياة فتدعو موتنا الداني  
بناظر ذاهل كالفجر وسنات  
دنيا الحياة بإغراء وايدانٍ  
منها بفرحة اضاء وألحانٍ  
كأنما هي من أطياف نيسان  
أشهى البیان وأحلاه لوجداني  
تفاني اللحن في اوتار عيّدانٍ  
في جرأة وعَتّها روح لهفانٍ  
وبات تصويرها ايمان إنسان  
يطوي جمال امانينا الجديدان

★ ★ ★

وذلك الموجُ من إبقاء مضطرباً يدعو اليه حنين الناس وثّاباً

---

(١) الينبوع ص ٧ - ٨ .

وأطلع العُشْبَ بالإحْياء جذابا  
ويشربُ النور اطباقا واكوابا  
الى الانام فيمسي الناس احبابا  
يأبى التخاذل في مجراه غلابا  
فكنت اشهد اكوانا واربابا  
من الجمال الذي قد زاد انسابا  
وكم يُعَذِّبُ هذا الموج من ثابا  
كنا حوت من روعة المحبوب لإرهابا  
والقلبُ ملء خشوعٍ بالغ طابا  
مثلي الى البحر ترثي النور إذ غابا  
متاعنا فإذا المبكي ما آبا  
كما رأيت جمال اليوم قد ذابا

أحيا صخوراً باصداء يرددها  
يجري ويمرح في لهو وفي قلق  
ترنو الحياة بإحساس يفيض به  
والموج مهما تنهاى في تلاطمه  
لقد وقفت قليلاً في مباءتها  
عوالم الفطرة الأولى بما جمعت  
كم يأسر الموج في اصباغه مُهْجِجاً  
زرق العيون حوت من روحه فِتْنَا  
وقفت في الشاطئ المأهول في شغفي  
والشمسُ في الافق المهجور رائية  
تبكي بِنَمِها وان حِلْتْنَا اشِعْتْنَا  
حتى تذوب بهذا البحر في غسقٍ

\* \* \*

وكم غرام وكم وجدٍ وكم صور  
ما طاف في خلدي الوهّاب للنظر  
نَعِمْتُ في الافق بالمشوث من شرر  
في ظلمة الليل من حب ومن خطر  
كمن ينادي حبيباً لَجَّ في سفر  
أعانق الحُسْنَ في طوعٍ وفي خفر  
ولا صغيراً فما في الحسن من صغر  
ولا شميماً من الانسداء والزهر

وذلك الرملُ كم حسن أطاف به  
كم جلسة لي في افيائه جمعت  
وكم نَعِمْتُ قديراً بالظلام كما  
واي دينٍ وإيمان يُقاس بما  
والبحر يزخر بالاشواق ضائعة  
اما انا فأميرٌ عند ساحته  
ولا افوت عزيزاً من مناهله  
ولا املٌ مذاقاً من حلاته

وصدرها الخافق المهتز في جذلٍ  
لكلّ جزء عباداتٍ أوزّعها  
والرمل يعجب من ناري ومن ظمائي  
واحسب الحسن معنى خالداً أبداً  
فيقتل الليل احلامي ويطردنا  
ويغتدي الشجر مأوى لي من الذّكر  
وحيدها الناعم الموحى الى صوّري  
من لفقة الحبّ لا تغنى على السّهر  
ومنجم يضحك مني ضحكة القدر  
كالحب في الكون لا يغنى على العُسر

\* \* \*

فالشاعر رغم احساسه بمظاهر الطبيعة والفنّة والجمال، ورغم تذوقه لكل  
هذه المعاني ، ورغم انه امير في ساحة البحر يعانق الحسن ولا تفوته صغيرة  
ولا كبيرة يدرك كل شيء ويتذوق كل نبضة ويرنو الى الصدر الخافق المهتز في  
جذل والجيد الناعم ، رغم كل أولئك تسري في انغامه روح حزينة ملتاعة  
تعكر عليه صفوه في النهاية ، فيقتل الليل احلامه وامانيه ولا يبقى له الا  
الشعر يبيّنه احزانه واشجانه .

\* \* \*

واشعاره كانت دائماً ملاذ الاخير الذي يثوب اليه ويحتتمي به من هجير  
الحياة ، بل هي المنفى الذي ارتضاه لنفسه يعيش فيه - كما يقول - في بقطة  
قهار .. واستمع الى قصيدته :

#### في المنفى<sup>(١)</sup>

نعم منفاي أشعاري وملقى النور والنار  
أعيش بها على حدة ونفسي عيش أحوار  
حياة مالها أمدٌ على سفر وأخطار

(١) أطراف الربيع ص ٧٣ ( طبع سنة ١٩٣٣ ) .

اسجّل كل ما حولي واخلق حُلُمَ أقدار  
 حزينا ساخطا مرحا عتيباً غير جبار  
 اعيش بكل معنى العيش حين أنا به الزّاري  
 كأنني مذ ولدت حييت في يقظات قهّار  
 ابادل ما حواه الكونُ ابحائي وأنظاري  
 فلا هو دائني ابدا ولا أنا عبده الجاري  
 وإن عبّد الجمالَ به فؤادي شبه مختار

\* \* \*

يعيش لغيره ابداً وان لم يحظ بالغارِ  
 فهذي نفسي الكبرى إذا أرضاك إصغاري  
 تناءت في مجاهلها ومنغافها بأشعاري  
 ولم تسفر لقارئها إذا لم يقبل القاري  
 ومن يحيا حياة العشب لم يظفر بأغواري

\* \* \*

وسأخلي بين القارئ وبين بقية المختارات ولن اتدخل بعد ذلك بالشرح  
 والتعليق حتى يتمكن القارئ من تذوق النصوص المختارة بعيداً عن أي قيد  
 ويستمتع بجمالها الفني من خلال نفسه وما تثير فيه من لذة ومتعة .

لعبة ابنتي<sup>(١)</sup>

( أبيات ارجالية )

أنتِ يا لعبة ابنتي ذات روحٍ وخفةٍ  
 أنتِ عندي عزيزةٌ وهي عندي عزيزتي

---

(١) اطياف الربيع ص ١٠٦ .

أنتِ مَثَلْتُ طبعها	في صفاء الحبة
هرةٌ انتِ انما	انت لي غير هرة
ان عينيك فيها	سرُّ 'لب' وفطنة
أخرى حزتِ سحرها	كم لدى الحب آية
كم توسدت جنبها	في فراش بنعمة
كم تملّيتِ روحها	في حنانٍ ورحمة
كم تشاكيتما على	نظرةٍ بعد نظرة
كم تصاحبنا على	'كل' يسرٍ وشدة
فإذا أنتِ رمزها	رب رمزي بدمية

\*

### حزن الفجر<sup>(١)</sup>

يا فجرُ تنبسُ فيكِ انفاس تنمّيها الحياةُ  
ما بالها همدت همود الطفلِ في اسر الجُناةُ  
انت الجنينُ وما وُلدتِ وإن لحنّاك الوليدُ  
كم ما ملّ قيكِ القريبُ وكلُّه امل بعيدُ  
انت الجديدُ وانت كشافُ السعادة للسعيدُ  
حين الشقيُّ يراك مهزلة من القدر العنيدُ  
يا فجرُ ما هذي التهاليلُ المنوعة الحسانُ  
اتراك من خطف الحياة لنا على رَغَم الزمان

---

(١) المصدر السابق ص ٥٤

يا ربما انت الكريمُ بها لقلب يرتجيكُ  
قلبٌ يداعبه الأليفُ كما يوانسه الشريكُ  
فتلقُ من هذي . العصافير المغردة الصلاة  
فلعلها ادرى بمعنىّ فيك اهدته الحياة  
امّا فؤادي فهو في حزنٍ وتبريحٍ دفينٍ  
فيري بزوغك كالأسى في النار والشدو الأنينُ

#### الشمس الغريقة (١)

أرى الشمس قد سقطت في العُباب . فما بالها الآن لا تنطفئ  
وما ذلك اللهم المُستثارُ على الماء من وقْدِ روح خفي  
أفي الماء نجوى فؤادي الحزين يُنْجِي الشفاءَ فما يشفي  
واي لظى في صميم المِياهِ سوى الحب يغزو ولا يكتفي

\* \* \*

وقفنا على اليم عند الغروب وكم في الغروب اسى للقلوبِ  
فأسمعنا الماء صوتَ الشجيّ ورفاً على النُورِ روحُ الكئيبِ  
وقد عثرت في خيوط الضياء فتاة السماء بموج عجيب  
فأشعلت البحر من سحرها وما سحرها غيرَ روحِ الاديبِ

\* \* \*

---

(١) اطياف الويبص ص ٧٠ .

وفي لحظة غاب ذاك القلبُ  
 فيا عجباً لصروف القدرِ  
 فما هو فانِ نراه خلدُ  
 وقد جنحت بهجتي للطربِ  
 وقد كنتُ أحسبه لا يغيبُ  
 وإن لم يكن منه شيء عجيبُ  
 وما هو باقي بسحر يذوب  
 كانت السرور وليده الكئيبُ

\*\*\*

وحان الوداعُ وكم في الوداع  
 فلاححت لفاتني عبيرةُ  
 وقد رأت الشمس مرأى الفناء  
 فريعت لمصرعنا الأدمي  
 دماء تراق وعمر يضاع  
 على خدّها كلظي في شعاع  
 وقد غرقت وهي رب يطاع  
 وهذي الألوهة تلقى الصراعُ

\*\*\*

### النظر الجري<sup>(١)</sup>

لا ترهبي نظري الجريء  
 هو نشوة الحب الطهو  
 روحى تطل عليك من  
 وتعب من هذا الحنان  
 هو خلعة من نعمة  
 خُطفت من القدر العتي  
 فعلام نخشاهما وما  
 هو لن يُسيء ولو أُسيء  
 ر ووثبة الروح المضيء  
 به وتحتلي القدس الوضيء  
 شراب كثرها الهنيء  
 علوية ليست تقيء  
 لدى ظلال من هدوء  
 فيها سوى الشكر البريء

(١) المصدر السابق ص ٩٨ - ٩٩ .

### الاشعة الحمراء (١)

مالي اراك جريئة	كالجرب في وثباتها (٢)
قد طال موجك زاخرا	متباديا كطفاتها
حين البنفسج في ودا	عنه كيلم ابايتها
أخفيت تحتك عصبه (٣)	جاسوسة بصفاتها
نقلت لنا صور الظلا	م نخاله كعداتها

\* \* \*

اُترى من الالوان رم	زُ حياتنا وحياتها
هذي عواطفنا عوا	طفها وصورة ذاتها

\* \* \*

### الأطيوار والبراعم (٤)

حل الشتاء فطيري	فالأرض ملهى الحفير
ظيري مع النور طيري	من الظلام المنفير
نشأت في الارض لكن	كنشأة للضمير
الى الطلاقة يمني	إلى الطلاقة طيري

---

(١) الكائن الثاني « ص ٢٠ » سنة ١٩٣٥ .

(٢) الأشعة الحمراء هي أطول الأشعة موجا اذ يبلغ عدد موجاتها في البوصة المربعة ٣٣ ألف موجة وعكس ذلك الأشعة البنفسجية .

(٣) إشارة الى الأشعة تحت الحمراء .

(٤) المصدر السابق ص ٢٥ .



كم فيك رمزٌ وروحٌ	من الفضاء الكبير
رمزُ البراعم تحففي	روح الربيع النضير
يقربُ فيها ولكن	الى زمانٍ يسير
وبعدُ يمضي شعاعاً	الى الوجود الخطير

### تعليم الذرة (١)

حَجَرُ الفلاسفة الذين تناوبوا سر العناصر عاد للأحفاد  
كم داعبوه خرافة سحرية وتراجعوا في حرقه وسهاد  
واليوم عاد مُجدِّداً ومُحقِّقاً في قوة الإصدار والإيراد  
في الكهرباء، ويا لها من قوة علوية عاشت على الآباد  
قهرت نوى الذرات حتى حطمت صوراً من الطاقات والآباد  
وكانها القلب المليء عواطفاً ينهدُّ تحت مصائب وعوادي  
فيذيع في دنيا المشاعر وجدّة ويسير في الأشواق والاحقاد  
ويبت في صور الفنون محوِّلاً ما بين أحياء وبين جاد  
وكذلك الذرات هَذَمَ بناها خلَقَ لأضدادٍ على أضداد  
لَبِنَاتُ هذا الكون من لبناتها وفؤادها نازٍ بكلِّ فؤاد  
فيها الكهارب كلُّ ماهو قائم خَلَفَ الوجود وكلُّ ماهو يادي  
من ذا يُقدَّرُ والحياة تسابقُ بين العقول كخال كلِّ طيراد  
كيف الغد الحُرُّ الجري مهْدُها ويصوغها حدقه المتبادي  
ويهنُّ تشييد البناء لعلهم مثلَ الجبال تهون للصياد

(١) الكائن الثاني، ص ٣١ .

من ذا الذي يدري؟ فكمن مضر  
ولقد يرى الأحفاد أن هومنا  
لعب وليس جهادنا يجهاد

#### عودة الراعي<sup>(١)</sup>

أرعى الطبيعة ابن سرت كأنني  
تسري العواطف في مسارب حسنها  
نشوانة من حسنها النشوان  
ولقد يُعاب علي ما أُعني به  
وكذا تُعاب هواية البستاني  
يارب اشواك فتنت بلونها  
او رمزها تحوي صنوف معاني  
ومشاهد مشت الطبيعة بينها  
في سترها المتواضع الفنان  
ضحك الغي علي من شغفي بها  
فتضاحكت من جهل بجنائي  
ورأى الصخور جوامداً ورايتها  
كناز زها يجلها الروحاني  
وتنصت أذني ككل مشاعري  
لغنائها الحاكي لكل زمان  
وجلس العشب المنور جاثم  
حولي كأن حنينه يرعاني  
في خلوة قد نضدت احلامها  
تنضيد احلامي ان ناجاني  
فتجاوبت روحي وهمس سكينتي  
وتطلعت صورا بلوح بياني

#### حلم الغد<sup>(٢)</sup>

بوركّت يا حلم الغد	وبقيت كنزا في يدي
وملاذ تفكيرى ومنق	لذا ما أعز ومُسعدى
لم يبق في الدنيا أما	مي غير فخر المعتدى

(١) عودة الراعي ص ٢ طبعة سنة ١٩٤٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٣ .

والناس من مستعبد      يسوي الى مستعبد  
صار المدافع كالمها      رجم في المنى والمقصد

\* \* \*

بوركت يا حلم الغد      وبقيت كنزا في يدي  
اني لاستبق القرو      ن الى التي لم تحسد  
فأرى بني الانسان في      اسمى الإخاء المفرد  
يتعاونون وكلهم      يجد الوجود كمعبد

#### حداد القطن<sup>(١)</sup>

ما بال' غالي القطن لم يُسعف بمرجو الرحيق'  
النحل' تشكو بخله وهما الشقيق' من الشقيق'  
اتراه في يأس من الأيام اخلد للحِداد'  
اتراه قد يخسوه حقًا مثلما 'بخس السواد'  
ساءلته ومشيت كالمذهول بين حقول  
فتشاورت اوراقه همسًا كهمس ذبوله  
وتضاحكت أزهاره من بعد' تهتف' بالحياة  
وترد عنها السخر من أيدي الطغاة الى الطغاة  
قالت : نعم اني 'بجست' الحق في وطن' أسير'  
الكل' ينهب' فيه باسم العدل' او باسم الفقير'

★

---

(١) المصدر السابق من ١١٨ .

يا شعبُ قُمْ وانشُدْ حقوقك فالخنوع هو الممات  
تسكو والغريب وعلة الشكوى الزعامات الموات  
قد عمت الفوضى وقد دب الفساد بكل شيء  
فإذا سكنت فلن تمد ولن يفي لك أي شيء  
ما دمت تقبل ان تكون من الضحايا كالعبيد  
سيسومك القوام والاسبياد الوان القيود  
انهض وحاكم بائعك الى الهوى والى الفساد  
او مت ذليلاً لا يُقاسَ بذله حتى الجماد

#### الالهة والكون<sup>(١)</sup>

كل شيء في الكون سحر عجيب والغريب القصي فيه قريب  
يجهد العلم باحثاً بيننا وفقى من قبل واحتواه الأديب  
هكذا كل ذرة من كياني تحتوي العالم العظيم الساني  
أنا فان وفي المدى غير فان وكياني هذا الوجود الرحيب  
والإله العظيم هذا الضياء ومعانيه اجملتها السماء  
لا ابتداء له وليس انتهاء او شروق لوحيه او غروب  
كل شيء من حولنا يتحول ولو ان الخلود طبع مؤصل  
سوف نحيا على ضروب تشكل بيننا الاصل واحد والضروب  
لبسات الوجود موج يدور قد تجلى به الإله القدير  
والجمال الذي به نستنير غاية للوجود لا تستريب  
هو فنّ نوى به الفنان هو كون ارواحه الأبدان

(١) من الساء ص ١٢٦ ، طبع في نيويورك ديسمبر سنة ١٩٤٩ .

هو معنى ما فاته الامعانُ وتناهى اليه شعرٌ حبيب  
ما ابتهالي إلا ابتهالُ لنفسي فأنا ملهمٌ جناني وحسي  
وحناني الى الإله وقبسي من سناه استجابة لا تجيب

### الامواج

هدهدي بالهدير أيتها الامواج قلبا الى حمالك اطمانًا  
واسكي الراحة الحبيبة فيه انت برءٌ لمثل قلبي المعنسى  
تغسلين الحصى وتلك قلوبٌ بُعثتْ في الرمال حتى دفنًا  
ثم جددتها نشورا وطهرا ثم اشبعها حنانا ولحنا  
وأنا الحاسر الذي جاء يستجدي حياةً لديك هيات تغنى  
ما ترانيمك الشجيةُ إلا ما تمنى السلام لما تمنى  
تتجلى كثورة وهي أمنٌ وأحب الثورات ما عاد أمنا  
كمرويت الغرام عن سالف الدهر وما زال ما تقصين فنسًا  
وتغرّين في ثوانٍ بأعمارٍ وتلقين بعد شبيك دَفْنًا

\* \* \*

هجرت مهجتي الحزينة دنيا كل صفو لها تقاضته دنيا  
واقتهت حرة اليك فما خاب لها مأملٌ ولم تلق مينا

\* \* \*

أناحي\* مستغرق في الهدير العذب لا يستعاض وحيًا ولونا  
وكان الأرباب مثلي حواليه اصاخوا وما اشتوا عنه بينا  
فنبهنا بما حكى واستعدنا وحديث الأنام لغوٌ لدينا  
وحياة الأرباب ليست تعلّى ببيان الورى وليست تُدَتّى

## ثقتي بمآل الانسانية<sup>(١)</sup>

### دستور لوحدة العالم

انني الأمين على السنين الحاني وأنا الوصي على مدى الإنسان  
ورهبين' أحلام. سميت بفتوحه بينا هزائمه على جسائي  
تلك الندوب على الجراح شهيدة وكذاك روعة' بأسه الفتان  
وعجيب' لغز. للحياة مقدس لغز الألوهة والسنى الروحاني  
عقلي تمثل في قياس نجومه ونهاي في استيعاب غير القاني  
وعلى حياتي اليوم يتبع في غد. حكم الذين تتبعوا ايماني  
ومقالهم صدقا حلت' موفقا إرث البرية عز' في الأثمان  
واذا نما الإنسان في تأمله بنهاي أو بحجاي او يجناني  
وازداد في معنى التفهم روحه حرافسوف يعيش في الازمان  
ولسوف تغدو السرمدية للورى أقصى وأفسح من خلود دان

## يوم العمل<sup>(٢)</sup>

عرفناك يا يوم عيد الحياة فإن الحياة لمن يعمل'  
كذا علمت علمنا الكائنات واسمى الكواكب والمنجل  
وفي الحركات صميم الحياة اذا فاتها الملت المهمل  
فنب حولنا راقصاً ضاحكا ايا عيد واحفل كما نحفل'

---

(١) من الساء ص ١٠٦ .

(٢) من ديوان غطوط لاني شادي باسم « ايزيس » .

فهذي الجموع شهود الكفاح رموز السلام الذي يؤمل  
نعيش بعصر له ثورة على الضعف والجهل لا تجهل  
فيا أمم الشرق لا تيأسي فما عَزَّ دونك مستقبل  
هلمي مجنحة بالعلوم الى الشمس فالشمس لا تنزل  
هلمي محصنة بالعدالة للمجد فالجهد لا يبذل  
وحسبك موعظة يوم عيد تشارى به الناس واستأهلوا

### وطني الاول<sup>(١)</sup>

لج الحنين اليك حتى خلعتني وأنا القصي غدوت غير النائي  
واذا الفصول جميعها نواحة حولي بعطرك تستثير رجائي  
واذا السماء برعدها وبروقها. زرقاء مثل سماءك الزرقاء  
واذا الجمال بكل مرأى حقني يَفْتَرُّ لي يجالك الوضاء  
واذا الحياة وقد رشفت نعيمها ليست سواك بخاطري ودعائي  
هذي المشاهد كيف كن شهيدة لتلهفي وتبسمي وبكائي  
مزجت بأفراحي وأفراحي معاً فكأنها مثلي من الشهداء  
واذا بكيت بها فانك دمعتي واذا شدت بها فانت غنائي  
ما فاتها مني الوفاء وفاتها أرضي لديك وجنتي وسمائي  
عاث الطغاة مدى فما هادنتهم ورحلت ارشقهم بصدق هجائي  
كانت فعالي قدوة وعواظي ناريرة وأسكنها كدمائي



---

(١) من شعر المهجر وهي مأخوذة من ديوان « من ألتشد الحياة » وهو مخطوط لم يطبع بعد .

وطن الصبا وعزيرِ احلام الصبا ما زلت لي حليماً وحلو عزاء  
 حملت في شيخوختي اعباء من قبعوا ومن وناموا على الاقضاء  
 وتخذت لي منفاي منبر دعوة للثأر من ضيم ومن أدواء

★

ونحب ان نختم هذه المختارات بقصيدة غناها قبل وفاته بعام وسماها  
 ( فلسفتي ) وفيها يقول :

شربت فلسفتي من نبع الآلامي	وقبلها عب منه قلبي الدامي
وما برحت أغني زائراً أبداً	كأن آلام قلبي لسنن الآلامي
كأن دمعني أناشيد قد احتبست	حتى تراق على قدس انعام
وان حسدت كأن البؤس لي شرف	وكل اهل الغنى في البؤس خدّامي
انا الضعيفُ ولكنني الغنيُّ على	نفسي اذا النفس لم تمعاً بأحكام
اياك أياك يا نفسي مهادنة	للظلم او فاقبعي في سجن ظلام
معنى الحياة ابتسام لا يفارقها	وان أحيطت يجذب غير بسلام
عابو الحقيقة في شعري وما سكنت	سوى الحقيقة اسمي شعري السامي
ماسفٌ يوماً وان يحبه من جهلوا	ان الحياة تعالت فوق احلام

\*\*\*



# بشارة الخوري

الأخطل الصغير

سيرة  
مختار الزين من آثاره

بقلم  
أديب مروه



## حياته

- ١٨٩٠ - ولد الشاعر بشاره الخوري « الاخطل الصغير » في بيروت ،  
لأب طبيب هو الدكتور عبدالله الخوري وأم من آل نعيم .
- ١٩٠٢ - ادخل « المدرسة الارثوذكسية الاكليريكية » في بيروت ، بعد  
تعليم ابتدائي بدائي ، وكان التلميذ « الماروني » الوحيد في  
هذه المدرسة حيث تتلمذ على الشاعر شبلي الملاح .
- ١٩٠٤ - بعد اقفال هذه المدرسة انتقل إلى « مدرسة الحكمة » التي كان  
لها الفضل في تنشأته ادبياً وعربياً .
- ١٩٠٦ - قصد مدرسة « الفرير » للتضلع بالفرنسية حيث مكث بهاستين .
- ١٩٠٨ - أسس جريدة « البرق » بمناسبة اعلان الدستور العثماني هذا  
العام ، وقد أصبح اصدار الصحف حراً .
- ١٩١٤ - احتجبت « البرق » عن الصدور ، ولجأ الشاعر إلى الجبال  
متخفياً من ملاحقة السفاح جمال باشا .
- ١٩٢١ - استأنف اصدار « البرق » حتى عام ١٩٢٨ يومية سياسية ،

وقد جعلها منبراً للشعر والأدب والمجلات السياسية على الانتداب،  
وفي عام ١٩٢٨ حولها إلى مجلة أدبية اسبوعية ، وظلت تصدر  
حتى عام ١٩٣٣ حين عطلها الفرنسيون بسبب قصيدته في رثاء  
الملك فيصل الاول التي القاها في بغداد .

١٩٣٧ - انتخب نقيباً للصحافة اللبنانية .

١٩٣٢ - عين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق .

١٩٥٢ - اصدر أول ديوان شعري له بعنوان « الهوى الشباب » .

١٩٦١ - احتفل بمهرجان تكريمه في بيروت حيث يوقع بامارة الشعر  
العربي ، وقد صدرت له في هذا العام مجموعة شعرية بعنوان  
« شعر الاخطل الصغير » ضم معظم قصائده واشعاره . وله  
مؤلفات اخرى معدة للنشر ، منها : « من بقايا الذاكرة » ،  
و « كبار واصفياء » و « بين الشعر والسياسة » .

١٩٦٨ - توفي عن عمر يناهز الثمانية والسبعين .

## تمهيد<sup>٣</sup>

حظ الشاعر - أي شاعر - بالخلود منوط بمدى تعبيره عن حياة أمته ، بما في هذه الحياة من مظاهر اجتماعية أو انفعالات عاطفية أو نوازع فكرية أو أماني وطنية أو أحاسيس جمالية ... فيصوّر بشعره كل ذلك ، ويبرز بقصائده أوتار القلوب فيستهوي الأفتدة ويستولي على الأذهان ، ويترجم بقلبه مشاعر عصره بصدق وأبداع .

تلك هي ، بصورة عامة ، مهمة الشعراء الخالدين في كل عصر ومكان ، ويستوي في ذلك الكتاب والفنانون والموسيقيون والفلاسفة والمفكرون .. والاختلاف بينهم يكمن فقط في عمق التفكير ، وفي طريقة التعبير ، وفي شكل الأسلوب والتصوير ، حسباً تتفتق عنه عبقرية كل منهم .

ونحن الآن أمام شاعر لبناني فذّ هو بشارة الخوري « الاخطل الصغير » وقد خلّف لنا طول حياته رصيداً ضخماً من الانتاج الفني الذي يعتبر ثروة غنائية ثمينة ، عالج فيه مختلف مظاهر الحياة ، فهل أدى مهمته على الوجه الاكمل ؟ وهل استطاع أن يعبر بصدق عن حياة أمته ؟ وهل يؤهله انتاجه حسب التحديد الذي شرحناه للخلود ؟

هذا ما سنحاول الاجابة عنه في هذه الدراسة بعد تحليل تراث الاخطل الشعري ، وسير اغوار شاعريته الخصبية ، ودرس مصادرها ومظاهرها ،

وسنعرض مختلف جوانبها ، ونعطي صوراً عن شتى تعابيرها\* وخواجها ونقف عند تجاربها والوانها وقفة النقد المنصف الدقيق لا وقفة المجاملة او الاجحاف متوخين الصدق والامانة والاخلاص ، ملعين بجميع العوامل والظروف التي كوَّنت من صاحب موضوع هذه الدراسة شاعراً علماً يعتبر عن حق رائداً دون منازع من رُوّاد الشعر العربي في النصف الأول من هذا القرن ، ويهمننا قبل ان نعالج الوان شعره وفنونه ان نلم ببنيته ومحيطه وتأثيرها في شعره :

#### بنيته ومحيطه

تفتحت عينا بشارة الخوري على الحياة في بيت علم وادب وثقافة ، فوالده الطبيب عبدالله الخوري كان يجمع في سهراته غالباً بعض الاصدقاء ممن ولعوا بالشعر والادب ، ويتقاولون القريض ويتبادلون منظوم القول في ما بينهم ويروونه في مجالسهم . وكان شقيقه الاكبر الدكتور يوسف الخوري ( وهو أيضاً طبيب كوالده ) يتذوق الادب ، وقد اقبل على الاشتراك بمعظم المجلات الادبية التي كانت تصدر في مطلع هذا القرن . ولا غرو ان اطلق الناس على هذا البيت الذي ولد فيه الشاعر ونمسا وترعرع « بيت الحكيم » ليس نسبة الى الطب كما هو متعارف في لغة اهل لبنان الدارجة ، بل نسبة الى الحكمة والمعرفة حسب اعتقادنا ، على اعتبار انه كان مقصد رواد الثقافة والعلم في عصر كان المتعلمون والمثقفون فيه قلة نادرة ، هذا الى جانب كونه محبّة طالب الشفاء وسائلي الدواء .

وفي مثل هذا الجو اتيسح لبشارة الخوري منذ نعومة اظفاره أن ترن

القوافي في أذنيه ، وتتجاوب نفسه الرقيقة ، وان يرى في الشعر مطمحاً تنزيه اليه نفسه ، وسيلة تحرك اوتار قلبه ، وغاية تتحفز اليها كوامن ورغباته ، نظراً لما كان للشعر في تلك الايام من قيمة تبعت على الاعتزاز ، ولما كان للشاعر من قدر كبير في نقوس الناس ، واذا به ينكب على مطالعة كل ما تقع عليه يده من كتب مفضلاً غالباً القديم منها<sup>(١)</sup> ويصغي الى اشعار الادباء في سهرات أبيه ، ويقتبص تطور النهضة الادبية والشعرية في مجلات اخيه .

وكانت البلاد العربية ، ومن بينها لبنان ، تعاني في مطلع القرن الحالي من جور العثمانيين واستبداد السلطان الطاغية عبد الحميد الأمرين ، وقد مرت باقطار الحرب فترة انتقال صعبة دقيقة ، لا سيما بعد ان اخذت انتفاضة النهضة الحديثة ، التي بدأت ثلاثين عاماً مع بداية القرن التاسع عشر ، تعم معظم مرافق الحياة ، وتشمل جميع الميادين من سياسية واجتماعية وأدبية . ولكن هذه النهضة لم تكن لتلقى مداها الرحب المنطلق ، نظراً لما كانت تصطدم به من عنت السلطات العثمانية ومن كبت التقاليد الرجعية ومعارضتها لكل حركة ناهضة ، ومن خنق الحكام لكل فورة وطنية . ومن هنا اشتدت اللحمة بين كل قطر عربي وآخر ، وقد جمعت بينها المصيبة ووحدت اواصرها عوامل الاضطهاد والقمع وبات كل صوت داو يرتفع في اية بقعة من بقاع العرب يتردد صده في جميع انحاء ديارهم .

### الجو الشعري المحيط به

وهكذا أفاق شاعرنا في مثل هذا الجو على دنيا العرب ، وقد طغت احداث الشعراء الكبار فيها على ما عداها ، . . اح الناس يتداولون نفثات

---

(١) كان كتاب « الأغاني » زاده الرئيسى في اكثر مطالعاته كما روى بنفسه .

قرايحهم وكأنها تعبر عما في نفوسهم من شتى المشاعر : ففي مصر كان هناك صوت شوقي، يسجل الاحداث العظام ويتغنى بأبجد العرب ،قتلتف قصائده الاسماع والافواه حتى سما بالشعر الى أوجيه ، وجعله اللسان الامثل المعبر عن خواطر الوطنيين والمثقفين ، وكان هناك محمود سامي البارودي الذي ادرك مطلع هذا القرن وظلت أشعاره حية تتناقلها الصحف والمجافل ، واسماعيل صبري ، وحافظ ابراهيم ، و خليل مطران... وكان في لبنان الشيخ ابراهيم المنذر والشيخ ابراهيم اليازجي وشيلي الملاط ... وكان في العراق الرصافي والزهاوي والكاظمي وفي سوريا كردعلي و خليل مردم وبدر الدين الحامد .

وجميع هؤلاء اعدوا للشعر العربي مجده ورفعته وكانوا أصحاب موهبة فياضة ، وقريحة لا تتضب ، وقد بدوا كأنهم اعمدة شوامخ في تاريخ الشعر العربي الحديث لا يقلون أصالة وقيمة عن ابرز شعراء العرب الاقدمين امثال المتنبي وايي تمام والبحري وايي العلاء وسواهم .

ويمكن القول ان نهضة الشعر لم تماشى قفزة النثر الا في مطلع القرن الحالي بيد ان سبقتها هذه الأخيرة ببعض العقود من السنين .

وما ان انطلقت نهضة الشعر حتى طفرت طفرة عظيمة ،وقد ترسم معظم الشعراء بطبيعة الحال خطر الاقدمين وحافظوا على تقاليد الشعر الكلاسيكية مع نزوع في الوقت نفسه الى التجديد والابداع والتوليد وقد اثرت فيهم الرومانتيكية الغربية التي كانت طابع الشعر والادب الحديثين من ناحية والمدرسة الرمزية التي كانت قد بدأت تجل شيئاً فشيئاً كفن جديد في عالم الشعر عند الغرب من ناحية ثانية . وفي هذه الفترة من الحيرة بين الشعر القديم والشعر الحديث ، ظل الأسلوب القديم يجد لنفسه سبيلاً على السنة الشعراء حتى يكاد شعرهم لا يختلف عما جرى عليه الاقدمون من تصوير الوان العواطف التي تمتلج في النفس وما يترقرق لاذهاهم من فنون الاخيلة في غزل او تشبيب أو حرقه جوى أو فرقة حبيب



أو في تغير الأيام . وقد تستعار العواطف استعاراً في مدح أو هناء أو ذم أو رثاء ، أو الى غير ذلك من مواضيع تلك الأيام (١) .

وكان لا بد للإخطل الصغير في مثل هذا المخاض ان يكون ابن عصره . وان يتأثر بذلك المخاض الذي يعانيه الشرق وان يمر بتجاربه فيصهرها ويتخذ لنفسه خطأ معيناً منها هو أقرب الى القديم منه الى الجديد ، لا بل استطاع ان يكون مدرسة خاصة به تستفيد ولا تقلد ، ثم توحى ولا تنقيد (٢) .

### انطلاقه وتطور شعره

اجل في مثل هذا الجو بدأت براعم الشعر تنفتح في خيلة بشارة الخوري ، وهو ما يزال على مقاعد الدراسة في مدرسة الحكمة في بيروت ، وقد اشتهرت هذه المدرسة في ذلك الزمن بانها معقل للغة العربية ، وموئل صفوة من خيرة المعلمين والادباء ، وقد تخرج منها عدد كبير من مهروا الأدب العربي الحديث بأنفس نتاج ، وكان من رفقاء بشارة في ذلك العهد الشاعر وديع عقل صاحب « الراصد » والشاعر الناصر جبران خليل جبران .

ويعترف بشارة الخوري هنا انه كان يلجأ في تصحيح منظوماته الاولى الى رفيقه وديع عقل الذي كان يسبقه بصف أو صفين .

وبطبيعة الحال ماذا ينتظر من شاب مراهم مثله أن ينظم حينئذ سوى في مواضيع الغزل والتشبيب والصبابة وتقديس الهوى والجمال . وهكذا بدأ شاعرنا بالغزل وظل يغزل فيه طوال حياته ، حتى أصبح أغنى شعراء الحب

---

(١) الفصل في تاريخ الادب العربي - الجزء الثاني .

(٢) ادوار امين البستاني ( مقال في العدد السابع من المعارف ) .

ثروة وعطاء ونتاجاً ، وارفعهم ذروة واوخرهم تفنناً ، فلقب عن جدارة  
« بشاعر الهوى والشباب » وكان الحب نجزة من طبيعته ظل يترنم به حتى  
واخر قصائده .

ولعل لتكوينه الجسدي ، ورقة طباعه ، ورهافة حسه ، ودقة مشاعره ،  
ولطف شمائله أثر بالغ في ترنمه بالجمال وهوايته الغزل ، واندفاعه في حب  
المرأة . وانكبابه على الحمرة والتغني بها ، حتى يحيل لمن يعرف بشارة الخوري  
شخصياً انه يعيش شعره أو ان شعره يشف عما في جسمه من رقة ونحول<sup>(١)</sup>.

ولا غرو اذن من كانت نفسه شفافة كجسم شاعرنا رقيقة لاجبة كما ينم  
عليه مظهره الا ان يكون رقيق الاحساس مفعم بأدق المشاعر عاش طول  
حياته متأثراً بما حوله من هموم ومشاكل عصره ، وألا يلقي الهناء الذي  
ينعم به عادة اولئك اللاأبالون الجامدون الاحساس ، الغليظو المشاعر . وفي  
ذلك ما اصدق ما يقول بهذا الصدد :

---

(١) من احسن ما وصف به شخص الشاعر بشارة الخوري هو ما ديجته براعة الكاتب اللبناني  
يوسف غانم في كتابه « مشاهد الرجال » فنقله هنا لتوثيقه في عرض ملامح الشاعر عرضاً رائعاً  
بليغاً :

« هو كالطيف في الحلم ، تكاد لا تتلمس معاله ورسومه ، قليل الظل خلا ما نفى عنه الرداء ،  
الخبير .

يمر في شخصه الضئيل مرور الغمامة افرغت مائها ، فخف جسمها ، فامرعت في جريسيما ،  
فاذا انت امام قامة كعمود القناة بدت كمومها ، قامة لا تحمل حجاباً لعظمها غير اهابها ، وترى  
فيها توتراً وانحناءً كقوس البض الرامي عنها فانطلقت نبالها .

ويهي اليك برأس درش الثلج شعره الكثيف برايل من ذراته ، فكساه بالبياض فتخال انك في حضرة  
شيخ اخنت عليه الايام والسنون ، فلم تبق ولم تذر ، ولكن خفة حركته ، وهي من خصائص  
غرائق الفتيان تطرد عنك هذا الخيال ، بل يطرده بريق عينيه من وراء المناظر يحمل شهوة الشباب  
ونشاطه ، ويهبط معه آيات النبوغ والمبغرية ... » .

عشت شقيماً ولم ابال      ولم ير الهنا ببالي  
اعلل النفس في نهاري      والزم الدرس في الليالي  
رق شعوري فرق جسمي      ورق ديفي ورق حالي

### شاعر الغزل

لقد قلنا ان شاعرنا بدأ بالغزل وظل طابع الغزل مسيطرأ على الكثرة الساحقة من شعره بما فيها حتى تلك التي شملت موضوعات شتى من وجدانية وسياسية ووطنية وفلسفية وتسجيل احداث ، وهو في كل ذلك يستهل بالغزل معظم الاغراض حتى الرثاء ، ويقترن غزله بوصف الطبيعة أو وصف نحوه مع نزعة خفية من الانفة والاعتزاز .

ولا يخفي بشارة الحوري نفسه تأثره بالبهاء زهير وعمر بن ابي ربيعة أكثر من غيرهما من الشعراء القدماء . وهذا عائد الى ان شعر هذين « الغزليين » قد لاقى في نفسه هوى مقيماً ، وتجابوا عبقاً وهو ما زال في مطلع الصبا ، مما جعل شاعرنا يقتفي اثرهما وينحو نحوهما بأسلوب عصري جديد ، ويحلي في هذا الميدان الذي جليا فيه لا بل ويبندهما فيه أكثر الاحيان ، ولنا عودة لتحليل شعر الحب والجمال والطبيعة والحجرة في الفصل المخصص لذلك من هذه الدراسة .

### اول الغيث

وهكذا نرى اولى قصائد الشاعر التي بدأت تطلع على الناس ابتداء من عام ١٩١٢ عبارة عن لوحات شفاقة من الغزل والصبابة والتشبيب الرقيق المبدع الذي يضرب على اوتار قلوب المحبين ويدغدغ مشاعر العشاق الموفين بعبارة الجمال ، كقصيدة « بلغوها اذا اتيت حاهما » ، وقصيدة « وقعة ايها

القمر تتشاكى » . وكلا القصيدتين شاعتا على الشفاء والالسن شيوع النار في  
الهشيم لا سيما بعد ان جرد في تلحينها المغنون وتناقلها المنشدون والمطربون<sup>(١)</sup>.

ومن هذه الناحية يكون الاخلل الصغير قد بدأ حياته الشعرية ناضجاً ما  
يتغنى به المطربون فبدا قوياً سامقاً ، عالماً ببيكولوجية الشعب ، مدرّكاً أهمية  
« الجنس » في حياة البشر فما لبث ان اشتهر بسرعة البرق ، واستمع الناس  
لقصائده الأولى وكأنهم يستمعون الى شاعر كبير ملهم عريق في دنيا القريض  
تتناقل شعره الركبان وتحذو بقصائده القيان .

### بين الشعر والصحافة

بيد أنه ما إن اخذ يشدو الشعر ويعرف كشاعر ذي باع طويل في دنيا  
القوافي والنظم ، حاملاً ذخيرة غارمة من الالهام والمعرفة ، مطلقاً قريحته  
على مداها بالقصائد العذاب ، حتى استهوته الصحافة ، وهو ما زال فتى لا  
يكاد يتجاوز العشرين ربيعاً . فاعتزم فرصة اعلان الدستور العثماني في ايلول  
سنة ١٩١٨ واطلاق حرية اصدار الصحف دون قيد أو عائق . وأسس  
جريدة « البرق » التي ما لبثت ان اشتهرت بسرعة وقد غلب الطابع الادبي  
عليها رغم مطامح صاحبها السياسية والقومية .

ونحن هنا وان كنا نتوقف قليلاً عند هذه الناحية من حياة شاعرنا مع  
اننا لسنا في مجال بحث نشاطه الصحافي ، فذلك لان عمله كصحافي قد خدمه  
كثيراً كشاعر ، ولان الصحافة فتحت أمامه آفاقاً بعيدة على العالم العربي ،  
فشجعت قريحته ، وجعلته يتفوق على نفسه في ميدان الشعر اكثر من تفوقه  
في ميدان صاحبة الجلالة السلطة الرابعة .

---

(١) قصيدة « بلغوها اذا اتيتم حاما » غنتها مطربة ذلك الزمان منيرة المهديّة بمصر .

واننا نجد أيضاً ان الصحافة كانت لديه بمثابة هواية اكثر منها مجرد حرفة . لان العمل الصحفي يصرف عادة صاحبه - نظراً لما فيه من متاعب مادية ومشاكل دائمة - عن ممارسة الانتاج الادبي ، لا بل ويقتل موهبة الاديب والشاعر اذا كان من يخوض غماره شاعراً أو ادبياً . فلطالما رأينا ادباء وشعراء استهوهم الصحافة فتحولوا عن مواهبهم الأولى واصبحوا كتاباً آليين لا تدع الصحافة لهم مجالاً لأي انتاج فني مستقل ، والامثلة على ذلك أكثر من ان تحصر . الا ان هذه المهنة كانت على العكس بالنسبة لبشارة الخوري ، فتحولت على يده الى ادارة للتعبير عن نفثات قريحته الفياضة التي خلقت فيه ، وسيلة لاشغال جذوة الانتاج والابداع الشعري في نفسه ، حتى لكأنه صاحب رسالة في دنيا الشعر ، وكانت الصحافة عنده كجهاز يحفزها على نظم اروع القصائد وقد أرسل على الدهر خلال الفترة التي اصدر خلالها « البرق »<sup>(١)</sup> قم اشعاره وخوالد منظوماته .

ومن هذه الناحية يكون بشارة الخوري من الادباء القلائل الذين لم تقتل الصحافة فيهم موهبتهم الاصلية ، ولم تضعف زخمهم الادبي في الانتاج بل كان من استطاعوا أن يخضعوا للصحافة لما قدر لهم ان يكونوا ، ولما كتب عليهم ان يؤدوا من رسالات . وهكذا رأينا الشاعر بعد تعطيل البرق نهائياً لا يحاول اصدارها ثانية ، بل يودعها غير آسف لكي ينصرف الى معاطاة النظم وحده ، بعد ان تبوأ في ميدان الشعر مركزاً يحسد عليه .

---

(١) تأسست « البرق » في ايلول ١٩٠٨ ، ثم عطلت عام ١٩١٢ فاستأنف عنها صاحبها بجريدة « صدق البرق » ولكن ما لبث أن استأنف اصدار الأول حتى عام ١٩١٤ حيث قضت الحرب على معظم الصحف ، وفي عام ١٩٢١ أعاد اصدارها جاعلاً منها متبراً للشعراء وادباء العرب ووسطاً وطنياً يلهب ظهور المستعمرين . وظلت تصدر حتى عام ١٩٣٣ حين عطلها الفرنسيون بسبب قصيدة الاخطل في رثاء الملك فيصل الأول .

## لماذا الاخطل الصغير ؟

بعد هذا التطواف في المدى الرحب الذي خلقه شاعرنا خلقاً عبقرياً ، يطيب لنا ان نعرف لماذا لقب « بالاخطل الصغير » . كانت الحرب العالمية الاولى - والكلام هنا مستوحى من ذكريات الشاعر نفسه - ثم كان عهد جمال باشا في سوريا ولبنان ، وهو عهد النفي والمشنقة ، بل عهد الارهاب بجميع اسبابه وانواعه ، وانطوت الاعوام بعد الشهور على حالات شتى من اليأس ، ومفاجآت مفعمة بالخاوف حتى كان تموز من عام ١٩١٦م ، فاذا شاعرنا مطمئن قليلاً الى نفسه ، يأنس كثيراً بكتبه بعد طول وحشة وأليم غربة ، لقد كان هو وجميع الناس يتنسمون الاخبار عن البادية حيناً وعن البحر حيناً آخر ، ولا يدرون ايدركهم السلم وفيهم رمق من حياة . وكانت الحاجة ماسة الى اثارة الخواطر في البلاد تمجيلاً ليوم الخلاص وهو كل امنية البلاد العربية في ذلك العهد . ولم يكن ليجرؤ احد ولو في الحلم ان يرسل في ذلك قصيدة يترجع صداها ... وكان يعجبه من الاخطل خفة روحه وابداعه في اصطياذ المعاني يقودها ذليلة الى فصيح مبانيه ، وفوق ذلك كان الاخطل الشاعر المسيحي الفذ الذي تفتحت له ابواب الخلفاء ليملاؤها لذة وطرباً وأدلالاً بل يملأها ذلك الشرف الذي لا يبلى والمجد الذي لا يفنى . فرأى بشارة الخوري وهو يدعو للدولة العربية وموقفه منها موقف الاخطل من دولة بني مروان ، ان يدل على حقيقة الشاعر المتنكر ، فلم ير « كالاخطل الصغير » يوقع به ما كانت تقطره القريحة المتألمة .

## مراحل شعره

قد يكون من الخطأ في دراسة شعر بشارة الخوري ان نعتد على التقسيم التاريخي للتطورات الزمنية التي مرت بها قصائده واشعاره ، وان كانت آثاره

الشعرية قد مرت من هذه الناحية بثلاث مراحل تاريخية محددة :

الاولى - تمتد من عام ١٩١٢ حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ( واذا كنا قد اتخذنا من هذا العام « نقطة الانطلاق » فذلك لأنه لم يعرف للاختطل الصغير قبله شعر مسجل محفوظ، اللهم سوى بعض التفثات البدائية والمحاولات الغنائية - مما هو طبيعي في مطلع صباه - لم يرض الشاعر عنها في ما بعد كما يبدو فأهملها ولم يثبتها في ديوانه اللذين صدرا حتى الآن ) . ومهما يكن فان حكنا على شعره يبدأ من هذه المرحلة بالذات ، وقد طفت عليها قصائد الغزل والتغني بالجمال والطبيعة وما يشمل ذلك من وجد وصباة الخ... غير انه تخللت هذه الفترة بعض القصائد الاجتماعية والوطنية التي تصور ما مر بلبنان وبلاد العرب من احداث ومشاهد، وما تركته الحرب من آثار وويلات في النفوس.

والثانية - تشتمل فترة ما بعد الحرب الأولى حتى مطلع الحرب العالمية الثانية وتعتبر هذه المرحلة من اخصب مراحل حياة الشاعر انتاجاً . وقد نظم خلالها قلائد شعره وابدع منظوماته . وفيها غنى العروبة والوطنية فوق منابر شتى العواصم العربية . كما اخرج ارق قصائده الغزلية الغنائية واشهرها.

والثالثة - تنطلق من الحرب العالمية الثانية الى أخريات أيامه ، وفي هذه المرحلة دخل الشاعر عهد الكهولة وقد تقدم به السن فأصبح مقلًا في النظم خلال الفترات التي دعي فيها الى المشاركة في مناسبات عامة . فاذا هو يظل محافظاً على مستواه الشعري الرفيع محتفظاً بطابعه الشعري الراقى . حتى ان شعره في هذه المرحلة لا يقل قيمة مطلقاً عن شعر سائر مراحل حياته ان لم يكن يفوته ويتعباه نضوجاً وكالاً وحرصاً على دقة الصنعة .

وبطبيعة الحال لا يمكن للناقد أن يعتمد هذا التقسيم التاريخي لدراسة شعر الشاعر ، ولذلك نعد الى تقسيم شعره على أساس المواضيع التي طرقتها واشتهر

بمعالجتها ، والآفاق التي حلتى فيها وإبداع ، والفنون المختلفة التي وقف انتاجه عليها .

ومن هذه الناحية يمكن تقسيم اشعار بشارة الخوري الى ثلاث فئات ايضاً . أولاً - الشعر الوجداني العاطفي ، ويدخل في ذلك الغزل ووصف الطبيعة والمحريات . ثانياً - شعر الاحداث الاجتماعية ، وتصوير الانفعالات العامة ويدخل في ذلك شعره القصصي وحكمه وامثاله . ثالثاً واخيراً - شعر المناسبات الوطنية والسياسية ويدخل في ذلك تسجيله بعض الاحداث التي هزت لبنان أو العالم العربي . ومراثيه ومدائحه التي قيلت اغلبها في أديب أو وطني أو صديق . ثم نخلص من ذلك في ختام هذه الدراسة الى الدور الذي قام به في الشعر العربي المعاصر .

\* \* \*

### شعره الوجداني العاطفي

لم يبلغ قط اولئك الذين اطلقوا على الاخطل الصغير لقب «شاعر الهوى والشباب» فهو بحق يعتبر اغنى شعراء العرب المعاصرين تغزلاً بالمرأة وتعبيراً عن خوالج القلوب وخليجات النفوس الشابة المتعطشة الى الحب والمتعة . وجميع اشعاره تقريباً صادرة عن عاطفة جياشة وحساسية فائقة الحد، وإن كان الشعر في الأصل هو تعبير من الشعور، فإن شعور بشارة الخوري كان متجهاً بكليته في جميع عهوده نحو الغزل والتشبيب ، حتى انه اتبع في اغلب الاحيان اساليب الاقدمين من اقصاء الغزل في مطلع كل قصيدة وفي كل موضوع حتى ولو كان الموضوع رثاءً وبكاءً وتأسياً على فراق كبير عزيز .

وما زال الكثيرون يذكرون مطلع قصيدته الشهيرة في رثاء الزهاوي كيف بدأها بغزل طروب مفنّاج قد يتنافى مع روح المناسبة ، ولكنه عدّ في ذلك



الوقت تخلصاً بارعاً من ابداع ما انتجته قرائح الشعراء...واسمعه يقول  
في الزهاوي مترنماً ببغداد :

قولي لشمسك لا تغيب  
وتكبدي فلك القلوب  
بغداد يا وطن الجهاد  
ومرضع الادب الخصب

ويضي في وصف الفرات ودجلة ، النهرين الشاعرين ، ويستعيد فيها اعراس  
دارا ، ومحافل الرشيد وصور المجد « بين الأشعة والطيوب » الى ان يقول :

بغداد يا شغف الجمال  
وملعب الغزل الطروب  
بغداد ما حمل السرى  
مني سوى شبح مريب  
جفت له الصحراء والتفت  
الكئيب إلى الكئيب  
وتصتت زمر الجنادب  
من فوهات الثقوب  
يتساءلون وقد رأوا  
قيس الملوّح في شجوبي  
والتمتأت على الشفاه  
مضرجات بالنسب  
تبكي لها قبل الصبا  
ويذوب فيها كل طيب  
يتساءلون من الفتى  
العربي في الزي الغريب

ولا شك بأن ما في هذا الشعر من التشبيب اللاعج والنسب الرقيق والاناقة  
في التعبير والغزارة في الصور ، والصدق في المشاعر، وانتقاء الالفاظ السحرية  
ما يبعدك عن غرض القصيدة . ويجعلك تعباً معه هذا الخصب في الفن الذي  
يقدمه بين يديك .

ذلك هو على العموم معظم شعر بشارة الخوري العاطفي الوجداني ، مفعم  
بالصور والجمال ، والتغزل بالمرأة والطبيعة وكل ما هو فائق جاذب في هذا  
العالم المشبع بالجماليات التي لا تحصى ولا تعد انواعها .

ويمكن القول ان معظم ما نظمه الشاعر في المرحلة الأولى من مراحل شعره التاريخية كان مقتصرأ على الغزل وحده ، وقد طرق معظم أبوابه وجدد فيها وشاها بالصور الجميلة والخيالات الراقصة ، وطرزها بالبديع من الاحاسيس والمشاعر الطروية الغناء . وهو مع تقيده بأساليب القدماء الا انه كان مجدداً الى حد ما ، لا متطرفاً مغالياً في التجديد، ولعل لاطلاعه على الادب الغربي تأثيراً بالغاً على تجديده في شعره الغزلي وتأثره بالمدرسة الرومانتيكية اكثر من غيرها .

### ترجماته

ونلاحظ ان الشاعر كان في مطلع عهده ما يزال يتلمس طريقه كجميع الشعراء الناشئين بدليل انه تأثر ببعض الشعراء الفرنسيين الرومانتيكيين ، ولم يصمد امام الشغف بهم حتى نقل كثيراً من صورهم لا بل اقساماً قائمة بذاتها من شعرهم هذا الى جانب القصائد التي ترجمها ترجمة تكاد تكون حرفية . ويقول صلاح لبكي في ذلك<sup>(١)</sup> : «ولكن بشارة الخوري الذي بدأ يقرض الشعر سنة ١٩٠٩ على هذا النحو ما لبث ان عكف على مطالعات اجنبية خلبته ، فعرب قصائد كثيرة ، وقد تكون هذه المطالعات هي التي صرفته إلى نحو آخر من الوصف : إلى وصف اللواعج وما اليها من حنان وعطف ورضى وغضب » .

ومن اجل قصائده التي ترجمها في ذلك العهد قصيدة « ماذا اقول له » لمتزلنك :

ماذا أقول له إذا رجعا يوماً ولم يبصرك في القصر  
ماتت عليه أمي أجيبه

(١) لبنان الشاعر لصلاح لبكي ص ٨٤ .

انها الحبيبة التي تتحدث إلى وصيفتها ، وقد أشرفت على الموت عشقاً  
لذلك الفتى البعيد ، في جو خيالي يمدنا الى جو القرون الوسطى ، وتظل  
الفتاة تتناهى في الرقة والعطف وانكار الذات في سبيل الجيب حتى تبلغ  
روعة قولها في البيت الأخير :

واذا اراد بأن نسير معاً      للقبر كي يبكي على القبر  
رحماك ان الدمع يؤذيه

ولعل ما امتاز به الاخطل الصغير في ترجماته انها كانت من الشعر العربي  
الفصيح الذي لا يمكن لأحد ان يخال انها معربة . ومن الشعراء الذين عرب  
هم عن الفرنسية : سولي بريدوم ، وماترنك ، والفريد دي موسيه ، ولويس  
بوايه وسواهم ممن لم يذكر الشاعر اسماءهم مكثفياً بالإشارة في بعض قصائده  
الترجمة انها « مقتبسة عن الفرنسية » أو أنه يضمن المترجم منها في قصائده  
الطوال مع وضعها بين هلالات . والسفر في هذه القصائد كما قلنا ان الشاعر  
حافظ فيها على حسن ديباجته العربية الجزلة وعلى اسلوبه البليغ ، ونفسه  
العاطفي الجامح الذي بدأ يطبع به منظوماته الأولى ، وأصبح يتميز به في  
ما بعد في سائر اشعاره .

ولكنه ما أن سلس له قياد الشعر حتى اقلع عن الترجمة وانصرف إلى  
الانتاج الشخصي الصرف يفرغ فيه حشاشة قلبه ونفثات افكاره ويعبر عن  
انطباعاته الخاصة وحدها . وقد بدأ حياته تجتذبه المذات ويسحره الجمال ،  
فينصرف إلى الغزل دون سواه :

قلب تمرس بالذات وهو فقي      كبرعم لمستهِ الريح فانفتحا

ولم يكن يهيم من يومه سوى انشاد الحب والعزف عن سائر هموم الحياة ،  
شأنه في ذلك شأن اكثر فتيان ذلك العصر ، وربما كل عصر :

ما همني ولسان الحب يهتف بي اذا تبسم وجه الدهر او كلحا  
وهو في ذلك يجعل من المرأة قبلة شعره وكأنه مبعوث العناية الالهية إلى  
دنيا المحبين لكي يمجدا جمالها ويتغنى بها قائلا :

أنا ناي الهوى الذي اخترع الله وانت الفريد من انشادي  
حتى لكأن الشعر ما وجد الا للتغزل بالحسن ، أو ان الحسن لا قيمة له  
لولا الشعر :

ما الحسن لولا الشعر الازهرة<sup>١٠</sup> يلهو بها في لحظتين النظر .  
ولكنه ما يلبث ان يتبرم بالهوى والجمال لعله تبرم المغناج المدلال :  
أنا العاشق الوحيد لتلقى تبعات الهوى على كفتي ؟

ومع ذلك قد يستغرب قارئ اليوم ما في هذه المرحلة من شعره من مظاهر  
بدائية ومعان قد تبدو احيانا ساذجة يمجها ذوق العصر الحاضر ، وان كانت  
تعبّر في حينه عن روعة في النظم ، أو طراز مبدع من القريض المحب المألوف  
كقوله في قصيدة :

آه يا هند لو ترين موقفي بين حائطين<sup>(١١)</sup>  
لا بحيران أخرسين وعلى الخد دمعين

لو ترين

انصف الليل لا أنام كلهم كلهم نيام  
وانا يشهد الغرام بعث للسهد ناظرين

غاليين الخ ...

ومع ان قارئ اليوم قد يجد في هذا الشعر عبارة عن « صف كلام »  
اقرب ما يكون إلى الزجل البسيط منه الى الشعر الرفيع الا انه بلغ من

---

(١) ديوان الهوى والشباب ص ٤٥ .

إعجاب الأوساط الأدبية في ذلك العهد بهذه القصيدة حداً أن جريدة «السائح»  
التي تصدر في نيويورك نشرتها وطلبت إلى الشعراء معارضتها فعارضها كل من  
الشاعرين القروي وندر هداد (١) .

غير أن ذلك لا ينتقص من شاعرية «الاخلطل الصغير» الغنائية التي  
اتسمت بالروح الرومانتيكية ، وقد تأثر بها الاخلطل تأثراً كبيراً ، وهي  
تتجلى في مظاهر شتى تبرز في مختلف شعره الوجداني العاطفي :

— منها ولعه بالطبيعة ينج بها في كل موضع حتى في الرثاء ويمزجها مع  
الغزل في انصهار سحري بديع .

وقد بدا الاخلطل هنا مفتوناً بالصور الجميلة والتشبيهات المستعارة من  
احضان الطبيعة فيطلقها على اوصاف الحبيبة :

حملت كل روضة أجمل الزهر      وصاغت منها ليدك عقدا  
وافتدى كل جدول يتمنى      وانبرى كل بلبل يتصدى

فاذا شعره توججات ينبوع رقرق ، ورياض تنضوع بالشذى والرياحين ،  
تصدع فيه البلابل والأطيوار والأزهار والأضواء والظلال ، ويمور بالندى  
العطري والانسام اللاعبة ، يصطبغ الفجر فيه بالرؤى والأحلام إلى آخر  
ما هنالك من صور ووصاف تضح بالحياة ، وتضخ بالحبور والاشراق ،  
فتبعث المتعة في النفوس ، وتدغدغ المشاعر وتنقل القسارىء إلى جو شعري  
عابق بالجمال ينضح بالصبا والربيع والشباب ، ومحور كل ذلك حوار الفاتنة  
يغنيها بأسلوب يهز أوتار القلوب ويحرك الوجد الدفين . كقوله مثلاً يصف  
هنداً :

---

(١) ديوان المهري والشباب ص ٤٥ .

انت هند تشكو الى امها  
فقاتل لها ان هذا الضحى  
وفر فلما رأني الدجى  
وما خاف يا أم بل ضمني  
وحشت الى الروض عند الصباح  
لاحجب نفسي عن كل عين..

— وتتجلى الرومانتيكية أيضاً في شعره الوجداني الذي يعبر به الشاعر  
عن ذاته تعبيراً قوياً ، كقوله :

وانا الذي غذى الجمال بشعره  
أنا يا ربيع لا أمن ، قصائدي  
وفي تلك السحابة من الأسى والكآبة يتلفح بها الشاعر في معظم  
موضوعاته الغزلية ، فيكثر من ذكر الجراح والشحوب والوهن :  
يا ليل قد وشحتني بالأسى ما عشت الا لأطرح هذا الوشاح  
وقد يبلغ به الوجد والصبابة حداً يرى صدر الحبيبة عرشاً فيتمناه نعشاً  
يدفن فيه نفسه :

زهرة الورد صدر هند لك العرش  
أم هو المستطاع يطعم فيه زهرة الورد ليت عرشك نعشي  
وتراه هنا يمزج الفرح بالحزن والبهجة بالأسى كقوله :

أيها البلبل المغرد في الليل  
أنا أدرى بالطير حين تغني  
أو قوله :

قالوا الربيع فقلت ما انكرته  
رشف الدموع وردهن تبسما

وهكذا استطاع الاخطل ان يجمع في شعره التسميم والدموع وهما ضدان  
ما كانا ليأتلفا لو لم تتح لهما شاعرية فياضة كشاعرية الاخطل .

- وتتمثل رومانتيكية الاخطل ايضاً في غزله العفيف العذري الطروب  
الذي تتناقله اصوات المغنين ولا تأنف من ترداده الخدشات ، ولا يخرج عن  
حدود الأخلاق ، وهو لا يتجاوز في غزله القبلات والمداعبات الرمزية :  
ما كان احلى قبلات الهوى ان كنت لا تذكر فاسأل فك  
او قوله :

مر هذه الاطيوار أن تنشدا      فتنشدا  
مر هذه الاقمار ان تسجدا      فتسجدا  
وبعد فافعل ما تشا      في فتاك  
فشفتاك حسي ... فماذا تبغني مقلتك ؟

وهكذا تراه لا يتعدى في غزله الشفاه والعيون والوجنات والثغر والنجح  
والنهود ومن أحلى وصفه للعيون :

يا عيوناً اوحت الينا الغراما      اجنوناً سقيئنا ام مداما ؟  
ومن أرق غزله في الثغر :  
انت عسلت ثغرها فقلوب      الناس نحل اكلامها شفتاها  
ومن قوله في الشفاه :

ما للشفاه الكسالى لا تزودنا      فقد حملنا على افواهنا القربا  
ومن جميل وصفه للنهود :  
وعلى صدرها متى تنهد      موجة هزت الصغيرين في المهدي  
فاشرأبا كمن تخوف شيئاً .

أو قوله :

سكر الروض سكرة صرعه      عند العبير من نهديك

واخيراً تراه العاشق المذنب المفتون بالجمال الذي يضحى بكل شيء في  
سبيل هواه على مذبح الحب والجمال وكان الذنب ليس ذنبه ان هو عشق  
وأحب :

قل لمن لام في الهوى      هكذا الحسن قد أمر  
ان عشقنا فعذرنا      ان في وجهنا نظر

لا بل هو يتشفع بعبادة الهوى لكي يحول بينه وبين دخول الجحيم :

ولو ان بعض هواك كان تعبداً      وحياة عينك ما دخلت جهنم

وقد يطول بنا المقام لو استعرضنا جميع قصائد الاخطل الغزلية ولكننا  
نجد أنه استطاع أن يكتف في معظم اشعاره تأثره بالغزل القديم وبالمدارس  
الحديثة في آن واحد ، وليس أدل على تأثره بالقديم مثلاً من ملحمة الشهيرة  
« عمر وبنعَم » التي قالها في إمام شعراء الغزل عند العرب: عمر بن أبي ربيعة .  
وقد أفرغ فيها بكل إعجابه بالشاعر فروى قصة هواه بنعمى ، وقد وضع عمر  
في مرتبة تلو عن قيس بن الملوح وكثير عزة :

لو أنصف الشعر لكنت قبلة      معسولة في ثغره يا عمر  
أو أنصفت نَعَمَ وقد أبرزتها      للفتنة الكبرى مثلاً يؤثر  
في بدعة للشعر لم يحلم بها      قيس ولم ينهد لها كثير

أما من مستحذات الاخطل الصغير فهو ما اخذه احياناً عن الرمزيين  
ليس من حيث الاغلاق في المعاني ، بل في الاكتفاء بالاشارة والتلميح وفي  
الموسيقى المعبرة بحد ذاتها كقوله يشكو مثلاً من تعطيل جريدته البرق في



قصيدته « الصوت موهبة البهاء » وقد جعل من نفسه بديلاً :

والغصن والاوراق آذان له ماذا ترى فيها النسيم يقبّب  
واذا الضحى امت بوارق ثغره نادى بأجناد الطيور تأهبوا  
فسمعت للاطيار موسيقى على نغماتها يأتي النهار ويذهب

ولا شك بأن القارىء قد يحتاج إلى شيء من العناية لكي يكتشف خلال هذه الصورة ان المقصود بهذه الأبيات هو تصوير عمل الصحافي الذي اتخذ الغصن والاوراق آذانا له وان النهار يأتي ويذهب على موسيقاه مع كل عدد من جريدته .

ومن أجل رمزياته الغزلية التي لا تقل روعة ودقة عن أساليب الشعر الحديث نموذج ١٩٦١ هذه الأبيات :

قد أتاك يعتذر لا تسله ما الخبر  
كلها أطلت له في الحديث يختصر  
في عيونه خبر ليس يكذب النظر

لا بل قد يفرق أحيانا في الرمزية حتى تكاد تعتقد أنه من السريالية الموشحة بالغموض كقوله :

ان تكن أنت أنا وجعلنا الزمننا قطرة في كأسنا

وهكذا نجد أن من أهم خصائص شعره الغزلي دقة الوصف والأفتتان بالطبيعة ، وثأره بالقديم مع أخذه بأساليب الرومانتيكية الحديثة وهو بحق شاعر اللوحة الأمثل ورسام العاطفة المبدع .

خبرياته :

أما خبرياته فهي في الحقيقة صنو لغزله لأنها صادرة عن قلبه وعاطفته وقد

كان دوماً يمزج بين الحب والشراب فتراه إذ يتغنى بحواء يتغزل بهنت الكرمه ،  
أو يستعير تشابيه من هذه فيلصقها بتلك ، حتى يخيل اليك ان الشاعر  
كرّس نفسه للهوى والحمره :

ولد الهوى والحمر ليلة مولدي

وسيحملان معي على ألواحي

لا بل نجد شاعرنا بصراً بعناء على أنه ابن بحدة الحب والشراب لا يكل  
ولا يمل ، ولا يزدجر ولا يتوب ، خفت به وثبة الشباب ام قعد به المشيب  
فيندد بالواهمين ويصبح : (١)

كذب الواشي وخاب من رأى الشاعر تاب  
عمره فجر من الح مـبـ وليل من شراب

وهكذا فان الحياة في عرفه هي «صهاء صارخة وليل ضاحي» .

سكرات وما تجرّ فلا النص ح بمجد ولا الملام بناء

وواضح هنا ان الأخطل الصغير متأثر بالأخطل التغليفي في خمرياته ، لا بل  
هو أحياناً يبيد الأعشى وحتى أبا نواس نفسه الذي تداوى من الحمر بالحمر .  
ولكن يبدو أنه اتبع مذهب عمر الحيام الذي كان يرى في الحياة زجاجة  
من خمر تحت غصن ظليل في قفر ، وصال حبيب في هذا العمر الجديب ،  
وانتهاب فرض الشراب ، فالغد مجهول الحساب . وفي هذا الغد يقول بشاره  
الختوري .

لم يكن لي غد فافرغت كأسني ثم حطمتها على شفتيا

---

(١) عادل الفضبان في مقدمة الهوى والشباب .

ولكنه لم يرض مع الخيام في اغراقه بالسكر والتمني بأن يكفن بأوراق  
الكروم أو ان يدفن تحت دالية من دوالي العنب ، بل اختصر الطريق فعلام  
يتداول الناس موت فبعث ثم موت فبعث وهكذا دواليك ، فنعمة الحياة  
ان يكون العمر كله سكرأ متواصلاً ، وفلسفته تقوم على قطف لذائذ الحياة  
قبل ان تدرك المرء منيته .

حكمة الدهر ان نعيش سكارى      فاجمعا لي الكؤوس والأوتار  
فانهب العيش لا أبالك نهياً      واطرح عنك وجهك المستعارا  
لست مهما عمرت غير جناح      حطاً في الدّوح لحظة ثم طارا

ولكنه قد يشرب الخمر أحياناً لينسى هموم الدهر ومآسي الحياة :  
ادر علينا من الصبهاء أفتكها      وخدر العصب المحموم بالنعم  
قد يشرب الخمر من تغلو الموموم به      وقد يغني الفتى من شدة الألم

ولكن مآسي الدهر تجعل الخمر لا تفعل فعلها فيه فيظل صاحباً مهما  
شرب وقد هدمته المصائب والأحزان ، كقوله في وفاة أخيه :  
اليوم يا كأسى شربت بك الأسى      وأدمت ثم عجبت اني صاح

وهو يكب على الخمر ليجد فيها سلواناً من هموم الحياة ، وكان الصبهاء  
هي كل شيء في الحياة يخاف أن يدركه المني قبل أن ينال منها أمنيته :

واسقني الشهد المذاب      فإذا ولتي الشباب

كل ما يبقى تراب وسراب ...

لا بل هو يمضي في عبّ الخمر حتى يتغته السكر فلا يصحو منه أحياناً:  
انا لست أرضى للندامى أن أرى      كسل الهوى وتشاؤب الاقداح  
ادب الشراب إذا المدامة عريدت      في كأسه لا تكون الصاحي

إلى أن يقول :

اشتف روحها واعطي مثلها      روحاً واسلم ليلتي لصباحي

وهو في ذلك يشبه أبا نواس الذي يتحدث الصحو بقوله :

فما الغبن الا أن تراني صاحباً      وما الغنم الا أن يتمتعني السكر

وهكذا تحتل الحجرة من شعر الأخطل الصغير مركزاً متعادلاً مع الغزل وقد عبر بها عن عاطفة جياشة واحساس رقيق وشعور مضمخ بأطايب الحياة وملذاتها ، وكأنه كان يهرب بذلك مما يعانیه مجتمعته من آلام ومبائس وشقاء وما تواجهه به الحياة أحياناً من صعاب .

وينصحني الاخوان بالحمر أنها      على زعمهم تشفي من الألم الراسي  
فها أنا استشفي بها كل ليلة      ألسنت تراني أتبع الكأس بالكاس

وبالاجمال فان الأخطل الصغير هو « شاعر الغزل » الأول غير منازع بين شعراء العرب خلال النصف الأول من هذا القرن ، امتاز بالرفة والعذوبة والخيال وبراعة التصوير وهو لم يكن ينتمي إلى مدرسة من المدارس الشعرية التي عرفها الادب العربي القديم كما انه لم يكن يتبع إحدى مدارس العصر الحديث في هذا الفن ، بل كان نسيج وحده ، وفناً مستقلاً بذاته ، وصاحب مدرسة تتلمذ عليها الكثيرون .

وهو إلى ذلك مزيج من الشرق والغرب في آن واحد : فيه صورة متطورة لعمر بن أبي ربيعة والبحثري والأعشى وابن زيدون ، كما فيه نفحة من موسيه ودي فينيسي وهمايتي وسائر الشعراء الرومانتيكيين عند الغرب . ذلك ان الأخطل قد ظهر في حقبة من الزمن كان يطيب فيها للناس اللون الشعري لعمر بن أبي ربيعة واللون الشعري لألفريد دي موسيه ، فتعاقت

الاسلوبان وانصهرا في بوتقة شاعرية الأخطل الصغير ، لا سيما وان العصر الذي جاء فيه بشاره الخوري كان عصرأ تتغلب فيه العاطفة على الفكرة فوجد شعره ذاك المدى الغنائي الرحب الذي لم يعد بإمكانه ان يتابع سيره بشكله السالف في عصر أخذت الفكرة فيه تحتل مكان العاطفة .

### شعره الاجتماعي

كان لا بد لنفس حساسة لاجعة متوثبة رقيقة الشاعر كنفس شاعرنا الأخطل من أن تتأثر بما حولها من أحداث اجتماعية وان تثور على ما يحيط بها من أوضاع بائسة مقلوبة أحياناً وما تراه من مشاهد البؤس والفقر وأهوال الحرب وكل ما يعمور المجتمع من أحداث ومصائب . ولا غرو ان انفعلت شاعرية الأخطل بهذه المؤثرات وانتجت هذا الاتجاه ، فقد تفتح شبابه أول ما تفتح على أهوال الحرب العالمية الأولى وعابث ويلاتها في خضم حياته اليومية ، فلم يستطع السكوت وهو يرى هذه الحرب :

تلهم المليون لا يشبعها      ومتى تُطعمَ أخاه تأكل  
يا هول الحرب في ويلاتها      رمت الكون بخطب جلل

ولكننا يعرف ما يتخلل الحرب عادة من مأس انسانية وفجائع اخلاقية ، ومبائس مادية . فاذا هو يصور كل ذلك في قصائده راوياً فيها افاصيل مختلفة من هذه الفواجع ، وقد هزّه اكثر ما هزه قصص الفتيات اللواتي كان الجوع يعضهن بنابه ، فيعلن أعز ما يملكه من شرف وفضيلة في سبيل اللقمة :

ولكم عذراء كالبدر على      قامة كالنصن المعتدل  
سامها الفقر وكانت قبله      تتغذى بخيوط المغزل  
فأباحث ثغرها مرغمة      وهي لولا جوعها لم تفعل

ثم يمضي في وصف احوال الحرب وويلاتها معبراً عن لظى الإنسانية في اتونها الجارف ، ويشور على هذه الظاهرة البشعة في تاريخ الأمم وينطق معه حتى ادوات الجهاد في ثورته عليها ويعملها تعبر معه عن نقمتها هي أيضاً على اتخاذها كأدوات للحرب بدلاً من أن تكون ادوات للسلم تسند الإنسان في اعماله الحيرة البناء . واسمعه هنا ينطق الحديد والخشب والكهرباء ويعبر عن غيظها من الحروب في « مؤتمر الجهاد » :

وقف الفولاذ فيهم خاطباً	بكلام كالرحيق السلسل
قال لو أنصفت ما كنت سوى	سكة أو معول أو منجل
أسعف' الانسان في الحرث ولا	اقوانى عند حصد السنبل

\* \* \*

عند هذا الخشب اهتز وقد	قال فلتقطع بين الرجل
حبذا اليوم الذي كنت به	غصناً عندضفاف الجدول
أنا لو أنصفتي المرء' لما	كنت إلا مغزلاً في معمل
أنسج الصوف فاكسوه ولا	اشتكي من تعب او ملل

\* \* \*

عند هذا الكهرباء قالت وقد	لمت أنوارها للمجتي
قوتل الانسان كم دمر بي	وأنا روح النظام الأمثل
قسماً لو كنت ادري انه	لسوى الآثام لم يشتمل
لتحجبت' فلم أظهر له	ولما دنس يوماً هيكلي

\* \* \*

ولا يتألك القارىء ان يلاحظ في معظم شعره الاجتماعي اختناز التجربة

ونضوج المعرفة فهو يحاول ان يعطي دائماً صوراً قصصية ، وان كانت تظل احياناً ناقصة او خالية من العقدة او الحل ، فهو مثلاً في قصيدته « رب قل للجوع » يصور انتصار الشهوة على العزيمة في مقاومة الجوع ، وكأنه بذلك يبتعد عن الغاية الاخلاقية التي وضع القصيدة من اجلها . رغم انه في قصائد أخرى يمجّد الموت في سبيل الحب كما في قصيدته « عروة وغفراء » أو يصور الصراع بين الحب والموت كما في قصيدته « المسلول » ... أو تضحية أم بشرها لانقاذ ابنتها من الموت كما في قصيدته « الريال المزيف » .

ولو استعرضنا جميع قصائده الاجتماعية التي وصف فيها احوال الحرب وقصص الجماعة لوجدنا ان بينها رابطة مشتركة وهي وقوفه دوماً إلى جانب الفقراء واحساسه بالآلام الجماعة . وهذا الشعور يبرز اكثر ما يبرز في قصائده « الفقراء » و « قصر العظم » و « الجاني » الخ ...

وفي قصيدته الأخيرة يصور حال الريف اللبناني وما يعانيه من فقر ويقارن ذلك بما يتمتع به الناس من رخاء في بيروت فتلمح فيها روحاً اشتراكية ثورية :

رب الأرز حدثني	أحقاً قولهم حقا
يأن الناس في بيروت	ت لا تشقى ولا تشقى
وان الاتن والثيرا	ن تلقى العطف والرفقا
فإن صح الذي قالوا	أيرضى العدل ذا الفرقا
ويرضى صاحب السلطا	ن ان ففنى وان يبقى
أللحكام ما نجني ؟	متى كنا لهم رزقا ؟

وهو يصور هذا التفاوت بين الطبقات ايضاً في قصيدة « لبنان عين ما أرى » :

قل للرئيس اذا اتيت نعيمه ان يشق رهطك فالنعم جهنم

ايطوف الساقى هنا بكؤوسه  
تمرى الصدور هنا على قبل الهوى  
ويجزر الجاني هناك ويرزم  
وهناك عارية تنوح وتلطم  
والكهرباء هنا تشع شموسها  
وسراج اكثر من هناك الانجم

وهو يبدع في وصفه للفقير ايام ابداع في قصيدته « الريال المزيف » حيث  
يقول ثائراً على تعسف الحكماء :

ويح الفقير فما تراه يلاقي  
سدت عليه منافذ الارزاق  
علّقُ الجماعة مصّ بعض دمائه  
وتعسّفُ الحكماء مصّ الباقي

أو قوله من قصيدة « الفقراء » وكأنه فيها يتنبأ بثورتهم على النظام  
الاقطاعي حين نظمها عام ١٩١٤ اي قبل ثورة البلاشفة بثلاثة اعوام :

لا تقولوا وساوس من فقير  
ان للفقر ثورة لو علمت  
دوختم وساوس الارزاء  
تسبح الناس دونها في الدماء

ونحن اذا وقفنا عند شعره الاجتماعي نجد ان معظم هذا الشعر قد عالج  
فيه قصصاً وتجارب حياتية لا تقتصر على وصف المشاهد فقط بل تتعداها إلى  
سرد الحادثة وتحليلها وتضمينها العظة والمبرة الاخلاقية في اغلب الاحيان  
كما في قصيدته « الريال المزيف » وهي بنظرنا قصة مكتملة البناء فيها الحادثة  
والعقدة والمفاجأة وروعة الخاتمة . وهو يتكلم بلسان أم رأّت ابنتها على شفير  
الموت جوعاً فتضطر الى التضحية بشرفها انقاذاً لابنتها وتقول :

اني مفارقة ابنتي أو عفتي  
ومشت لموعده بقاء جفونها  
حتى اذا اختليا اثنتي بوصالها  
ومضت إلى الطباخ تلجم ما بها  
وفعلي الحالين مر فراقى  
القرصى وجر فؤادها الخفاق  
وقد انتشت برياله البراق  
لفئاتها من لاعج الاشواق  
ونهب اليرال باصبعيه وجسه  
فقتب اليرال بالارعاد والابراق



قال : الريال مزيف !

- أمزيف ؟

صاحت                      وقد سقطت من الارهاق  
طلعت عليها الشمس وهي سجيئة                      وفتاتها ضيف على الاسواق  
أما الاثيم فلا تزال شبابه                      منصوبة لنواعس الاحداق

وتتجسم التجربة عنده حتى تبلغ الذروة في قصيدته « الى المرأة » حيث  
يتجلى الترابط في الاداء بشكل محكم موجز اقرب الى الاختزال منه الى  
الافاضة كما عددنا في قصائده القصصية الأخرى :

ماذا احقاً كنت بي تهزئين                      وكنت في حيك لي تكذبين  
لم تخدعيني مطلقاً انما                      نفسك يا هذي التي تخدعين

\* \* \*

مأدبة افرغت كأسها بها                      وقت عنها لا كما تزعين  
فضلة الكأس التي عفتها                      تركتها للخدم الساقطين

غير ان في معظم شعره القصصي الاجتماعي غالباً ما يترك السرد الى التأمل  
والحكمة واعطاء العظة ، ويطيل في ذلك حتى يخيل الينا أنه ينسى القصة  
الاصلية . وهو في قصيدته « المهاجر » يكرس نصفها مثلاً للبكاء على المهاجر  
الذي فارق وطنه واهله حتى غدا كل شيء حزينا لفراقه :<sup>(١)</sup>  
جرس الكنيسة لو . تكلم لاشتكر                      ولبان فيه مذ نأيت تصدع  
وتلفتت فيبها الدمى ونساءلت                      عن باقية في صحنها تتضوع

---

(١) الدكتور احسان عباس - مجلة الآداب عدد حزيران ١٩٦١ .

ثم ينتهي بالقصيدة الى الاشادة بأعمال المهاجر وتمجيد نشاطه :

حتى اندفعت فكل صخر روضة - سلمت يداك - وكل افق مطلع  
وفتحت فتحة العبقريّة تاركاً في مسمع الدنيا صدى يترجع

وفي ذلك شيء من الخروج عن مبدأ وحدة القصيدة ، وان كان هذا التلوت في الموضوع هو من ابرز خصائص شعر الاخطل الصغير، اذ انه حتى في مراثيه تراه في اغلب الاحيان يبتعد الى خطرات جانبية لا علاقة لها مطلقاً بموضوع الرثاء كما في قصيدته في رثاء الزهاوي وغيره .

ومها يكن من امر فان شعر الاخطل الاجتماعي حافل بالصور والمشاهد واللوحات التصويرية الشفافة كما هو شأنه في اكثر شعره ، وهو احياناً يضحى من اجل لحظة تصويرية بالتحليل والمعاناة والتجربة الصادقة فتراه يكثر من الوصف ويسرد الحادثة نفسها على اوضاع مختلفة كما في قصيدته المسالول التي لا تخلو من تكرار في الوصف كقوله :

سكران حتى رأسه ابدأ لا يستقر لكثرة الميد

ثم قوله في القصيدة نفسها :

نم لا تكابر كاد رأسك ان يهوي بكأسك غير ان يدي

وهكذا لا تكاد تنتهي من القصيدة حتى تشعر ان الاخطل يقف من الحادثة موقف الملاحظ المتفرج، لا موقف المعاني أو المبر عن تجربة ذاتية بحيث يجعلك تعاني ما يعانيه هو نفسه ، بل ان اغلب شعره الاجتماعي هو وليد مناسبات واحداث عامة اضفى عليها من دقة الوصف وروعة المعاني ما جعلها لوحات ناطقة لمشاهد معبرة .

وفي هذا الميدان كان الاخطل مصوراً بارعاً تنتصر الصورة عنده على

عق التجربة في كثير من الاحيان ولا تذهب الى ما وراءها من كوامن فكرية  
أو فلسفية بل انه يدغدغ في شعره غالباً الخواس او المدارك الحسية دون  
ان يشرك القارىء معه في التفكير والتحليل وسبر غور الحادثة .

ولكن ذلك لا يمنع الاخل من التفرد في بعض الاحيان بتضمين شعره  
درراً نادرة من الحكم والامثال التي تلمح فيها عمق الفكرة ولمعة الدهن المغم  
بالتجارب ، وهو مما يأتي في طبيعة شعره الاجتماعي ، ويمكن ان تذهب  
مذهب الامثال :

ادهى النصيحة ما يأتيك مرتدياً ثوب الصداقة تضليلاً وتمويهاً  
او قوله :

آلى الهدى الا يطل على الورى      الا على جبل من الاجساد  
ويقول أيضاً :

اذا ساء الى الآداب مملكة      فاصبر عليها فقد قامت نواعيها  
وقوله :

كم صاحب اهرقت نفسك .دونه      فهوى عليك بقسوة الوقاد  
ومن اقواله الماثورة ايضاً :

بـ اثنان لا يتهادنان دقيقة      شبح الضحية والضمير المجرم  
— قديؤثر الدهرانساناً فيجرمه      من يمنح الشيء احياناً فقد وهبا  
— ليس في الدهر أول وأخير      فالبدائيات كن قبلاً خواتم  
— اسمى واكرم عفو أنت مانحه      عفو الذبيح عن السيف الذي ذبحا  
— سيان عند ابتناء المجد في وطن      من يجعل السيف أو من يجعل القلما

وهكذا نجد في شعره الكثير من هذه الشوارد الذهنية العميقة التي تذكرنا بأمثال المتنبي أو حكم أبي العلاء المعري ، وهي حتماً ستظل من الأبيات الخالدة التي تتردد على السنة الناس في كل عصر ومناسبة وقد فاضت بها قريحة الشاعر في الأصل خلال مناسبات عامة كالرثاء أو وصف حادثة معينة أو مناسبة وطنية دون أن يتقصدها فجاءت عفواً الخاطر أو من تلقاها وفقاً لاسلوبه الشعري في الشروء أحياناً كثيرة عن موضوع القصيدة للتحدث عن أشياء غيره لا تمت إليه بصلة .

### شعر الأحداث الوطنية

سبق لنا أن أوضحنا في مطلع هذه الدراسة كيف بدأ الاخطل الصغير شعره يوم بدأ في ظلال الثورة العربية الأولى التي ما لبثت أن انتكست فيها الآمال، وكانت الحرب العالمية الأولى قد اتاحت بطلانها على الصدور والأذهان فأصيبت الجماهير العربية بالاختناق ، ومن هنا جاء الأمل يدغدغ الشاعر من الصحراء ، فانطلق الشاعر يتغنّى ببطولة الحسين بن علي متخذاً لنفسه لأول مرة لقبه المستعار « الاخطل الصغير » خشية أن يكتشف المستعمرون العثمانيون هوية الشاعر الحقيقية، بيد أن أغلب شعره في هذه الفترة قد ضاع، ولم يحرص الشاعر نفسه على الاحتفاظ به فيما بعد لأنه اكتشف أن هذه الثورة لم تحقق الآمال والوعود ، بل خيبت آمال الناس في العهود والمواثيق التي كان الحلفاء قد قطعوها على أنفسهم وبذلك تبدد الحلم في الثورة العربية :

قل لتلك العهود في رهج الحرب وفي سكرة الفنا والغلاصم  
قد لهناك في عيون الثعالي ولسنالك في جلود الاراقم  
حدوثنا عن الحقوق فلما كبر النصر أعوزتنا التراجم  
نفحتنا بها الحروب سلاماً ورمافنا بها السلام اداهم

قل وقيت العنار في ندوة القو م متى اصبح الحليف مخاصم  
اين ذاك الهيام في اول الحب وتلك الموشحات النوام  
كدت اخشى عليكم تلف النفس ببار اللوى وظلي العرائم

وشعر الاخطل الصغير الوطني اغلبه يتضمن هذه الروح الثورية اللاعجة  
التي تنم عن شعور صادق وسخرية في الانتقاد ، واندفاع في الوطنية وعروبة  
حققة لا تأخذ في الحق لومة لائم :

قل لمن حدد القيود : رويداً يعرف الحق ان يفك قيوده

وهو في شعره الوطني كله ما كان يأبه للسدود والحدود التي اقامها  
المستعمرون بين البلدان العربية ، فظل محافظاً على مبدأه الوحدوي بين العرب  
مؤمناً بان العرب أمة واحدة لا فرق بين قطر وآخر وقد تأخى الجميع في  
السراء والضراء ...

مشت الشام الى لبنان شوقاً والتياحا  
فافرشي الطرق قلوباً وثغوراً وصداحا  
غرة من عبد شمس تملأ الليل صباحا  
وحسام يعربي الحد ما ملّ الكفاحا  
فتساويننا جهاداً وتأخيننا سلاحا

وليس غريباً من كاذت نفسه توج بالوطنية والثورة كنفس شاعرنا ، أن  
يندد بالمستعمرين من كل حذب وصوب بادئاً بالعمانيين ، كقوله في قصر يلدز:

لا سلام عليك يا قصر مني لا ولا جادك الحيا بهرود  
زال عهد السجود يا أمم الارض فهذا عهد السلام الوطيد

ومستأنفاً بالفرنسيين شاجباً « صداقهم التقليدية » وحاملاً على العميد  
السامي :

قالوا الصداقة قلنا ابن شاهدها  
اكلما طورد الشذاد في بلد  
اعندما تلفظ الاحداث موتها  
اوما « العميد » ولبنان تبناها  
غير موثر الانكليز والحلفاء :

قل « لجون بول » اذا عاتبته  
نركب الموت إلى (العهد) الذي  
امن العدل لديهم اننا  
سوف تدعوننا ولكن لا تراثنا  
نحتره دون ذنب حلفانا  
نزرع النصر ويحنيه سوانا

وهو في قصيدته ( سلمى الكورانية ) يحمل على خود شعبه وانكفائهم  
داعياً الى الثورة على القرباء المستعمرين حاملاً عليهم حملة شعواء :

لبنان ما لفراخ النسر جائعة  
ألفريب اختيال في مسارحها  
كان ما غرس الآباء من غر  
لغير أبناءهم قد طاب مجناها  
وما بنوه على الاحقاب من أطم  
لغير إبنائهم قد حل سكتها  
أو قوله مهاجماً الغرب والغريين :

ليت شعري ما جنينا على الغرب  
ثم ينتقل الاخطل الى التغني بأجداد الغروية ودأبه دوماً الثورة على الضيم  
والانتفاص على الظلم والجور :

أعطر الغيم في أرضي واشربه  
ذري الليالي تمنع في غوايتها  
وكننت لا ارضي ان اشرب السحبا  
فقد حشدت لها الاخلاق والعربا  
والبيت الاخير في رأينا امدح بيت في العرب .

والاخطل في ذلك فخوراً بأنه عربي ولا يهमे التمصّب الطائفي بشيء :  
ايها السائل عن ادياننا أليسى انت ام للمصطفى

وطني ديني ...

فمن يسألني : قلت اني عربي وكفى

أو قوله :

وطن الجميع على حدود رياضه تختال فاطمة وتنعم مريم

ولكن إيمانه بالعروبة لا يمنعه من التنديد بما يعمل في صفوف العرب من  
عوامل التفرقة وخطل الرأي وانهيار العقيدة :

أي بني العرب كدت اخشى عليكم خطل الرأي وانهيار العقيدة  
قد ملأتم اذن آللالي غناء والليالي ينسجن كل مكيدة  
حشد الخصم أرضه وسماء وحشدنا آمالنا المؤودة  
لن نراها ان لم نمت في هواها أمة حرة ودنيا جديدة

وهو مع اعتداده بعرويته يشكو ما لاقاه العرب من خيانة عهد وضم على  
يد الحلفاء والاجانب ، كما في قصيدته عن فلسطين التي يعتبر مظلما من خير  
ما قيل في الفخر :

سائل العلبياء عنا والزمان هل خفرونا ذمة مذ عرفانا  
المروءات التي عاشت بنا لم تزل تجري سعيراً في دمانا  
ذنبنا والدهر في صرخته ان وفينا لآخي الود وخانا

وهذا البيت الأخير يمثل وحده قصته المعاملة بين العرب ومن ادعوا زوراً  
انهم حلفاؤهم .

ثم يضي في التعبير عن مشاعره العربية الناضجة بالروح الوطنية الصادقة :  
يا فلسطين التي كدنا لما كابدته من أسى ننسى اسانا  
يثرب والقدس منذ احتملنا كعبتنا وهوى العرب هواها

وهل هناك أصدق من البيت الأخير برهاناً على عروبة الشاعر .  
وهو الى ذلك لا ينسى وطنه لبنان فيندب ما احتاحه من فتن وحروب  
بين اهله وطوائفه فيصرخ يائساً :

لبنان ما فعل الزمان بنا سلمه أما لحروبه هدن ؟  
يفدو عليك بأوجه كحلت فمتى يُنورُ وجهك الحسن ؟

ومثل ذلك هذه الصرخة الداوية التي تدل على ما في قلبه من حب لوطنه  
لبنان :

وردت مناهلها الشعوب الى العلى  
فمتى ارى لبناً في الورد

أو قوله ناعياً على لبنان عدم تقدمه :

لبنان يا بلد السذاجة والوفا حلم وهل غير الطفولة يحلم  
كبر الزمان ولا تزال كأمسه فعساك تكبر أو لعلك تفتطم

وله في لبنان مئات الابيات وكلها تنضح بالعتاب واللوم والأسى والتجسر  
على ما اصابه من فتن وتفرقة وعدم تألف كقوله :  
أما الشعوب فقد تألف شملها فمتى يؤلف شعبك المتشعب

ويكفي الاخطأ الصغير فخرأ انه غنى للشرق الجريح في كل مناسبة من  
مناسبات أجداده ، فجاءت قصائده في شوقي والمتنبي والفردوسي والزهراوي  
وحافظ ابراهيم وجبران خليل جبران ووديع عقل وسعد زغلول وفيصل  
الأول وأمين تقي الدين و ابراهيم هنانو وعبد الرزاق الدندشي وفوزي الغزي  
وعبد المحسن الكاظمي ، معلقات ضخمة في شعر الوطنيات والعروبة ، لا بل  
تعتبر من شوامخ شعره لما فيها من نفس طويل وبيان ساجر وأفكار عميقة



وروح وثابة وتمجيد لمعقريات الشرف والعروبة وهو في ذلك لم يترك بلدأعربياً  
الا وتغنى به وانشد ما في قلبه من غيرة على العروبة واخلص للاوطان  
العربية والامة العربية واندفاع في تأييد قضاياها وكفاحها .

ويضيق بنا المقام هنا لو شئنا أن نستعرض على حدة كلا من قصائده التي  
خلد بها أجداد الشرف والعروبة وعباقرة الفكر والشعر والسياسة ، لأن كل  
قصيدة منها تعتبر ديواناً بمجد ذاته تتم عن شاعرية مبدعه وقريحة فياضة  
وموهبة جامحة وعلو كعب في التريض وطول باع في دنيا النظم والقوافي ،  
غير ان ما يجمع ما بين هذه القصائد كلها تفرده في اتباع اسلوب واحد  
يجمع ما بين اسلوب الشعراء القدامى من مطالع رنانة وتغزل ونسيب ،  
واسلوب المحدثين من استطراد وعرض افكار جديدة وطرق مواضيع متعددة  
في قصيدة واحدة قد تبعد احياناً كثيراً عن الغرض الاسامي من القصيدة  
كقوله في رثاء سعد زغلول مثلاً :

رجال مصر شفيعي ان عتبتكم ان المحب الديك ليس يُتهم  
اني اخاف عليكم في تحزبكم ان تنصروا الخصم وهو الخصم والحكم

أو تمريضه « بالأدب الجديد » في قصيدته التي قالها في المتنبي .

بعض الجديد الذي يدعونه ادباً يموت في يومه هذا اذا وهبنا

أو قوله مثلاً في رثاء فوزي الغزي متغنياً بجنة بردى :

يضحك الماء على حصباها ضحك الاطفال في مرجة أنسر  
ويمس البنان في صفاتها اترى طاف به الساقى بكأس ؟

وهنا لا بد للعارف ان يستغرب هذا « الضحك » في مقام الرثاء

ولا حاجة بنا الى الوقوف عند هذه الاستطرادات في قصائد الاخطار

الصغير فهي مما اشتهر بها في معظم قصائده تقريباً وهي بالاجمال لا تقلل من قيمة شعره ولا تشين من جماله بل على العكس تضفي عليه مسحة من التنوع التي تجعل القارئ يغوص مع افكار الشاعر في مجارمتمعة تأخذ بمجامع القلوب وتنفي الملل الذي ينتج احياناً من طول السياق وتعدد الابيات المماثلة للبحور والقوافي .

وفي الختام حسب الاخطل الصغير مجدداً وطنياً أنه اسبغ دوماً على لبنان طابعه العربي الصحيح وكان رسوله وسفيره الى بلدان العرب في شتى الأمصار والاصقاع :

جذبت اليه العرب بعد نفارهم وذوبت في كاساتهم نغماتي

والخلاصة أن الاخطل الصغير هو شاعر عاش عصره بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وقد عكس في شعره صور هذا العصر الذي عاشه كاملاً ما تكون الصور . واذا كانت العاطفة هي المسحة الغالبة على جميع اشعاره ، فذلك لأن الكلام في لبنان وسائر بلاد العرب كان للعاطفة وحدها ، انها نقطة الروح والقلب التي تسبق جميع اليقظات - بما فيها السياسة - وتمهد لها جميعاً ولولاها لا تكون يقظة .

غير ان شعره ليس كله عاطفة كما انه ليس كله فكرة وقد استطاع في احيان كثيرة ان يمزج بين العاطفة والفكرة بأسلوب غنائي ما زالت له رنته ووقعه حتى ايامنا الحاضرة .

وما لا شك فيه ان شعر الاخطل الصغير سيحتل مكانه في المستقبل ويصبح من اعلام الشعراء الكلاسيكيين الذين يتدارس ابناؤنا شعرهم في المدارس مهما تغيرت نظرة الناس للشعر قديمه وحديثه .

فشعر الاخطل انما تميل ليبقى ويخلد على مدى التاريخ .

نمازج من شِغْرَه



## وردة من دمناء

سائلِ العلياءَ عذّاً والزّمانا  
المُروءاتُ التي عاشتُ بينا  
ضحكُ المجدِّ لنا لَمّا رآنا  
عُرسُ الأحرارِ، أنْ تَسْقِي العِدَى  
ضجّتِ الصّبحُراءُ تشكو عُريها  
مُدّ سقيناها العلى مِن دَمِنَا  
انثروا الهولَ، وصُيُواتِكم  
غذتِ الأحداثُ مِنّا أنفُسُ  
شرفٌ للموتِ أنْ نُطعمه  
وردةٌ مِن دَمِنَا في يَدِهِ  
يا جِهاداً صَفَقَ المجدُّ لَهُ  
شرفٌ باهتٌ فلسطينُ بِهِ  
إنْ جُرْحاً سالَ مِن جِبْهَتِها  
وأَنيبنا باحتِ النَّجوى بِهِ  
نَحْنُ يا أُختُ، على العهدِ الذي  
يُشربُ والفُدى من مُنذُ اختَلَمَا  
قُسمُ إلى الأبطالِ نَلْمُسُ جُرْحَهُم  
قُسمُ نَجْعُ يَوْمَينِ العُمُرِ لَهُم  
إنّها الحَقُّ الذي ما قوا لَهُ  
هَلْ خَفَرْنَا ذِمَّةً مُدّ عَرَفَانَا  
لَمْ تَزَلْ تَجْرِي سَعِيرَ أَفِي دَمِنَا  
بِيدِ الأبطالِ مَصْبُوغاً لِيَوَانَا  
أَكُوْ سَاحِرُاً وَأَنفِغَما حَزَانِي  
فَكَسَوْنَاهَا زَيْبُراً وَدُخَانَا  
أَيَقَنْتُ أَنْ مَعْدَأُ قَدْ نَمَانَا  
كَيْفَ مَا شِئْتُمْ فَلَنْ تَلْفِقُوا جَبَانَا  
لَمْ يَزِدْهَا المُنْفُ إِلَّا عُنْفُونَا  
أَنفُساً جَبَّارَةً تَأْبَى الهَوَانَا  
لَوْ أَتَى النَّارَ بِهَا حَالَتْ جِنَانَا  
لبسَ الغارُ عَليهِ الأَرْجُونَا  
وَبِنَاءُ لِلمَعَالِي لَا يُدَانِي  
لَتَمَتُّهُ بِخُيُوعٍ شَقَانَا  
عَرَبِيّاً ... رَشَقْتُهُ مَقْلَتَانَا  
قَدْ رَضِعْنَاهُ مِنَ المَهْدِ كِلَانَا  
كَعَبْتَانَا، وَهَوَى العُرْبِ هَوَانَا  
لَمَسَةً قَسَبُحُ بالطَّيِّبِ يَدَانَا  
هَبْ صَوْمُ الفِصْحِ، هَبْ رَمْضَانَا  
حَقَّقْنَا، نَمَشِيهِ إِلَيْهِ أَيْنَ كَانَا

### أيتها الغائب

أيتها الغائبُ الذي في فؤادي  
حاضِرٌ، كيفَ حالُ قلبيكَ بعُدي

أينَ عيناكَ تَنظُرُني وَكُفِّي  
فوقَ قلبي وَدَمْعِي فوقَ خَدِّي

شَبَّحَ طَائِفٌ، كَسَتْهُ يَدُ اللَّيْلِ  
بِزُرْدٍ كَوَجْهِهِ مُسَوِّدٌ

هَمَسَتْ نَجْمَةٌ بِإِذْنِ أَخِيهَا  
هَمْسَ تَغْرِ النَّدَى بِمِشْمَعٍ وَرَدٍ :

ما تَرَى يا أَخِي شَخْصاً على الفُجَرَاءِ  
يَمْنِي لَكِنْ على غَيْرِ قَصْدٍ ؟

— «حَفِظَ اللهُ قَلْبَ أَخِي مِنَ الْحُبِّ»  
فَهَذَا فِي الْحُبِّ أَصْغَرُ عَبْدٍ ... »

\* \* \*

## أبو العلاء المعري

يا لها ثورة تأججُ في صدرك ،  
تردي الظنونُ فيها الظنونا  
بسمه الهزم ، ابن منها أبو بجر  
و « فولتير » سيدا الهازئينا  
فأحايين لا أرى لك دُنيا  
وأحايين لا أرى لك ديننا  
لست أدري أأنت في وصفك النفس  
مصيبٌ ، أم الحكيمُ ابن سينا  
أيراها ورقاء من رَقْرِقِ الخلد ،  
وتبقى لديك ماءً وطننا ؟ ...  
سر ذي النفس لا مداره روما  
أدركه ، ولا شيوخ اثينا  
هل رأيت النجوم تزداد نورا ،  
كلما احلوك الدجى ، وفوتونا  
هكذا الفكر يصدع الليلَ بالنور  
إذا لم تك العيون عيوننا  
سابعٌ ما يشاء في بجره الهادي  
كما يدفع الشراع السفينا  
أبالي من عنده البعد والقرب  
سواء ، إن يعجز المعجزينا

قد تحدُّ الأبعادُ من نافذِ الطرف ،  
 فينهارُ متعباً مُستكيناً  
 عثراتُ العيونِ ذصف حياة المرء ،  
 مها يكنُ رصينا رزينا ...  
 رُبُّ شاكٍ فقدَ العيونِ ، ولا  
 ينفكُ يهدي العيونَ للبصرينا  
 أرقُّ الحسن

يبكي وَيَضْحَكُ لا حُزْناً ولا فِرْحَةً  
 كَمَا شِيقَ خَطِّ سَطْرٍ فِي الْهَوَى وَمَا  
 مِنْ بَسْمَةِ النَّحْمِ تَحْسُ فِي قِصَائِدِهِ  
 وَمِنْ مُخَالَسَةِ الطَّبِيبِ الَّذِي سَنَحَا  
 قَلْبُ تَمَرَّسٍ بِاللَّدَاتِ وَهُوَ فَتَقَّ  
 كَبِيرُ عَمٍّ لِمَسَّتْهُ الرِّيحُ فَانْفَتَحَا ...  
 مَا لِلْأَقَا حِيَّةِ السَّمَرَاءِ قَدْ صَرَفَتْ  
 عَنَّا هَوَاهَا ، أَرْقُ الْحُسْنِ مَا سَمَحَا  
 لَوْ كُنْتَ تَدْرِينَ مَا أَلْقَاهُ مِنْ سَجْنٍ  
 لَكُنْتَ أَرْفَقَ مِنْ أَمَى وَمَنْ صَفَحَا  
 غَدَاةَ لَوْحَتِ بِالْأَمَالِ بِأَسِمَةٍ  
 لَانَ الَّذِي تَارَ وَانْقَادَ الَّذِي جَمَحَا  
 مَا هَمَّتِي وَلِسَانُ الْحُبِّ يَهْتِفُ بِي  
 إِذَا تَبَسَّمَ وَجْهُ الدَّهْرِ أَوْ كَلَحَا  
 فَالَرَّوْضُ مَهْمَا زَهَتْ قَفَرُ إِذَا حُرِمْتَ  
 مِنْ جَانِحِ رَفٍّ أَوْ مِنْ صَادِحِ صَدَحَا



يا صارف الكأس ...

يا صارفَ الكأسِ

عَنَّا ،

لا تَضِنَّ بِهَا ،

وَيَا أَخَا الْوَقْرِ الْكِسَالِ ،

لا تَنَمَ ...

أَدِرْ عَلَيْنَا

مِنَ الصُّبَاءِ أَفْتَكْهَا ،

وَخَذِرْ

الْعَصَبَ الْمَحْمُومَ ،

بِالتَّغَمِّ .

قَدْ يَشْرَبُ

الْخَمْرَ ،

مَنْ تَفَاوَاهُمُ بِدِ ،

وَقَدْ يُفْتِي

الْفَتَى ،

مِنْ شِدَّةِ

الْأَلَمِ ...

\* \* \*

## المهاجر

أشجالك أنك رائح لا ترجع  
وهوالك والأوطان بعدك بلقع  
متلفت... ما تبغني؟ متوجع...  
ما تشنكي؟ متنصت... ما تسمع؟  
جرس الكنيسة لو تكلم لاشنكي  
ولبان فيه مذا نأيت تصدع  
وتلفتت فيها الدمي وكسالت  
عن باقة في صحنها تتضوع

\* \* \*

الله أنت مغربا ومشرقا  
تذريك عاصفة وأخرى تزرع  
حتى اندفعت، فكل صخر روضة  
- سلعت يدالك - وكل أفتق مطنع  
وفتحت فتحة العبقرية كارك  
في مسبح الدنيا صدى يرجع  
تتحطم الأقدار ساعة تنبري  
تتفجر الأنوار ساعة تطلع  
فهناك أندلس القصائد تسجع  
وهناك لبنان المواهب يلمع...

### سيوف وجراح

يَا رَبِّي لَا تَتْرُكِي وَرْدًا	وَلَا تُبْقِي أَفْصَحَا
مَشَتْ الشَّامُ إِلَى	لُبْنَانَ سَوْفًا وَالتِّيَّاحَا
فَبَافَرَشِي الطَّرِيقَ قَلْبِيَا	وَتُفُورًا وَصَدَا حَا
غُرَّةٌ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ	تَمْلَأُ اللَّيْلَ صَبَاحَا
وَحُسَامٌ يَغْرُبِي	الْحَدَّ ، مَا مَلَّ الْكِفَا حَا
يُثْرَعَانِ الرَّايَةَ	الْحُمْرَاءُ وَالْحَقَّ الصُّرَا حَا
جَمَعَ الْمَجْدُ عَلَى الْأَرْضِ	سُيُوفًا وَجِرَاحَا
فَتَسَاوَيْنَا جِهَادًا	وَتَأَخَيْنَا سِلَاحَا
وَنَسَبْنَاهَا عَلَى الدُّنْيَا	جَنَاحًا ، وَجَنَاحَا

## الصبا والجمال

الصَّبَا وَالْجَمَالُ مُلْكُ يَدَيْكَ  
 أَيُّ تَاجٍ أَعَزُّ مِنْ تَاجِيكَ  
 نَصَبَ الْحُسْنُ عَرْشَهُ فَسَأَلْنَا  
 مَنْ تَرَاهَا لَهُ فَدَلَّ عَلَيْكَ  
 فَاسْكُبِي رُوحَكَ الْحُسْنُ عَلَيْهِ  
 كَانَتْ كَابِ السَّمَاءِ فِي عَيْنَيْكَ  
 كُلَّمَا نَافَسَ الصَّبَا بِجَمَالِ  
 عَبَقَرِي السَّاءِ نَمَاهُ إِلَيْكَ  
 مَا تَغْنَى الْهَزَارُ إِلَّا لِیُلْقَى  
 زَفَرَاتِ الْغَرَامِ فِي أُذُنَيْكَ  
 سَكِرَ الرُّوضُ سَكْرَةً صَرَعَتْهُ  
 عِنْدَ مَجْرَى الْعَبِيرِ مِنْ نَهْدَيْكَ  
 قَسَبَ الْوَرْدُ نَفْسَهُ حَسَدًا مِنْكَ  
 وَأَلْقَى دِمَاهُ فِي وَجْنَتَيْكَ  
 وَالْقَرَّاشَاتُ مَلَّتِ الزُّهْرَ لَمَّا  
 حَادَتْسَهَا الْأَنْسَامُ عَنْ شَفَتَيْكَ  
 رَفَعُوا مِنْكَ لِلْجَمَالِ إِلَهًا  
 وَأَنْجَحُوا سُجْدًا عَلَى قَدَمَيْكَ

من قصيدة له في الفردوسي :

كُنَانٌ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ قَصَائِدِهِ  
رُوحًا تَقْلَعُ فِي الْمَوْتَى فَتَحْيِيهَا  
رَدُّ الْأَكْسِيرَةِ الْفُرَاتِ فَانْتَشَرُوا  
تَحْتَ الدَّرْقَسِ نَجُومًا فِي لَيْلِهَا  
وَالْحَبِيلَ تَلْتَمِثُ فِي الْمِيدَانِ كَالِحَةِ  
حُمَرَ الْحَمَالِقِ تَطْشُوهُ وَيَطْشُوهَا  
وَرُسْتُهُمْ هِرْقُلُ الْفُرْسِ الْفُحُولِ إِذَا  
مَا انْقَضَ قُلْتُ عَقَابُ الْحَرْبِ مِنْذُ كَيْهَا  
وَأَدْهَشَ الْأَرْضَ مِنْهُ عِنْدَمَا نَظَرَتْ  
إِلَيْهِ... كَيْفَ مَشَتْ إِحْدَى رَوَاسِيهَا...  
مَا عَابَهُ أَنْ سَيْفُ اللَّهِ جَنَدَلَهُ  
بَلْ سُرِفَ الْفُرْسَ لَمَّا جَاءَ يَهْدِيهَا  
مَشَى إِلَيْهَا كِتَابُ اللَّهِ يَخْطُبُهَا  
غَنَامُهَا رَتْهُ الْغَوَالِي مِنْ نَوَاصِيهَا  
غَزَا الْهَدَى الْكَفَرُ لَا فُرْسٌ وَلَا عَرَبٌ  
يَا وَقَعَةَ هَزَّتِ الدُّنْيَا تَهَانِيهَا  
إِسْلَامُ فَتَارِسٍ أَعْرَاسُ تَعْمِسُ لَهَا  
حُورُ الْجِنَانِ عَلَى تَوْفِيعِ شَادِيهَا

\* \* \*

اذْهَى النَّصِيحَةَ مَا يَأْتِيكَ مُرْتَدِيَا  
 تَوْبَ الصَّدَاقَةِ تَضْلِيلًا وَتَمْنِيهَا  
 ضَمَنْتَ بِالذَّهَبِ ابْنَ التُّزْبِ تَمْنَعُهُ  
 عَنْهُ وَجَاءَكَ بِالْأَفْلَاكِ يَهْدِيهَا  
 إِنَّ الْمُلُوكَ عَلَى الْعِلَالِ إِنَّ وَعَدَتِ  
 فَلَيْسَ غَيْرُ زَوَالِ الْمُلْكِ يَشْنِيهَا  
 اللَّهُ أَكْبَرُ نَفْسُ الشَّاعِرِ انْفَجَرَتْ  
 حُمْرَ الْقَدَائِفِ لَمْ تُخْطِئْ مَرَامِيهَا  
 رَمَى بِهَا الْعَرْشَ فَاصْطَلَكْتَ قَوَاعِدُهُ  
 وَطَوَّقْتَ حَيْدَ «بَحْمُودِ» أَهَاجِيهَا  
 يَا لَلْعُقُوقِ ، أَيْبَنِي بَجْدِ أُمِّيهِ  
 وَيَجْعَلُ الدَّهْرَ مَوْتًا مِنْ مَوَالِيهَا  
 وَيَسْكُبُ السَّحَرُ يَسْتَهْوِي النَّفُوسَ بِهِ  
 فِي ثَغْرِ زَهْرِيهَا أَوْ حَلَقِ شَادِيهَا  
 وَيَذْشُرُ الْوَنَى لَمْ يُنْبِتْهُ قِعْتُهَا  
 وَيَفْجُرُ النَّهْرَ لَمْ يَنْبَعْهُ وَادِيهَا  
 أَشِعَّةٌ وَاهْتِزَّازَاتٌ وَأُخْيِلَةٌ  
 تَكْنُو الْحَقَائِقَ الْهَوَا أَفَاوِيهَا

\* \* \*

## الى امرأة

مَاذَا ؟ أَحَقَّتَا كُنْتُ بِی تَهْزَيْنِ  
وَكُنْتُ فِي حُبِّكَ لِي تَكْذِبِينَ  
لَمْ تَخْذَعِيْنِي مُطْلَقًا إِنَّمَا  
نَفْسِيكَ يَا هَذِي الَّتِي تَخْذَعِينَ  
مَتَّعْتُ حُبِّي عَنْكَ لَكِنَّمَا  
مَنَحْتُ عَقْوَی شِیمَةَ الْأَكْرَمِينَ  
مَهْلًا فَمِصْبَاحُكَ لَمْ يَأْتَلِقْ  
إِلَّا بِمَا مِنْ شُعْلَتِي تَقْبِيسِينَ  
مَهْلًا فَلِإِنِّي مِثْلُ ذَاكَ الَّذِي  
فِي عُرْسٍ قَتَا أَدْهَشَ الْعَالَمِينَ  
صَيَّرْتُ خَمْرًا آسِنَ الْمَاءِ فِي  
نَفْسِيكَ : تَخْرَأُ يُنْعِشُ الشَّارِبِينَ  
وَلَيْمَةً كَانَتْ لَنَا فِي الْمَوَى  
أَكْثَرْتُ فِيهَا عَدَدَ الْمُعْجَبِينَ  
هَلْ كُنْتُ فِي أَبْهَى لِيَالِي الْمَوَى  
أَيَّامَ كُنْتُ فِتْنَةً الشَّاطِرِينَ  
هَلْ كُنْتُ إِذَا ذَاكَ سَوَى آلَةٍ  
أَلْحَانُهَا مِنِّي وَمِنْهَا الرَّئِينِ

أَنْشَدْتُ أَحْلَامِي عَلَى فَاارِغٍ  
 مِنْ خَشَبِ الْقَلْبِ الَّذِي تَحْمِلِينَ  
 كَالنَّعَمِ الرُّثَانِ فِي آلَةٍ  
 فَارِغَةٍ تَحْتَ يَدِ الضَّارِبِينَ  
 إِنْ جَاءَتِ الْأَلْعَانُ تَسِي النُّهَى  
 فَتَأْيُ فَضْلٍ عِنْدَهَا تَدْعِينَ  
 أَلَمْ أَكُنْ أَطِيعُ إِنْشَادَهَا  
 عَلَى الْمَلَامِينَ غَيْرَ مَا تَذَكَّرِينَ  
 إِنِّي لِكَيِّ أَبْدِعَ هَذَا السَّنَا  
 مِنْ عَدَمٍ... وَلَمْ يَعْشُ غَيْرِ حِينَ  
 لَقَدْ كَفَانِي أَنْتِي عَاشِقُ  
 وَأَنْتِي كُنْتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَالْآنَ سِيرِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي  
 شِئْتُ فَلِي أَيْضًا طَرِيقُ أَمِينِ  
 سِيرِي وَلَا تَنْسَيَ بَأْسَ تَسْتُرِي،  
 إِنْ كُنْتُ تَسْتَحْيِينَ، ذَاكَ الْجَبِينِ  
 مَا دُبَّةٌ أَفْرَعْتُ كَأْسِي بِهَا  
 وَقُمْتُ عَنْهَا لَا كَمَا تَزْعُمِينَ  
 فَفَضَّلْتُ الْكَأْسَ الَّتِي عَفَتْهَا  
 تَرَكَتُهَا لِلنَّعَمِ السَّاقِطِينَ



« ١٩١٤ » الفقراء

أَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ إِنِّ غِنَاكُمْ  
 شَدِيدَتْهُ سَوَاعِدُ الْفُقَرَاءِ  
 الْقُصُورُ الَّتِي تُقِيمُونَ فِيهَا  
 مَن بَنَاهَا لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ  
 وَالطَّبَعَامُ الَّذِي تَلْتَدُونَ مَن هُمْ  
 صَانِعُوهُ لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ  
 وَالرَّيَّاحِينَ فِي الْجَنَائِنِ مَن هُمْ  
 غَارِسُوهَا لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ  
 وَالْحَلِيبُ الَّذِي رَضِعْتُمْ صِغَاراً  
 كَانَ مِّنْ صَدْرِ مُعْظَمِ الْفُقَرَاءِ  
 لَا تَقُولُوا وَسَاوِسٌ مِّنْ فُقِيرٍ  
 دَوَّخَتْهُ طَوَارِقُ الْأَرْزَاءِ  
 إِنِّ لِلْفَقِيرِ ثَوْرَةٌ لَوْ عَلِمْتُمْ  
 تَسْبِيحُ النَّاسِ دُونَهَا فِي الدَّمَاءِ

\* \* \*

### حكمة الدهر

حِكْمَةُ الدَّهْرِ أَنْ نَعِيشَ سَكَارَى  
فَتَجْمَعُوا لِي الْكُؤُوسَ وَالْأَوْتَارَا  
وَاجْلُواهَا دُنْيَا مَمْتَعَةِ الْحُسْنِ  
كَمَا تَجْلُونَ إِنْ إْحْدَى الْعَذَارَى  
كُلُّنَا كُلُّنَا نَجَادِبُهَا الْوَصْلَ  
وَتَجْنِي اللَّذَائِذَ الْإِنْكَارَا  
فَإَنْهَبِ الْعَيْشَ ، لَا أَبَا لَكَ ، نَهْبَا  
وَاطْرَحْ عَنْكَ وَجْهَكَ الْمُسْتَعَارَا  
لَسْتُ مِنْهَا عَفَرْتُ غَيْرَ جَنَاحِ  
حَطَّ فِي الدَّوْحِ لِحَظَةٌ ثُمَّ طَارَا  
مَتَى إِذَا شِئْتَ أَنْ تَكُونَ أَدِيَا  
أَوْ قَبْدَلُ بِغَيْرِ لُبَّانٍ دَلَارَا  
بَلَدٌ قُسِّمَتْ حُظُوظُ بَنِيهِ  
فَأَصْبَحْنَا مِنْ بَيْضِهَا الْأَصْفَارَا

\*\*\*

### رثاء شوقي

فَيْفَ فِي رَبِّي الخُلْدَ وَاهْتِفْ بِاسْمِ شَاعِرِهِ  
 فَسُدْرَةُ الْمُتَنَهَّى أَدْنَى مَنَابِرِهِ  
 وَأَمْسَحْ جَبِينَكَ بِالرُّكْنِ الَّذِي انْبَلَجَتْ  
 أَشْعَةُ الْوَحْيِ شِعْرًا مِنْ مَنَابِرِهِ  
 يَا لِلرُّزِيَّةِ ... غَالِ النَّهْرَ غَائِلُهُ  
 وَغَارَ فِي لَهَوَاتِ مِنْ هَوَاجِرِهِ  
 فَلَا الصَّبَاحَ ضَحُوكُ فِي سَوَاطِيهِ  
 وَلَا الْمَسَاءَ لَعُوبُ فِي جَزَائِرِهِ  
 وَأَسْلَمَ الزَّهْرُ أَجْبَادًا مُنْضَرَّةً  
 لِلشَّوْكِ جَفَّتْ عَلَى دَامِي أَظْفَارِهِ  
 وَالنَّاسُ فِي غَمْرَةِ عَذِيَاءَ لَا وَتَرُ  
 لِيَتَأَشِدَّيْهِ ، وَلَا نَجْمٌ لِسَامِرِهِ  
 يَا مِصْرُ مَا انْفَتَحَتْ عَيْنٌ عَلَى حَسَنِ  
 إِلَّا وَأُطْلِعْتَ أَلْفًا مِنْ نَظَائِرِهِ  
 وَلَا تَفْتَقَتْ الْافْكَارُ عَنِ أَدَبِ  
 إِلَّا وَأَنْبَتَ رَوْضًا مِنْ بَوَاكِرِهِ  
 لِبُنَاتِ يَا مِصْرُ مِصْرُ فِي مَطَامِحِهِ  
 كَمَا عَلِمْتُ وَمِصْرُ فِي مَقَاخِرِهِ  
 هَلْ كَانَ قَلْبُكَ إِلَّا فِي جَوَانِحِهِ  
 أَوْ كَانَ دَمْعُكَ إِلَّا فِي مَعَاخِرِهِ  
 أَوْ كَانَ مَنِيَّتُ مِصْرٍ غَيْرَ مَنِيَّتِهِ  
 أَوْ كَانَ شَاعِرُ مِصْرٍ غَيْرَ شَاعِرِهِ ؟ ..  
 فَيُثَارَةُ النَّيْلِ كَمْ عَنَيْتَ قَافِيَةَ  
 فِي مِسْمَعِ الدَّهْرِ مَسْرَاهَا وَخَاطِرِهِ  
 لَوْ عَادَ فِرْعَوْنُ كَانَتْ مِنْ ذَخَائِرِهِ  
 أَوْ خَنَمَ الخُلْدُ كَانَتْ فِي خُصَائِرِهِ

من قصيدة له في المتنبي

أبا الفتوحاتِ لَمْ تُزَجِرِ الحَيَّسَ لَهَا  
وَلَا لَبِيسَتَ إِلَيْهَا البَيْضَ وَالْيَلْبَا  
تَأْتِي التُّخُومَ فَتَلْقَاهَا مُهَلَّلَةً  
مِثْلَ المَرِيضِ أَتَاهُ بِالشِّفَاءِ نَبَا  
مَاالْفَتْحُ أَهْدَى إِلَيْكَ الرُّوضِ وَالسَّحْبَا  
كَالْفَتْحِ جَرٌّ عَلَيْكَ الْوَيْلَ وَالْحَرْبَا  
وَلَوْ فَتَحْتَ بَيْعَدَ السَّيْفِ لَانْحَطَمَتْ  
تَبِيجَانُ قَوْمٍ حَشَوُهَا الظُّلُمَ وَالرَّهْبَا  
« مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ  
وَيُدْرِكُ الْبَغَايَةَ الْقُصُوى وَمَا طَلِبَا  
قَدْ يُؤْثِرُ الدَّهْرُ إِنْسَانًا فَيَحْجَرُهُ  
مَنْ يَمْنَعُ الشَّيْءَ أَحْيَانًا فَقَدْ وَهَبَا  
يَا مُلْبِيسَ الْحِكْمَةِ الْفَرَاءِ رَوَعَتْهَا  
حَقَى هَتَفْنَا : أَوْحِيَا قُلْتَ أَمْ أَدْبَا  
كَأَنَّمَا هِيَ أَصْدَاءُ تُرَدُّهَا  
هَذَا إِذَا بَتَّ ، أَوْ هَذَا إِذَا عَتَبَا  
قَالُوا اسْتَبَاحَ أَرَسَطُو ، حِينَ أَعْجَزَهُمْ ،  
وَلِأَنَّهُ اسْتَلَّ مِنْ آيَاتِهِ النُّخْبَا

أَضْرَمَتْ ثَوْرَتَكَ الْهَوُجَاءُ فَالْتَهَمَتْ  
 مِنْ الْقَرِيضِ الْهَسِيمَ الْفَتْ وَالْحَشَبَا  
 وَغَالَ شِعْرُكَ شِعْرَ الْكَائِدِينَ لَهُ ،  
 لِنَفْسِهِمْ حَفَرَتْ أَيْدِيهِمُ التُّرَابَا  
 حَتَّى أَجَعَتْ وَلِلْأَفْلامِ هَلْهَلَسَةٌ  
 فِي كَفِّ أَبْلَغٍ مَنْ غَنَى وَمَنْ طَرِبَا...

\*\*\*

يَا خَالِقًا جِيلَهُ ، لَوْلَاكَ مَا عَرَفَتْ  
 لَهُ الْآوَاخِرُ لَا رَأْسًا وَلَا ذَنْبَا  
 غَضِيتَ لِلْعَقْلِ أَنْ يَشْفَى فَنُرَتْ لَهُ  
 بِمِثْلِ مَا انْدَفَعَ الْبُرْكَانُ وَاصْطَحَبَا  
 هَبْلَ النُّبُوَّةِ إِلَّا ثَوْرَةً عَصَفَتْ  
 عَلَى التَّقَالِيدِ حَتَّى تَسْتَحِيلَ هَبَا  
 مَا ضَرَّ مَوْقِدَهَا ، وَالْخُلْدُ مَنَزَلُهُ ،  
 إِذَا رَمَى نَفْسُهُ فِي نَارِهَا حَطَبَا ...

\*\*\*

من قصيدته في عمر ونعم

قالوا الحِجَازُ مُجْدِبٌ لَمَّا عَمُوا  
وَنَعْمُ فِيهِ رَوْضَةٌ وَنَهْرٌ  
إِنْ زَقَّتِ الْعُودَ أَنَاشِدَ الْهَوَى  
حَنٌّ لَهَا الْعُودُ وَجَنُّ الْوَتَرِ  
أَوْ صَفَّقَتْ لِلسَّهْرِ فِي أَتْرَابِهَا  
مَاجٌ لَهَا الْوَادِي وَغَنَى الشَّجَرِ  
الْحُبُّ مَذْبُوحٌ عَلَى أَقْدَامِهَا  
وَالْحُسْنُ فِي الْأَحْظَا يُكَبِّرُ  
تَعَرَّتِ الشَّمْسُ عَلَى وَجْنَتِهَا  
وَأَنْشَقَّ لَوْ تَعْلَمُ أَيْنَ الْقَمَرُ ..  
أَلَسْتُ رُوحُ اللَّهِ فِي شَاعِرِهِ  
ذَلِكَ يُوحِيهِ وَهَذَا يَنْشُرُ  
أَلِكُمَّةُ الْغُرَاءُ مِنْ أَسْبَابِهِ  
وَعَدْنُ مِنْ أَوْطَانِهِ وَعَبْقَرُ  
لَهُ عَلَى الْآفَاقِ فَتَحْ زَاهِرُ  
وَفِي عِبَابِ الْمَاءِ فَتَحْ أَزْهَرُ  
يُمَضِّبُهَا مِنْهُ خِيَالُ مَارِدٍ  
أَبْرَ الْفَتْوحَاتِ الَّذِي لَا يَقْتَرُ  
تَعَلَّقَ الْعِلْمُ عَلَى أَسْبَابِهِ  
فَحَلَّقَ الطُّودُ وَقَالَ الْحَجَرُ ..

## بلغوها

بَلَّغُوهَا إِذَا أَتَيْتُمْ حِمَامًا      أَنْتِي مُتٌ فِي الْقَرَامِ فِدَامَا  
وَأَذْكُرُونِي لَهَا بِكُلِّ جَمِيلٍ      فَمَسَاهَا تَبْكِي عَمَلِي عَسَامَا  
وَأَصْحَبُوهَا لِتُرْبَتِي ، فَعِظَامِي      تَخْتَبِي أَنْ تَدُوسَهَا قَدَمَاهَا  
لَمْ يَشْفُقْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَوْلَا      أَمَلِي أَنْتِي هُنَاكَ أَرَامَا  
وَلَوْ أَنَّ النِّعِيمَ كَانَ جَزَائِي      فِي جِهَادِي وَالنَّارَ كَانَتْ جَزَاهَا:  
لَأَتَيْتُ الْإِلَهَ زَخْفًا ، وَعَفَرْتُ      جَبِينِي كَسِي أَسْتَمِيلَ إِلَهِهَا  
وَمَلَأْتُ السَّمَاءَ سُكُونِي غَرَامِي      فَشَفَلْتُ الْأَبْرَارَ عَنْ تَقْوَاهَا  
وَمَشَى الْحُبُّ فِي الْمَلَائِكِ ، حَقِ      خَافَ جِبْرِيلُ مِنْهُمْ عَقْبَاهَا  
قُلْتُ: يَا رَبِّ، أَيُّ ذَنْبٍ جَنَنْتُ

أَيُّ ذَنْبٍ لَقَدْ ظَلَمْتَ صِبَاهَا  
أَنْتَ ذَوْبَتْ فِي حَاجِرِهَا السَّحَرِ  
وَرَصَعْتَ بِاللَّالِ فَاهَا  
أَنْتَ عَسَلْتَ تَغْرِهَا قُلُوبَ النَّاسِ  
نَحَلُ أَكْهَامِهَا شَفَتَاهَا  
أَنْتَ مِنْ لَحْظِهَا شَهَرْتَ حُسَامَا  
فَبَرَاءُ مِنْ الدَّمَارِ يَدَاهَا  
رَحْمَةُ رَبِّ، لَسْتُ أَسْأَلُ عَذْلًا،  
رَبِّ خُذْنِي إِنْ أَخْطَأْتُ بِخَطَايَا  
دَعْ سُلَيْمِي تَكُونُ حَيْثُ تَرَانِي  
أَوْ قَدْ عَنِي أَكُونُ حَيْثُ أَرَاهَا

نياشين

أَيْفَرِضُونَ  
عَلَى مِثْلِي مَلَابِسَهُمْ ،  
وَيَسْأَلُونَ  
نِيَابِي عَنْ نِيَاشِينَ ؟ ..  
كَأَنِّي  
لَمْ أَكُنْ  
عُنْوَانَ فَخْرِهِمْ ،  
يَوْمَ انْطِلَاقِ الْقَوَافِي  
فِي الْمَيَادِينِ  
إِنِّي  
لَمِنْ مَعْشَرِهِ ،  
لَوْلَا يَرَاعَتُهُمْ ،  
مَا كَانَ لِنُبْنَانِ  
غَيْرِ الْمَاءِ  
وَالطِّينِ ...

\* \* \*



يا مجد يا جنون

يا مَجْدُ  
يا فتنُ ، يا جنونُ  
لَمْ تُبْقِ مِنْي  
الليالي ، سوى  
خيالِ خيالي ،  
لا التَّحُلُ  
يَرْشِفُ شَهْدِي  
وَلَا الْفِرَاشُ ،  
وَكَانَ جِيْدِي  
وَحَدِّي  
هَذَا فِرَاشُ  
إِذَا  
كَانَ يَنْهَدِي يُرْوِي  
الْعِطَاشُ ،  
أَصْبَحْتُ  
أَصْبَحْتُ وَحْدِي ...  
يا مَجْدُ  
يا فتنُ ، يا جنونُ  
أَيْنَ الْهَوَى  
وَالْفُنُونُ  
وَالْمُصِيبَةُ الْمُتَعَجِبُونَ ...

### رثاء سعد زغلول

قالوا دَهَتْ مَضَرَ دَهْبَاءٌ فَقُلْتُ لَهُمْ  
 كَهْلٌ غُنْصُ النَّيْلِ أَمْ كَهْلٌ زُلْزَلُ الْحَرَمِ  
 قالوا أَشَدُّ وَأَذَى ، قُلْتُ : وَيَحْكُمُ  
 إِذَنْ لَقَدْ مَاتَ سَعْدٌ وَأَنْطَوَى الْعَلَمُ ...  
 لِمَ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الْعَرَبَ قَاطِبَةٌ  
 تَبَيَّنُوا ، كَانَ زَغُولُ أَبَا لَهُمْ  
 لِمَ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الْغَرْبَ مُضْطَرِبٌ  
 لِمَ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الشَّرْقَ مُضْطَرِمٌ  
 عَذَرْتُكُمْ كَانَ مِلَّةَ الْكَوْنِ صَاحِبُكُمْ  
 فَكَتِفَ تَمَلُّ أُذُنِ السَّامِعِ الْكَلِمُ  
 لَلصَّمْتُ أَبْلَغُ مِنْهَا وَهُوَ مُنْشَقٌّ  
 وَاللَّمْعُ أَفْعَلُ مِنْهَا وَهُوَ مُنْسَجِمٌ  
 جَاءَ النَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِهَا لَأُمُوا  
 وَجَاءَ سَعْدٌ فَشَمَلُ الشَّرْقِ مِلَّتِيْمُ  
 أَلْقَائِلُ الْحَقِّ لَا تُثْنَى أَعْنَتُهُ  
 وَالْوَاحِدُ الْفَرْدُ فِي أَنْوَابِهِ أَمَمُ  
 لُطْفُ الْمَسِيحِ مُذَابٌ فِي مَحَاجِيرِهِ  
 وَعَزَمُ أَحْمَدُ فِي جَنْبَيْهِ يَحْتَدِمُ  
 صَلَّى عَلَيْهِ النَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ  
 وَالْمُسْلِمُونَ سَعَوْا لِلْقَبْرِ وَاسْتَلَمُوا ...  
 الْمُؤْمِنُونَ بِسَعْدٍ ، أَيْنَ أَبْصَرُهُمْ  
 وَالْمُتَعَبِّونَ بِسَعْدٍ : أَيْنَ أَيْنَهُمْ  
 أَفْرِي الطَّبَالِسَ عَنْهُمْ لَا أَشَاهِدُهُمْ  
 أَبْرِي الْقَلَائِسَ عَنْهُمْ لَا أَحِسُّهُمْ  
 وَأَسْأَلُ الْحَقْلَ عَنْهُمْ لَا يُجَاوِبُنِي  
 كَأَنَّا الْحَقْلُ فِي آذَانِهِ صَمَمُ  
 بَلَى شَهِدَتْهُمْ وَالنَّفْعُ مُعْتَكِرٌ وَالْحَقُّ مُطْلَبٌ .. وَالشُّعْرُ مُبْتَسِمٌ

### ترانيل المغيب

آهِ مَا أَحْلَى الْحُمَيَّا تَحْتَ أَذْيَالِ السُّكُونِ  
وَالْهَوَى يُوحِي إِلَيْنَا  
بِإِرسَالِ الْعَيُونِ

كَلَّمْنَا غَنِيَّتُ لَحْنًا فِي دِيَارِ الْبُلْبُلِ  
سَرَقَ اللَّحْنَ وَأَلْقَاهُ  
بِأَذْنِ الْجَدْوَلِ

لَيْسَ مَا يُشْجِيكَ مِنِّي نَغَمَاتٌ فِي فَيْي  
إِنَّهَا وَاهِفَةٌ نَفْسِي  
قَطَرَاتٌ مِنْ دَمِي

أَكَمَا شَاوُوا غِنَائِي وَكَلَّمَا شَاوُوا نَوَاحِي  
أَفَلَيْسَ اللَّهُ لَهْوِي  
وَالْجِرَاحَاتُ جِرَاحِي

مَلَأُوا كَأْسِي خَمْرًا لَيْسَ مِنْ خَمْرِي وَدَنْتِي  
وَسَقَوْا عَوْدِي فَغَنَّتِي  
وَفَوَّادِي لَمْ يُغْنِ

يا حبيبي قُمْ نُرْصَعْ بالهوى ثَغَرَ الحَيَاةِ  
نَحْ هَذِي الكَأْسَ عَنِّي  
وَأَمِقْنِي هَذِي الشِّفَاةَ

كُلُّمَا أَوْ مَضَ لِحْظَاكَ بِلِحْنِ يَا حَبِيبِي  
كَلِمَا تَبَيَّبَ خَدَاكَ  
بِخَيْرٍ أَوْ بِطِيبِ

كَلِمَا رَتَّلَ نَهْدَاكَ تَرَاتِيلَ الْمَغِيبِ  
صَفَّقَ الْقَلْبُ وَنَادَى  
يَا حَبِيبِي ... يَا حَبِيبِي

★ ★ ★

## مرحباً مصر

مَرْحَبًا مِصْرُ مَرْحَبًا ، كُلُّ أَهْلٍ  
لَكَ أَهْلٌ ... وَكُلُّ صَدْرٍ مَحَلُّ

لَيْسَ تَأْلُو الرِّيَاضُ أَنْ تَوْقِظَ الزُّهْرَ  
وَأَنْ تَجْنَحَ الشَّدَا لَيْسَ تَأْلُو

لِنَرْقِ الْأَرْبَجَ سَكْنًا وَتَهْنَأُ  
عَلَى وَجْهِ مِصْرٍ حِينَ يُطِيلُ

مَرْحَبًا مِصْرُ يَا سَقِيقَتَنَا الْبِكْرَ ،  
وَيَحْلُو تَرْدِيدُ مِصْرٍ وَيَغْشَاوُ

نَحْنُ فَرَاعَانِ أَلْفَ الشَّرْقِ قَلْبَيْنَا  
عَلَى الْحُبِّ وَالْحَضَارَةِ أَصْلُ

مُعْجِزَاتُ الزَّمَانِ مِنْكُمْ وَمِثْنَا ،  
زَيْنٌ جَيِّدُ الْوُجُودِ وَالْدُّمُرِ طِفْلُ ،

هَرَمٌ تَجْنِمْ الْعِظَائِمُ فِيهِ ،  
وَسَقِينُ عَلَى الْبَحَارِ يُدِلُّ

## بردى والنيل

يَا مِصْرُ مَا نَظَمَ الْجِهَادُ قَصِيدَةً  
إِلَّا اسْتَهْلَ بِذِكْرِكَ الْفَوَاحِ

أَوْ سَالَ جُرْحُ مِثْنِ جَبِينِ مُجَاهِدٍ  
إِلَّا عَصَبَتْ جِوَارِحَهُ بِجِرَاحِ

بَرْدَى شَقِيقِ النَّيْلِ مِنْدُ أُمَيْيَّةٍ  
جُمِعَا عَلَى الْأَفْرَاحِ وَالْأَتْرَاحِ

نَسَبٌ كَخَدِّ الْوَرْدِ فِي شَفَةِ الضُّحَى  
يَخْتَالُ بَيْنَ الْعَاصِ وَالْجَرَّاحِ

\* \* \*

## عروة وعفراء

مَهْدَ الْفَرَامِ وَمَسْرَحَ الْفِزْلَانِ حَبْثُ الْهَوَى ضَرْبٌ مِنَ الْإِيمَانِ  
يَتَعَانَقُ الرُّوحَانِ فِيهِ صَبَابَةٌ وَيَعِيفُ أَنْ يَتَعَانَقَ الْجَسَدَانِ  
فَإِذَا سَمِعْتَ بَعَاشِقَيْنِ، فَقُلْ هُمَا مَلَكَانِ مُتَّصِلَانِ مُتَفَصِّلَانِ  
مَادَارَ ثُمَّ سِوَى الْحَدِيثِ، كَأَنَّهُ رَاحٌ يُدِيرُ كُؤُوسَهَا الْمَلَكَانِ  
سَلْ عُرْوَةَ بْنَ حَزَامٍ عَنْ غُصَصِ الْهَوَى

تَسْمَعُ جَوَابَ فَقَى الْفَرَامِ الْمَانِي  
تَحْنَتَانِ سَاجِعَةٍ الْهَائِمِ فِي الضَّحَى وَزَقِيرَ أَعْوَادِ الْجَحِيمِ الثَّانِي  
وَلَهُ حَدِيثٌ، كَالدَّامُوعِ إِذَا جَرَتْ جَذَبَتْ نَظَائِرَهَا مِنَ الْأَجْفَانِ  
عَلَّمَ الْهَوَى، مِنْ آلِ عُذْرَةٍ، عُرْوَةَ !

كَذَبَ الْأُلَى قَالُوا لَهَا عَلَمَانِ

\* \* \*

وُلِدَ الْفَقَى الْعُذْرِيُّ عُرْوَةَ، بَعْدَمَا  
فَإِذَا بِعُرْوَةَ فِي مَضَارِبِ عَمَةٍ  
عَفْرَاءُ، إِنْشَتْهُ، مَعَ ابْنِ شَقِيقِهِ  
وَإِذَا تَضُمُّهُمَا الْحُقُولُ، فَإِنَّهَا  
يَتَرَاكِضَانِ بِيهَا - فَإِنْ هُمَا بُوغْتَا  
وَلَطَّالِمَتَا وَقَفَّاعِلَى الْوَادِي وَقَدْ  
لَمْ يَلْبَسَا رِيَشَ الْهَوَى لَكِنِشْمَا  
دَارَتْ بِوَالِدِهِ رَحَى الْحَدَثَانِ «مُصَرٍّ»، فَكَانَ هُنَاكَ رَغْزُلُولَانِ  
وَكِلَاهُمَا فِي الْعُمُرِ دُونَ ثَمَانِ  
ظَهَرَتْ بِمَائِسَتَيْنِ مِنْ رَيْحَانِ  
فِيهَا - فَبِالْأَوْرَاقِ يَخْتَبِئَانِ  
صَرَخَا هُنَاكَ لِيَلْتَقِيَ الصَّدْيَانِ  
هُوَ رِيَشُ أَحْلَامٍ وَثَرِيشُ أُمَانِي

\* \* \*

مُزِجًا ، فَلَوْ خَطَرَتْ لَعَفَرًا فِكْرَةً ،

بَدَرَتْ بِهَا مِنْ عُرْوَةِ الشَّقَاتِ  
وَإِذَا التَّقَى النَّظَرَانِ تَلَمَّعَ أُسْطَرُ  
حَتَّى إِذَا كَبِيرًا ذَوَلَّتْ شَرَحَ مَا  
فَلَمَّا الْوَدَادُ هَوَى وَصَادَفَ تَرْبَةً  
وَبَحَّ الْمُحِبَّ إِذَا تَمَلَّكَهُ الْهَوَى  
عَبَثًا يُحَاوِلُ ذُو الْهَوَى كَيْثْمَانَهُ  
فَدَرَى بِهِ هَضْرًا كَانَ يَسُوهُ ،  
وَأَهْمُ يُنَمِّي عُرْوَةً فِي عَيْنِهِ  
فَمَكَأَ إِلَيْهِ مِنْهُ حُبُّ قَتَائِهِ ،  
فَأَجَابَهُ هَضْرًا وَكَانَ مُحَاتِلًا -

\* \* \*

نُعْمَى عَلَى كَيْدِ الْفَقَى سَقَطَتْ ، كَمَا  
فَأَحْسَنَ أَنْ لَهُ جَنَاحِي طَائِرٍ  
فَتَجَرَى يَرْقِصُ عُدَّةَ الشُّعْرَى عَلَى  
فَيَبْصُوغُ هَيْمَنَةَ النَّسِيمِ قَهَائِدًا  
مِمَّا رَاعَهُ إِلَّا مَقَالَةً عَمَهُ :  
سِرٌّ لِلشَّامِ بِمَنْجَرٍ ... فَأَطَاعَهُ

\* \* \*

بَيْنَا الْفَقَى فِي الشَّامِ يَكْدَحُ الْغِنَى  
كَانَتْ حَبِيبَتُهُ زُفْرًا لِثَانِي  
هَضْرًا لَهُ نَسَبَانِ مُكْتَرِمَانِ



نَسَبُ الدَّمَاءِ قَبْلَهُ نَسَبُ الْغَنَى  
فَتَأْتِيهِ عَفْرَاءٌ ، صَفْقَةً تَاجِرٍ  
« مَا عَامِلٌ فِي الْحَقْلِ ، حَمَلٌ يَوْمَهُ »  
« يَمْشِي لِمَنْزِلِهِ ، بِنَفْسٍ مُغَالِبٍ »  
« يَمْحُو بِفِكَرَتِهِ عُيُوسَةَ »  
دَهْرِهِ

بِثَبَّتِهِمْ فِي آلِهِ وَحَنَانِهِ  
« يَمْشِي ، وَمَا هُوَ إِلَّا دَفَا ، حَتَّى رَأَى »  
« وَرَأَى اشْتِعَالَ النَّارِ فِي أَخْطَابِهِ »  
« فَاحْسٌ بِالْجُلْسَى : فَتَأْصِرُ ، لَيْتَهُ »  
« فَلَمَّا قَرِئَتْهُ الْحَبِيبَةُ جِئَتْ »  
« مَا خَطْبُ هَذَا ، وَهُوَ أَهْلٌ مَارَاتِ »  
« بِأَسَدٍ مِنْ قَوْلِ الرِّوَاةِ لِعُرْوَةَ : »  
خَلَعَ التَّحُولُ عَلَيْهِ أَفْجَعَ مَا ارْتَأَى

دَاءٌ ، وَأَبْلَى مَا اكْتَسَاهُ عِبَانِ  
سَقَمٌ تَشْفَى بِهِ الضَّلُوعُ ، كَانَتْهَا  
فَقْدَانُهُ مَثَلًا تَنَاقَلَهُ ، إِلَى  
قِطْعِ الزَّجَاجِ بِأَيْدِي الْجُدْرَانِ  
أَقْصَى الْقَبَائِلِ ، أَلْسُنُ الرُّكْبَانِ

\*\*\*

مَا حَاضِرُ الرُّوْحَانِ ، دُونَ مَنَالِهِ  
لِيَحُولَ دُونَ فَتَى الْهَوَى وَفَتَاتِهِ  
فَمَشَى إِلَى أَرْضِ الْحَبِيبِ ، دَلِيلُهُ  
يُلْقِي الْقَصَائِدَ فِي الطَّرِيقِ ، وَحَشَوْهَا  
كَالْمُعْجَةِ الْبَيْضَاءِ ، حِينَ مُرُورِهَا  
وَخَذُّ الشَّرَى فِي الْأَمْعَزِ الصَّوَانِ  
إِنَّ الْهَوَى ضَرَبَ مِنْ الطَّيْرَانِ  
عَيْنَانِ . إِنْسَانَاهُمَا غَرْقَانِ  
أَنْفَاسُ مَكَلْدُومِ الْحَشَا وَلَهَانِ  
بَيْنَ الصَّخُورِ وَشَايِكَ الْعِيدَانِ ،

تُبْقِي عَلَى الْأَشْوَكَ، مِنْ أَصْوَافِهَا،  
وَدَرَى أُنْثَالَةً أَنْ عُرْوَةً فِي الْحِمَى  
وَأُنْثَالَةً رَجُلٌ الْمَحَامِدِ، بَيْنَهُ  
فَابَتْ مُرُوءَتُهُ عَلَيْهِ، أَنْ يَرَى  
فَمَسَى إِلَيْهِ عَاتِبًا : أَتَكُونُ فِي  
إِنْسِي عَزَمْتَ عَلَيْكَ أَنْتَ نَازِلٌ  
— عَذْرَاءُ إِنْسِي رَاجِعٌ لِحَوَادِثِ  
لَا عَذْرَاءَ... لَا، لَا عَذْرَاءَ — أَنْظِرْنِي إِذَا  
وَتَفَارَقْنَا، فَإِذَا بِمُرُوءَةٍ رُجْمَةٍ  
وَأَشَارَ نَحْوَ أُنْثَالَةٍ بِجُفُونِهِ :  
هَجَرَ الدِّيَارَ لَوْفَتِهِ، تَسْعَى بِهِ  
هَجَرَ الدِّيَارَ، دِيَارَ عَفْرَاءٍ الَّتِي  
حَتَّى إِذَا وَادِيَ الْقَرْىَ رَحِبَتْ بِهِ  
جُسْجَمَانَهُ فِي الْقَبْرِ، لَكِنَّ رُوحَهُ

خُصَلَا مُخَفَّضَةً بِأَحْمَرَ قَانٍ  
وَبِمَا بِعُرْوَةٍ مِنْ هَوَى وَهَوَانٍ  
بَيْتُ الْفَخَّارِ وَمُلْتَقَى الضَّيْفَانِ  
رَجُلًا كَعُرْوَةٍ مُبْعَدًا مُتَدَانِي  
بَلَدِي وَلَسْتُ لِحَيْمَتِي وَخِيَا فِي...  
عِشْدِي. ، وَإِلَّا سَأَمَنِي حَيْرُمَانِي  
نَزَلْتُ بَيْنَا مَا كُنْ فِي الْحُسْبَانِ  
لِغْدِي — إِذَا فَجَرَ النَّهَارِ الثَّانِي  
تَهْوِي، عَلَيْهَا انْقِصَ صَاعِقَتَانِ  
سَرَى الْمُرُوءَةِ أَنْتَا كَفُوانِ...  
قَدَمَانِ هَارِلَتَانِ شَاكِتَانِ  
طَبَعَتْ حُشَاشَتَهُ عَلَى الْأَحْزَانِ  
رَحِبَتْ بِشِلْوِ لَفٍّ فِي أَكْفَانِ  
أَبْدَأَ مَرْفَرَفَةً عَلَى الْوُدْيَانِ

\* \* \*

رَنَ النَّعْمِ بِأَذْنِ عَفْرَاءٍ، فَهَلْ  
لَعِبَتْ بِهِ هَوَجُ الْعَوَاصِفِ، فَالْتَوَى  
هِيَ مِثْلُهُ، حَامِلَاتُ الدَّمُوعِ وَأُنْثَةً  
فَأَتَتْ أُنْثَالَةً، وَالِدَمُوعُ سَوَاحِبُ،  
قَالَتْ: لَتَعْلَمَنَّ أَنْ عُرْوَةً كَانَ لِي  
وَعَلِمْتُ أَنْ هَوَاهُ لَا عَنْ رِيَّةٍ  
هَلَا إِذْنَتْ بَيَانُ أَزُورَ مُرَابَهٍ

شَاهَدَتْ غُصْنًا مِنْ رَطِيبِ الْبَانِ  
مُنْقَصِفًا وَأُصِيبَ بِالرَّجَقَاتِ  
مِنْ صَدْرِ مُخْتَضِرٍ بِهِ جُرْحَانِ  
فَتَلْتَمَسَ الْفِضْيُ بِالْمَرْجَانِ  
إِلْفًا وَتَحْنُ وَعُرْوَةً حَدَاتَانِ  
يُغْزِي بِهَا رَجُلِي وَيُخَفِّضُ شَانِي  
أَفَمَا أَبِي وَأَبُو الْفَتَى أَخْوَانِ...؟

—مَنْ ذَا يُبَالِغُ أَنْ تَقِيهِ حَقُّهُ سِيرِي، فَمَا هِيَ غَيْرُ بَعْضِ ثَوَانٍ  
 حَتَّى رَأَيْتَ بِقَبْرِ عُرْوَةَ بَانَةً مَحْنِيَةً... وَالْهَيْئَةَ لِلْبَنَانِ ...  
 ضَمُّوا الْفَتَاةَ إِلَى الْفَتَى فِي حُفْرَةٍ مِنْ فَوْقِهَا غُصْنَانِ مُلْتَفَتَانِ  
 رُوحَانِ ضَمَّهُمَا الْهَوَى فَنَعَانَقَا وَتَعَاهَدَا فَنَعَانَقَ الْكَفَّيْنَانِ

\* \* \*

أَنَا وَفَدُ أَبْنَاءِ الصَّبَابَةِ، سَاجِدُ مِنْ تُرْبِ عُدْرَةٍ فِي أَدْلَى مَكَانٍ  
 أَسْتَنْزِلُ الْوَحْيَ الَّذِي ظَفِيرَتِ بِهِ شُعْرَاءُ عُدْرَةٍ فِي الزَّمَانِ الْقَائِي  
 فَتَسُوعُ فِي أُذُنِي جَمِيلٌ رَتَنِي وَتَطْيِبُ نَفْسُ كَثِيرٍ بِيَبْيَانِي

\* \* \*

## المسلول

حَسَنَاءُ ، أَيُّ فَتَى رَأَتْ تَصِيدُ      قَتَلِي الْهَوَى فِيهَا بَيْلَا عَدَدِ  
بَصَرَتْ يَدَ رَثِّ الشَّيَابِ ، بَيْلَا      مَأْوَى بَيْلَا أَهْلِي بَيْلَا بَلَدِ  
فَتَسْخِرَتْهُ ، وَكَانَ شَافِعَهُ      لُطْفُ الْغَزَالِ وَقُوَّةُ الْأَسَدِ  
وَرَأَى الْفَتَى الْأَمَالَ بِأَسِمَةٍ      فِي وَجْهِهَا ، لِفُؤَادِهِ الْكَمِيدِ  
وَالْمَالَ مِلَّةً يَدَيْهِ ، يُنْفِقُهُ      مُتَشَفِّيًا لِنُفَاقِ ذِي حَرَدِ  
ظَهَرَ لَهَا وَالْأَهْوَاءُ جَارِيَةً      كَالسَّلَسِيلِ ، مَتَى يَرُدُّ يَرُدِ  
رَوْضٌ مِنَ اللَّذَاتِ ، طَيِّبَةٌ      أَثْمَارُهُ ، خِلْوٌ مِنَ الرَّصَدِ  
نَعَمْ أَفَانَيْنُ ، يَكَادُ لَهَا      يَخْتَالُ مِنْ غُلُوَاهُ فِي بُرْدِ  
مَاضِيهِ ، لَوْ يَدْرِي بِحَاضِرِهِ ،      رُغْمُ الْأُخُوَّةِ مَاتَ مِنْ حَسَدِ

\* \* \*

سَكْرَانُ ، وَالْكَاسَاتُ شَاهِدَةٌ      إِنَّ الْكُؤُوسَ لَهَا مِنْ الْعُدَدِ  
سَكْرَانُ لَا يَبْصُحُوكَ سَكْرَتِهِ      أَمْسًا ، وَسَكْرَتِهِ عِدَّةَ غَدِ  
سَكْرَانُ ، وَهِيَ تَزُقُّهُ قُبْلَا      وَيَزُقُّهَا ، وَإِذَا تَزُدُّ يَزُدِ  
سَكْرَانُ ، وَهِيَ تَمُصُّ مِنْ دَمِهِ      وَتُرِيهِ قَلْبَ الْأُمِّ لِلْوَلَدِ  
سَكْرَانُ ، بَحْتَى رَأْسُهُ أَبَدًا      لَا يَسْتَقِرُّ لِكَثْرَةِ الْمَيِّدِ  
«قَالَتْ لَهُ: نَمْ ، نَمْ لِفَجْرِ غَدِ      ضَعْ رَأْسَكَ الْوَاهِي عَلَى كَبِيدِي

نَمْ ، لَا تُسَلِّطْ يَا حَبِيبَ عَلَى  
عَيْنَاكَ مُسْعَبَتَانِ مِنْ سَهَرٍ  
- لا ، لا أَنَامُ وَلَا أَذُقُ كَرَى ،  
لا ، لا أَنَامُ وَلَا أَذُقُ كَرَى ،  
سَلَّمَى ، أَحْسَنَ النَّارِ سَائِلَةً  
وَأَحْسَنُ قَلْبِي فَاغِيرَا فَمَهْ  
إِنْ ضَاعَ يَوْمِي ، مَا أَسِفْتُ عَلَى

\* \* \*

نَمْ لَا تُكَابِرْ ، كَادَ رَأْسُكَ أَنْ  
- يَهْوِي !... نَعَمْ يَا فِتْنِي وَمَنَى  
يَهْوِي !... وَلَمْ لَا ، وَالشَّبَابُ ذَوَى  
لَمْ تُبْقِ لِي مِثِّي ، سِوَى رَمَقِ  
رَبَاهُ مِنْذُ يَوْمَيْنِ كُنْتُ فَتَى  
وَالْيَوْمَ ، أُسْرِعُ لِلنَّبِيلِ ، وَأَنَا  
سَلْمَايَ إِنَّكَ أَنْتِ قَاتِلَتِي !  
وطويلُ سَعْرِكَ صَارَ لِي كَفْنًا  
سَلَمَى أَطْفِئِي الْأَنْوَارَ وَافْتِجِي  
وَدْعِي شَمَاعَ الشَّمْسِ يَضْحَكُ لِي  
وَدْعِي أُرَيْجَ الزَّهْرِ يُنْعِشُنِي  
أَنَا ، إِنْ قُضِيَ هَوَى ، فَلَا طَلَمَتْ

يَهْوِي بِكَاسِكَ ، غَيْرَ أَنْ يَدَى ..  
نَفْسِي ، وَزَهْرَةَ جَنَّةِ الْخُلْدِ  
وَعَلَى شَبَابِي كَانَتْ مَعْتَمِدِي  
مُتَرَاوِحٍ فِي أَضْلَعِ هُمْدٍ ...  
لِي قُبُوتِي وَشَبِيبَتِي وَعَسَدِي  
لَمْ أَبْلُغِ الْعَشْرِينَ أَوْ أَكْبَرَ  
فَجَمِيلُ جِسْمِكَ مَدْفَنِي الْأَبَدِي  
كَفَنَ الشَّبَابِ ذَوَى وَكَانَ نَدَى  
هَذَا الْكُؤَى لِنَسَائِمِ جُدُودِ  
فَشَاعَهَا بَرْدٌ عَلَى كَبِدِي  
وَهَدَيْلَ طَيْرِ الْأَيْكَةِ الْغُرْدِ  
شَمْسُ الضُّحَى بَعْدِي عَلَى أَحَدٍ ،

\* \* \*

- أنا إن قتلتك كيف تحفظني  
أو كنت متاً ليلتي جهدي  
- لا ، أنتٍ مُحِنِيّتي ومُنْقِذِي  
أفأنتِ قاتِلتي ؟ كذبتُ أنا ،  
لكنما العشاقُ ، عادتهمُ  
يبكونَ من جزعٍ للذاتِهمُ  
قلبي لقلبك خافقٌ أبداً  
- إن كان ذاك ، فهذه شفتي  
إن صحّ زعمك ، حِفْظُ مُقْتَصِدٍ  
يا مُهْجِي خُفْفاً ولا تَزِدْ  
من عَيْشي المتنكّرِ النكيدِ  
لولاك كنتُ أذلُّ من وتدٍ  
ذكرُ المنايا ذِكْرَ مُقْتَدٍ  
أن لا تكونَ طويلاً الأمدِ ...  
ويظلُّ يخفقُ غيرَ مُتَنِدٍ  
مَن يشتعلُ في الحُبِّ يَبْتَرِدِ

\* \* \*

وتصافحا فتعانقا فهما  
نهبا أويقات الصفاء ، وقد  
وترشفا كأس الغرام ، وما  
ومشى الهوى بهما كفاذته ،  
روحان خافقتان في جسد  
عكفا عليها عكفاً مُحْتَدٍ  
تركا بها من نهلة لصدي  
والبحر لا يخلو من الزبد ...

\* \* \*

سنة مضت ، فإذا خرجت إلى  
ولفت وجهك ينسنة ، فترى  
هذا الفتى في الأملس ، صار إلى  
متلجلج الألفاظِ مضطربِ  
ذاك الطريق بظاهير البلد  
وجهاً متى تذكره ترتعد :  
رجل هزيل الجسم مُتَجَرِدِ  
متواصل الأنفاسِ مُطَرِدِ

مُتَجَمِّدِ الْخَدَيْنِ مِنْ سَرَفٍ مُتَكَسِّرِ الْجَفَيْنِ مِنْ سَهْدٍ

\* \* \*

عَيْنَاهُ عَالِقَتَانِ فِي نَفَقٍ كَسِرَاجِ كُوخٍ نِصْفٍ مُتَقَدِّ  
أَوْ كَالْحُبَابِجِ ، بَاخٍ لَامِعُهُ ، يَبْدُو مِنَ الْوَجَنَاتِ فِي خُدِّ  
تَهْتَزُّ أَنْفَعْلُهُ ، فَتَحْسِبُهَا وَرَقَ الْخَرِيفِ أُصِيبَ بِالْبَرْدِ  
وَيَكَادُ يَحْمِلُهُ ، لِمَا تَرَكْتُ مِنْهُ الصَّبَابَةُ ، مِخْلَبُ الصُّرْدِ

\* \* \*

يَمْشِي بَعِلْتِهِ عَلَى مَهَلٍ فَكَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَى قَصَدٍ  
وَيَمْجُ أَحْيَانًا دَمًا ، فَعَلَى مَنْدِيلِهِ قِطْعٌ مِنَ الْكَبِدِ  
قِطْعٌ تَابِينٌ مُفَجَّعَةٌ مَكْتُوبَةٌ يَدَمٍ بِغَيْرِ يَدٍ  
قِطْعٌ تَقُولُ لَهُ : تَمُوتُ غَدًا وَإِذَا تَرَّقَ ، تَقُولُ : بَعْدَ غَدٍ ...  
وَالْمَوْتُ أَرْحَمُ زَائِرٍ لِفَتَى مُتَزَمِّلٍ بِالذَّاءِ مُغْتَمِدٍ  
قَدْ كَانَ مُنْتَحِرًا ، لَوْ أَنَّ لَهُ شِبَهَ الْقَيِّوِ فِي جِسْمِهِ الْخَضِرِ  
لَكُنْهُ ، وَالذَّاءُ يَنْهَشُهُ ، كَالثَّلَوِ بَيْنَ مَخَالِبِ الْأَسَدِ ...  
جَلَدٌ عَلَى الْأَلَامِ ، يُنْجِدُهُ طَلَلُ الشَّبَابِ وَدَارِسُ الصَّيْدِ ..

\* \* \*

أَيْنَ الَّتِي عَلِقْتُ بِهِ غَضُنًا حُلُوَ الْمَجَانِي نَاضِرَ الْمَسْدِ  
أَيْنَ الَّتِي كَانَتْ تَقُولُ لَهُ : ضَعْ رَأْسَكَ الْوَاهِي عَلَى كَيْدِي؟  
نَمْ ! لَا تَسْلُطْ يَا حَبِيبُ عَلَى مَخْمُورِ جِسْمِكَ قَلَّةُ الْجُلْدِ

مات الشقيُّ بها وقد سلّمتُ  
 مات الفنى ، فأقيمَ في جدثِ  
 مُتَجَلِّلٍ بالفَقْرِ ، مؤتَزِرٍ  
 بالنِّبْتِ من مُتَيْبَسٍ ونَسْدِي  
 وتزورُّه حِيناً ، فتُؤَنِّسهُ  
 بعضُ الطيُورِ بصوتِها الغرِدي .  
 كتبوا على حجراتِهِ بدمٍ  
 سطرأ بِهِ عِظَةٌ لِيذِي رَشْدِي  
 هذا قَتِيلُ هوى ، بنتُ هوى  
 فإذا مررت بأختها فحِدي .

★ ★ ★



## سامى الكورانية

تَعَجَّبَ اللَّيْلُ مِنْهَا عِنْدَمَا بَرَزَتْ      'تَسْلِسِلُ النُّجُورَ فِي عَيْنَيْهِ عَيْنَاهَا'  
 فَظَنَّتْهَا وَهِيَ عِنْدَ الْمَاءِ قَائِمَةً      مَنَارَةً ضَمَّتْهَا الشَّاطِي وَفَدَّاهَا  
 وَتَمَتَّتْ نَجْمَةً فِي أُذُنِ جَارَتِهَا      لَمَّا رَأَتْهَا وَجُنَّتْ عِنْدَ مَرَّاهَا :  
 أَنْظُرْنَ يَا إِخْوَتَا هَذِي شَقِيقَتُنَا      فَمَنْ تَرَاهُ عَلَى الْغُبَاءِ أَلْقَاهَا ؟  
 أَتِلِكَ مَنْ حَدَّثَتْ عَنْهَا عَجَائِزُنَا      وَقُلْنَ إِنَّ مَلِيكَ الْجِنَّ يَهْوَاهَا  
 فَأَطْلُقِ الْمَارِدَ الْجَبَّارَ عَاصِفَةً      تَغْزُو النُّجُومَ فَكَانَتْ مِنْ سَبَابِهَا!  
 قَصَّتْ نَجْمَتُنَا الْحَسَنَاءُ بِدَعْنِهَا      عَنْ نَجْمَةِ الشُّطِّ وَالْآذَانُ تَرَعَاهَا  
 وَكَانَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا كَوْكَبٌ غَزَلُ      يُصْنَعِي ، فَلَمَّا رَأَاهَا ، سَبَّحَ اللَّهُ  
 وَرَاحَ يُقْسِمُ أَنْ لَا بَاتَ لَيْلَتُهُ      إِلَّا عَلَى شَفَتَيْهَا لَاثِمًا فَاهَا

\* \* \*

يَا مَلْعَبَ الشُّطِّ مِنْ «أَنْفَا» أَتَعْلَمُ مِنْ      دَاسَتْ عَلَى صَدْرِكَ الْبَارِي رِجْلَاهَا  
 وَيَا نَوَائِيَّ مِنْ مَوْجٍ وَمِنْ زَبَدٍ      أَتُنِي عَلَيْكَ وَحَسْبُ الْفَخْرِ نَهْدَاهَا  
 وَالشُّطُّ فِي الصَّيْفِ جَنَاتٌ مُفَوَّقَةٌ      كَمْ فَاخَرَ الْجَبَلَ الْعَالِي وَكَمْ بَاهَى  
 إِذَا أَرْتِكَ الْجِبَالَ الْغَيْدَةَ كَاسِيَةً      فَالشُّطُّ أَدَوَّقُ مِنْهَا حَبِيبَ عَرَاهَا

\* \* \*

وافت سُلَيْمَى وما أدري أذمعتها  
وذلك الأبيض المنشور في يدها  
كانما البدر قديماً كان خادمها  
وما أصاب الهوى نفساً وأشفاهها  
كانه حَكَمُ العشاق كم وسعته  
أو كاهن الأزل الحالي بيشيئته  
نيلك التي لَمَعَتْ لي أم ثناياها  
منديلها أم 'سطور' الحب تقرأها  
فَمَنْدُ أَرادته نادته فلبثها  
إلاّ وألقت بأذن البدر شكواها  
بينضاء جُبَيْته شتى قضايها  
قبّال تَوْبَتِها ماحي خطاياها...

\* \* \*

أما سُلَيْمَى فما زاعغت ولا عثرت  
من كانت الكورة الخضراء منبثته  
فالحُب والطهر يُغناها ويُسرّها  
فليس يُثبِتُ إلاّ المجدد والجاهها

\* \* \*

تعلقتته طريراً ، كالهلال على  
نمته للشرف الأسنى 'عمومتها  
غصن من البان ماضي العزم ، ثناها  
ونشأته على ما كان جدّاهما  
أحبها وأحبته وعاهداهما  
أن لا يُظللته في الحب إلاّها  
فيسبّيا في ظلال الأرض وكثرهما  
ويَجْرَعَا من كؤوس الحب أشهما

\* \* \*

وراح يفرغ باب الرزقي مُشْتَمِلَا  
حتى انثنى وعلى أجنافه بكلّ  
بعزومة سنّها علّم وأمضاها  
ودّ الإباء لها لو كان أعماها  
بسكى فؤاد لسلمى والبلاد معاً  
وأنفُس رضىت في الدّلّ مثواها

فَحَمْلَ الْمَوْجِ مِنْ أَشْجَانِهِ حَمَمًا      وَنَدَّ يَضْرِبُ أُولَاهَا بِأَخْرَاهَا  
وَقَالَ- رَالِئْسُ يَمْشِي فِي جَوَارِخِهِ -      دِيَارُ سُلْمَى عَلَى رُغْمٍ هَجَرْنَاهَا

\* \* \*

خَمْسُ مِنَ السَّنَوَاتِ السَّوْدِ لَا رَجَعْتُ      صَبْتُ عَلَى رَأْسِ لُبْنَانٍ بِلَايَاهَا  
وَحُبُّ سُلْمَى وَرَيْقُ مِثْلُ أَوَّلِهِ      سَقْتُهُ مِنْ ذِكْرِيَاتِ الْأَمْسِ أَنْدَاهَا  
تَمْضِي لِوَأَجْبِيهَا حَتَّى إِذَا انْصَرَفْتُ      فَلَيْسَ يَشْفُلُهَا إِلَّا فُؤَادُهَا  
سُلْمَى- أَرَى الشَّمْسَ فِي خَدَيْكَ ضَاكِكَةً

وَكُنْتُ كَالْغَيْمَةِ الْمُقْطُوبِ جَفْنَاهَا      أَنْفَحَةً مِنْ فُؤَادٍ كَيْدَتْ أَفْرَأَهَا  
أَنْفَحَةً مِنْ فُؤَادٍ كَيْدَتْ أَفْرَأَهَا      فَفِي عَيْنِكَ مَبْنَاهَا وَمَعْنَاهَا  
أَمْ سُورَةٌ مِنْ عِتَابٍ؟ أَيْ فَاِجْتَنِّ      فِي لَحْظَةٍ صَبَّغَ الْحَدِيثَيْنِ لَوْنَاهَا  
قُولِي فَلَيْسَ مَوَى الْخُلُجَانِ كَسَمْعُنَا      وَرَقَرَقِيهَا سُلْفًا فَوْقَ حَصْبَاهَا...

\* \* \*

- «قُلْ لِلْحَبِيبِ إِذَا طَابَ الْبِعَادُ لَهُ      وَتَقَلَّ النَّفْسُ مِنْ سُلْمَى لَبْلَاهَا  
وَاسْتَأْصَرَتْهُ وَإِخْوَانًا لَهُ سَبَقُوا      مَظَاهِيرُ مِنْ رَحَائِمِ مَا عَرَفْنَاهَا  
إِنَّا إِذَا صَبَّغَ الْأَوْطَانَ فَيَنْتَبِهَا      وَاسْتَوْتَقُوا بِسَوَاهَا مَا أَضَعْنَاهَا  
حَسَبُ الْبُؤَةِ إِنْ صَاقَ الرِّجَالُ بِهَا      أَنْ الَّتِي أَرْضَعَتْهَا الْمَجْدُ أَنْشَاهَا...»

\* \* \*

لُبْنَانُ مَا لِفِرَاحِ النَّسْرِ جَانِمَةٌ      وَالْأَرْضُ أَرْضُكَ أَغْلَاهَا وَأُدْنَاهَا  
أَلِلْغَرِيبِ اخْتِمَالُ فِي مَسَارِحِهَا      وَلِلْغَرِيبِ انْزِرَؤْءُ فِي زَوَايَاهَا؟  
مَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّيَاحِينَ الَّتِي سَقَيْتُ      دُمُوعَنَا الْحُمْرَ قَدْ صَنَّتْ بَرِيَّاهَا

كَأَنَّ مَا غَرَسَ الآبَاءُ مِنْ شَجَرٍ  
لِغَيْرِ أَبْنَائِهِمْ قَدْ طَابَ مَحْتَاها  
وَمَا بَنَوْهُ عَلَى الْأَحْقَابِ مِنْ أَطْمٍ  
لِغَيْرِ أَبْنَائِهِمْ قَدْ حَلَّ سَكْنَاهَا؟.

\* \* \*

لَا أَلَمْ أُحْيِدْ لَكَ فِي الْبُلْدَانِ مِنْ شَيْءٍ  
لَوْ مَسَّ غَيْرَكَ هَذَا الذَّلِيلُ مِنْ أَسَدٍ  
وَلَا لِنَاسِكَ بَيْنَ النَّاسِ أَشْئَاهَا  
لَعَضَّ جَبْهَتَهُ سَيْفٌ وَحَتَّاهَا!..

\* \* \*

لبنان ! عيد ما أرى

لُبنانُ عيدٌ ما أرى أمَ مَأتَمٍ  
اللهِ أنتَ وَجَرُحُكَ المَتَبَسُّمُ ...  
عَصَرُوا دُمُوعَكَ وَهَبِي جَمْرَ لاذِعٍ  
يَتَتَوَرَّونَ بِهَا وَصَبْحُكَ مُظْلِمٌ

\* \* \*

قُلْ لِلرَّئيسِ إذا أَتَيْتَ نَعِيمَهُ  
إِنَّ يَحْيَى رَهْطُكَ فَالتَّعِيمُ جَهَنَّمُ  
أُطَوِّفُ السَّاقِي هُنَا بِكُؤُوسِهِ  
وَيَزَمَجِرُ الجَلابي هُنَاكَ وَيُرْزَمُ  
تَعْرِى الصُّدُورُ هُنَا على قُبُلِ الهَوَى  
وَهُنَاكَ عَارِبَةٌ تَنُوحُ وتَلْتَظِمُ  
وَالكَهْرُبَاءُ هُنَا تَشِعُّ ثُمُوسَهَا  
وَسِرَاجٌ أَكْثَرُ مِنْ هُنَاكَ الأَنْجُمُ ...

\* \* \*

لُبنان يا بِلَدَ السَّداجَةِ والوفا  
حَلُمٌ . . وهل غَيْرُ الطَّمَعُولَةِ يَحْلُمُ  
هذا حَصِيرُكَ والحَبِيبَاتُ التي  
كَانَتْ غِذَاءَكَ واللَّحافُ المُنْبَسُّمُ

بِيَعْتَ لِتَهْرَقَ فِي الْكُؤُوسِ مُدَامَةً.  
 هي - لا روثهم - أنفُسُ تَأَلِّمُ  
 لِبْنَانُ يَا بَلَدَ السَّدَاجَةِ وَالْوَفَا  
 حُلُمٌ ... وهل غيرُ الطِفْوَلةِ يَحْلُمُ  
 كَبِيرَ الزَّمانِ ولا تَزَالُ كَأَمْسِهِ  
 فَعَسَاكَ تَكْبِيرُ أَوْ لَعَلَّكَ تَنْقُطُ  
 زَمَنٌ بِهِ تُشْفِي الْفَضَائِلُ أَهْلَهَا  
 الصَّدَقُ يَقْشُلُ والمروءةُ تَعْمِدُ

\* \* \*

لِبْنَانُ شَاعِرُكَ الَّذِي غَاضَبَتْهُ  
 تَرَكَ الْعِتَابَ وَقَدْ أَتَاكَ يُسَلِّمُ  
 صَدَاحُكَ الشَّادِي عَلَى هَضْبَاتِهِ  
 كَمْ «مَعْبُدٍ» فِي عُودِهِ يَتَرَتَّمُ  
 هُوَ فِي كِلَا حَالَيْكَ أَنْتَ غَرَامُهُ  
 وَعَلَى كِلَا حَالَيْهِ ذَاكَ الْمَغْرَمُ ...

\* \* \*

## الفهرس

ص	
٥	المقدمة
٣٣	احمد شوقي
١٣٥	أحمد زكي ابو شادي
٢٣٥	بشارة الحوري





# أحمد شوقي

ص	نماذج من شعره	ص	
٣٥	شوقي في سطور	٣٥	
٣٧	سيرته - خصائصه الفنية	٣٧	
٦٠	المنفى والاندلسيات	٦٠	
٦٥	بعد المنفى	٦٥	
٦٩	مسرحيات شوقي وقصصه	٦٩	
٧٥	شوقي والتقاد	٧٥	
٨٣	أندلسية		
٨٦	نكبة دمشق		
٩٠	الرحلة الى الاندلس		
٩٨	صقر قریش		
١٠٩	في الغزل		
١١٢	زحلة		
١١٤	رثاء حافظ ابراهيم		
١١٨	رثاء مصطفى كامل		
١٢٢	توت عنخ آمون		
١٣٣	التملب والديك		
١٣٤	سليمان والهدهد		



# أحمد زكي أبو شادي

ص	نماذج من شعره	ص	تمهيد
١٨٠	القطعة اليتيمة	١٣٧	سيرته
١٨١	وحي المطر - الساعة	١٤٠	بيئته الخاصة
١٨٢	عرس المأتم	١٤٤	منابع ثقافته
١٨٣	لفتات الغريب	١٤٨	عصره -
١٨٤	ذكرى الحب الاول	١٥٣	الناحية السياسية والاجتماعية
١٨٥	إلى أمير الشعر أحمد شوقي	١٥٦	التيارات الادبية والفكرية
١٨٧	الخريف في جلاوان	١٥٩	خصائصه الفنية
١٩٢	المجهر، رفيقي الكشاف	١٦٢	آراؤه في التجديد
١٩٤	أقصى الظنون	١٦٨	أغراض شعره
١٩٥	عيد العمال	١٧٢	القيمة الحقيقية لشعره
١٩٧	فتاة الريف	١٧٣	رائد تيار أبولو
١٩٨	مذهبي		
٢٠٠	الوطنية والانسانية		
٢٠١	قبلة الجمال		
٢٠٢	الشاعر المجنون - المألوم		
٢٠٣	ظلي		

ص		ص	
٢٢١	في المنفى	٢٠٤	عظمة النفس
٢٢٢	لعبة ابنتي	٢٠٥	الشاعر الانساني
٢٢٣	حزن الفجر	٢٠٦	عيد الربيع
٢٢٤	الشمس الغريقة	٢٠٧	المجد الشخصي وعظمة الفن
٢٢٥	النظر الجريء	٢٠٧	الفردوس
٢٢٦	الاشعة الجراء	٢٠٩	المرآة
٢٢٢	الاطيار والبراعم	٢١٠	أشعة الظلام
٢٢٧	تخطيم الذرة	٢١١	التجدد
٢٢٨	عودة الراعي - حلم الغد	٢١٢	غليون الشاعر
٢٢٩	حداد القطن	٢١٣	فلسطين الثائرة
٢٣٠	الالوهة والكون	٢١٤	قيثاري - الصبا الدائم
٢٣٠	الأمواج	٢١٥	بحر السماء
٢٣٢	مآل الانسانية	٢١٧	يوم مروع
٢٣٢	يوم العمل	٢١٨	اللهمفة الخالدة
٢٣٣	وطني الاول	٢١٩	رثاء الجمال

# بشارة الخوري

الأخطل الصغير

ص			ص
٢٨٥	سيوف وجراح	حياته	٢٣٧
٢٨٦	الصبا والجمال	تمهيد	٢٣٩
٢٨٧	من قصيدة الفردوسي	بيئته ومحيطه	٢٤٠
٢٨٩	الى امرأة	الجو الشعري المحيط به	٢٤١
٢٩١	للقراء « ١٩١٤ »	انطلاقه وتطور شعره	٢٤٣
٢٩٢	حكمة الدهر	شاعر الغزل—اول الغيث	٢٤٥
٢٩٣	رثاء شوقي	بين الشعر والصحافة	٢٤٦
٢٩٤	من قصيدة المتنبي	لماذا الاخطل الصغير ؟	٢٤٨
٢٩٦	من قصيدة عمر ونعم	مراحل شعره	٢٤٨
٢٩٧	بلقوها	شعره الوجداني العاطفي	٢٥٠
٢٩٨	نياسين	ترجماته	٢٥٢
٢٩٩	يا مجدى يا جنون	شعره الاجتماعي	٢٦٣
٣٠٠	رثاء سعد زغلول	شعر الاحداث الوطنية	٢٧٠
٣٠١	تراتيل المغيب	فماذج من شعره	
٣٠٣	مرحبا مضر	وردة من دمناء	٢٧٩
٣٠٤	بردى والنيل	أيها الغائب،	٢٨٠
٣٠٥	عروة وعفراء	أبو العلاء الممرى	٢٨١
٣١٠	المسلول	أرق الحسن	٢٨٢
٣١٥	سلمى الكورانية	يا صارف الكأس	٢٨٣
٣١٩	لبنان ! عيد ما أرى	المهاجر	٢٨٤

$$v_0/r/\dots$$



منز طاع هذا الفرق، بزرز السحاو كثيرة في  
 عالم الشعر، ودور الصدراؤها وترغبت طحا  
 بطول الرعاية، فغلبت الجلبه والوضاء  
 على صوت الشعر فاختفت همسه وتبرجت ...  
 فماذا يعني مثلا ان تعجب للشعر ايمارة  
 وتبايع عليها؟

والا ان يعنى انك جعلت الشعر رديف  
 للجاء... ان نقطه بغير صوته، وان لقيسه  
 بغير عياره، وان تجعله بوقا للحماس !! ...  
 بل ان تجد السر عروفي ذراته،  
 وتحملته ليست من هذا العالم ...

من المقدمة

---

منشورات المكتب التجاري - بيروت